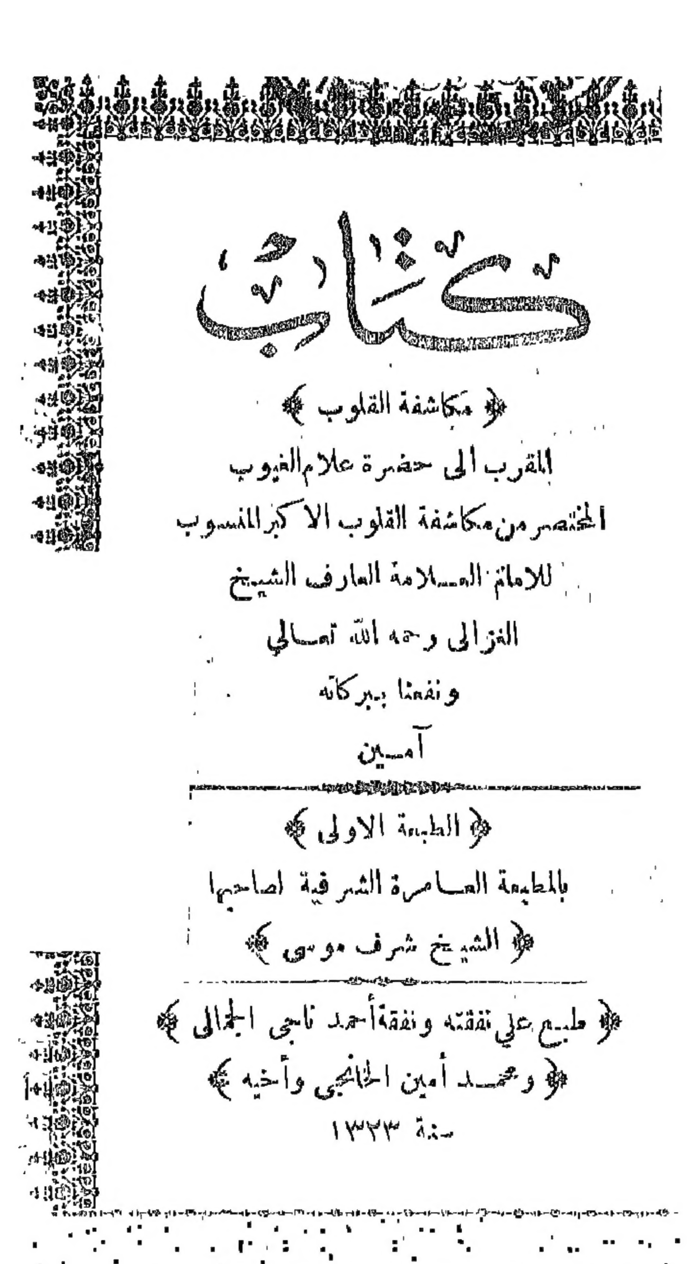


كتاب

مكاشفة القلوب

المقرب الى حضرة علام الغيوب

المختصر من مكاشفة القلوب الاكبر المنسوب

للامام العلامة العارف الشيخ

الغزالى رحمه الله تعالى

ونفعنا ببركاته

آمين

الطبعة الاولى

بالمطبعة العامرة الشرفية لصاحبها

الشيخ شرف موسى

طبع على نفقته ونفقة أحمد ناجي الجمالى

ومحمد أمين الخانجى وأخيه

سنة ١٣٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أحسن تدبر الكائنات وخلق الأرضين والسموات وأنزل الماء من المعصرات وأنشأ الحب والنبات وقدر الارزاق والاقوات وأثاب على الاعمال الصالحات والصلاة والسلام على سيدنا محمد ذى المعجزات الظاهرات الذى حصل من نوره وجود الكائنات ﴿ وبعد ﴾ فهذا كتاب اختصرته من الكتاب البديع حسن الصنيع المسمى بمكاشفة القلوب المقرب الى علام الغيوب المنسوب الى الشيخ الغزالى وقد سميته كأصله بمكاشفة القلوب وأعوذ بالله من الشرك والذنوب واقتصرت فيه على مائة وأحد عشر باب ليحفظ مافيها أولو العلم والالباب

(الباب الاول) في الخوف (الباب الثانى) فى الخوف من الله تعالى أيضا (الباب الثالث) في الصبر والمرض (الباب الرابع) فى الرياضة والشهوة النفسانية (الباب الخامس) في غلبة النفس وعداوة الشيطان (الباب السادس) في الغفلة (الباب السابع) في نسيان الله والفسق والنفاق (الباب الثامن) فى التوبة (الباب التاسع) في المحبة (الباب العاشر) في ذكر العشق (الباب الحادي عشر) فى طاعة الله ومحبته ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم (الباب الثانى عشر) في ذكر ابليس

وعذابه (الباب الثالث عشر) في ذكر الامانة (الباب الرابع عشر) في الصلاة بالخضوع والخشوع (الباب الخامس عشر) في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر (الباب السادس عشر) في عداوة الشيطان (الباب السابع عشر) في الامانة والتوبة (الباب الثامن عشر) في فضل الترحم (الباب التاسع عشر) في الخشوع في الصلاة (الباب العشرون) في الغيبة والنميمة (الباب الحادي والعشرون) في الزكاة (الباب الثاني والعشرون) في ترك الزنا (الباب الثالث والعشرون) في صلة الرحم وحقوق الوالدين (الباب الرابع والعشرون) في برّ الوالدين (الباب الخامس والعشرون) في منع الزكاة والبخل (الباب السادس والعشرون) في طول الامل (الباب السابع والعشرون) في ملازمة الطاعة وترك الحرام (الباب الثامن والعشرون) في ذكر الموت (الباب التاسع والعشرون) في ذكر السموات والاجناس المختلفة (الباب الثلاثون) في الكرسي والملائكة المقربين والارزاق والتوكل (الباب الحادي والثلاثون) في ترك الدنيا وذمها (الباب الثاني والثلاثون) في ذم الدنيا أيضا (الباب الثالث والثلاثون) في بيان فضل القناعة (الباب الرابع والثلاثون) في فضل الفقراء (الباب الخامس والثلاثون) في ذم اتخاذ وليّ من دون الله وبيان العرصات (الباب السادس والثلاثون) في النفخ والفزع والحشر من المقابر (الباب السابع والثلاثون) في العرصات والقضاء بين الخلائق (الباب الثامن والثلاثون) في بيان ذم المسائل (الباب

عليه وسلم

﴿ الباب الاول في بيان الخوف ﴾

جاء في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله تعالى خلق ملكا له جناح في المشرق وجناح في المغرب ورأسه تحت العرش ورجلاه تحت الارض السابعة وعليه بعدد خلق الله تعالى ريش فاذا صلى رجل أو امرأة من أمة علي أمره الله تعالى بأن ينغمس في بحر من نور تحت العرش فينغمس فيه ثم يخرج وينفض جناحه فيقطر من كل ريشة قطرة فيخلق الله تعالى من كل قطرة ملكا يستغفر له الى يوم القيامة * قال بعض الحكماء سلامة الجسد في قلة الطعام وسلامة الروح في قلة الآثام وسلامة الدين في الصلاة على خير الانام * قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله) يعني اخشوا الله وأطيعوه (ولتنظر نفس ماقدمت لغد) يعني عملت ليوم القيامة ومعناه تصدقوا واعملوا بالطاعة لتجدوا ثوابها يوم القيامة (واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) من الخير والشر فان الملائكة والسماء والارض والليل والنهار يوم القيامة يشهدون بما عمل ابن آدم من خير أو شر طاعة أو معصية حتى ان جوارحه تشهد عليه والارض تشهد للمؤمن والزاهد فتقول صلى علي وصام وحج وجاهد فيفرح المؤمن والزاهد وتشهد على الكافر والعاصي فتقول أشرك علي وزنى وشرب الخمر وأكل الحرام فياويله ان ناقشه في الحساب أرحم الراحمين * المؤمن هو الذي يخاف الله تعالى بجميع جوارحه كما قال الفقيه أبو الليث علامة خوف الله

تعالى تظهر في سبعة أشياء * أولها لسانه فيمنعه من الكذب والغيبة والنميمة والبهتان وكلام الفضول ويجعله مشغولا بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن ومذاكرة العلم * والثانى قلبه فيخرج منه العداوة والبهتان وحسد الاخوان لان الحسد يمحو الحسنات كما قال صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب * واعلم ان الحسد من الامراض العظيمة فى القلوب ولا تداوي أمراض القلوب الا بالعلم والعمل * والثالث نظره فلا ينظر الى الحرام من الاكل والشرب والكسوة وغيرها ولا الي الدنيا بالرغبة بل يكون نظره على وجه الاعتبار ولا ينظر الى مالا يحل له كما قال صلى الله عليه وسلم من ملأ عينه من الحرام ملأ الله تعالي يوم القيامة عينه من النار * والرابع بطنه فلا يدخل بطنه حراما فانه اثم كبير كما قال صلى الله عليه وسلم اذا وقعت لقمة من الحرام في بطن ابن آدم لعنه كل ملك في الارض والسماء مادامت تلك اللقمة في بطنه وان مات علي تلك الحالة فمأواه جهنم * والخامس يده فلا يمد يده الى الحرام بل يمدها الى ما فيه طاعة الله تعالي * وروى عن كعب الاحبار انه قال ان الله تعالي خلق دارا من زبرجدة خضراء فيها سبعون ألف دار فى كل دار سبعون ألف بيت لا ينزلها الا رجل يعرض عليه الحرام فيتركه من مخافة الله تعالي * والسادس قدمه فلا يمشي في معصية الله بل يمشي في طاعته ورضاه والي صحبة العلماء والصلحاء * والسابع طاعته فيجعل طاعته خالصة لوجه الله تعالى ويخاف من الرياء والنفاق فاذا فعل ذلك فهو من الذين قال الله تعالي في حقهم (والآخرة

عند ربك للمتقين) وقال في آية أخرى (ان المتقين في جنات وعيون) وقال الله تعالى (ان المتقين في جنات ونعيم) وقال الله تعالى (ان المتقين في مقام أمين) كأنه تعالى يقول انهم ينجون يوم القيامة من النار * وينبغي للمؤمن أن يكون بين الخوف والرجاء فيرجو رحمة الله ولا ييأس منها كما قال الله تعالى لا تقنطوا من رحمة الله ويعبد الله ويرجع عن أفعاله القبيحة ويتوب الي الله تعالى ﴿ حكاية ﴾ بينما داود عليه السلام جالس في صومعته يتلو الزبور اذ رأي دودة حمراء في التراب فقال في نفسه ما أراد الله في هذه الدودة فأذن الله للدودة حتى تكلمت فقالت يا نبي الله أما نهاري فألهمني ربي أن أقول في كل يوم سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ألف مرة وأما ليلي فألهمني ربي أن أقول في كل ليلة اللهم صل على محمد النبي الامي وعلي آله وصحبه وسلم ألف مرة فأنت ما تقول حتى أستفيد منك فندم داود عليه السلام على احتقار الدودة وخاف من الله تعالى وتاب اليه وتوكل عليه (وكان) ابراهيم الخليل صلوات الله عليه اذا ذكر خطيئته يغشى عليه و يسمع اضطراب قلبه ميلا في ميل فأرسل الله اليه جبريل فأتاه فقال له الجبار يقرئك السلام ويقول هل رأيت خليلا يخاف خليله فقال يا جبريل اذا ذكرت خطيئتي وفكرت في عقوبته نسيت خلتي فهذه أحول الانبياء والاولياء والصالحين والزاهدين وتأمل

﴿ الباب الثاني في الخوف من الله تعالى أيضا ﴾

قال أبو الليث رحمه الله تعالى ان لله ملائكة في السماء السابعة سجدا

منذ خلقهم الله تعالي الي يوم القيامة ترتعد فرائصهم من مخافة الله تعالي واذا كانوا يوم القيامة رفعوا رؤسهم فقالوا سبحانك ماعبدناك حق عبادتك وذلك قوله تعالى (يخافون ربهم من فوقهم و يفعلون مايؤمرون) يعني لايعصون الله تعالي طرفة عين*وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقشعر جسد العبد من خشية الله تعالى تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة ورقها ﴿ حكي ﴾ أن رجلا تعلق قلبه بامرأة فخرجت تلك المرأة الي حاجة لها فذهب الرجل معها فلما خلا بها في البادية ونام الناس أفشى الرجل سره اليها فقالت له المرأة أنظر أنام الناس بأجمعهم ففرح الرجل بقولها وظن انها قد أجابته فقام وطاف حول القافلة فاذا الناس نيام فرجع اليها وقال لها انهم نيام فقالت ماتقول في الله تعالي أنائم في هذه الساعة فقال الرجل ان الله تعالى لاينام ولا تأخذه سنة ولا نوم فقالت المرأة ان الذي لم ينم ولا ينام يرانا وان كان الناس لايروننا فذلك أولي أن يخاف منه فتركها الرجل خوفا من الخالق وتاب ورجع الى وطنه فلما توفي رأوه في المنام فقيل له مافعل الله بك فقال غفرلي بخوفي وتركي ذلك الذنب ﴿ حكاية ﴾ كان في بني اسرائيل رجل عابد ذو عيال وأصابته المجاعة وصار مضطرا فبعث امرأته تطلب شيأ لعيالها فجاءت الى بيت رجل تاجر وطلبت منه ماتقوت به عيالها فقال الرجل نعم ولكن مكنيني من نفسك فسكتت المرأة وعادت الى بيتها فنظرت الي عيالها يصيحون ويقولون ياأمي نحن نموت من الجوع أعطينا مانأكله فذهبت الي الرجل وكلمته في أمر عيالها فقال لها أتكون حاجتي

مقضية فقالت نعم فلما خلا بها ارتعدت مفاصلها حتى كادت أعضاؤها تزول عن مواضعها فقال لها مالك فقالت اني أخاف الله فقال الرجل انك تخافين الله تعالى مع مابك من الفقر فأنا أحق بالخوف منك وامتنع عنها وقضى حاجتها والصرات بنعمة كثيرة الي أولادها ففرحوا فأوحى الله الي موسى عليه السلام أن قل لفلان بن فلان اني قد غفرت ذنوبه فجاء موسى عليه السلام فقال لعلك قد عملت خيرا بينك وبين الله فذكر القصة عليه فقال ان الله تعالى قد غفر لك ما كان من ذنوبك كذا في مجمع اللطائف

* وروي عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى لا أجمع على عبدي خوفين ولا أمنين من خافني فى الدنيا أمنته في الآخرة ومن أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة وقال الله تعالي (فلا تخشوا الناس واخشوني) وقال في آية أخري (فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين) وكان عمر رضي الله عنه يسقط من الخوف اذا سمع آية من القرآن مغشيا عليه وأخذ يوما تبنة فقال ياليتني كنت تبنة ولم أك شيأ مذكورا ياليتني لم تلدني أمي ويبكي كثيرا حتى تجري دموعه من عينيه فكان في وجهه خطان أسودان من الدموع وقال صلى الله عليه وسلم لا يلج النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع (وفي رقائق الاخبار) يؤتى بعبد يوم القيامة فترجح سيآته فيؤمر به الى النار فتتكلم شعرة من شعرات عينيه وتقول يارب رسولك محمد صلي الله عليه وسلم قال من بكي من خشية الله حرم الله تلك العين على النار واني بكيت من خشيتك فيغفر الله له ويستخلصه من النار ببركة شعرة واحدة كانت تبكي من خشية الله في الدنيا وينادي جبريل

عليه السلام نجا فلان بن فلان بشعرة واحدة * وفي بداية الهداية اذا كان يوم القيامة يجيء بجهنم تزفر زفرة فتجثو كل أمة على ركبها من هولها كما قال الله تعالى (وترى كل أمة جاثية أي على الركب كل أمة تدعى الى كتابها) فاذا أتوا النار سمعوا لها تغيظا وزفيرا تسمع زفرتها من مسيرة خمسمائة عام وكل واحد حتى الانبياء يقول نفسي نفسي الا صفي الانبياء صلى الله عليه وسلم فانه يقول أمتي أمتي وتخرج من الجحيم نار مثل الجبال فتجتهد أمة محمد صلى الله عليه وسلم في دفعها وتقول يانار بحق المصلين وبحق المصدقين وبحق الخاشعين وبحق الصائمين أن ترجعي فلا ترجع وينادي جبريل عليه السلام ان النار قد قصدت أمة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يأتي بقدح من ماء فيناوله رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول يارسول الله خذ هذا فرشه عليها فيرشه عليها فتطفأ في الحال فيقول صلى الله عليه وسلم ماهذا الماء فيقول جبريل عليه السلام هذا ماء دموع عصاة أمتك الذين بكوا من خشية الله تعالى فالآن أمرت أن أعطيكه لترشه على النار فتطفأ النار باذن الله تعالى وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم ارزقني عينين تبكيان من خشيتك قبل أن يكون الدمع

أعيني هلا تبكيان على ذنبي * تناثر عمرى من يدى ولا أدري

وجاء في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم مامن عبد مؤمن يخرج من عينيه من الدموع مثل رأس الذباب من خشية الله تعالى فيصيب حر وجهه فتمسه النار أبداً (حكي) عن محمد بن المنذر رحمه الله تعالى أنه كان اذا بكى يمسح وجهه ولحيته بدموعه ويقول بلغني أن النار لا تأكل

موضعا مسته الدموع فينبغي للمؤمن أن يخاف من عذاب الله وينهي نفسه عن الشهوات النفسانية كما قال الله تعالى (فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى) ومن أراد أن ينجو من عذاب الله وينال ثوابه ورحمته فليصبر على شدائد الدنيا وطاعة الله ويجتنب المعاصي (وفي زهر الرياض) روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا دخل أهل الجنة الجنة تتلقاهم الملائكة بكل خير ونعمة فتوضع لهم المنابر وتفرش ويؤتى لهم بالوان الاطعمة والفواكه ثم تكون فيهم مع هذه النعمة حيرة فيقول الله ياعبادي ماهذه الحيرة وليست هذه دار حيرة فيقولون أن لنا موعدا قد جاء وقته فيقول الله تعالى للملائكة ارفعوا الحجب عن الوجوه فتقول الملائكة ياربنا كيف يرونك وقد كانوا عصاة فيقول الله تعالى ارفعوا الحجب فانهم كانوا ذاكرين ساجدين باكين في الدنيا طمعا في لقائي فترفع الحجب فينظرون فيخرون سجدا لله عز وجل فيقول الله تعالى ارفعوا رؤسكم فان هذه ليست بدار العمل بل دار الكرامة فيتجلى لهم بلا كيف ويقول لهم انبساطا سلام عليكم عبادي فقد رضيت عنكم فهل رضيتم عني فيقولون وما لنا ياربنا لانرضى وقد أعطيتنا مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهو قوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه وقوله تعالى سلام قولا من رب رحيم

﴿ الباب الثالث في الصبر والمرض ﴾

من أراد أن ينجو من عذاب الله وينال ثوابه ورحمته ويدخل جنته

فليبه نفسه عن شهوات الدنيا وليصبر على شدائدها ومصائبها كما قال الله تعالى والله يحب الصابرين والصبر على أوجه صبر على طاعة الله وصبر عن محارمه وصبر على المصيبة وعند الصدمة الاولى فمن صبر على طاعة الله تعالى أعطاه الله تعالى يوم القيامة ثلثمائة درجة في الجنة كل درجة مابين السماء والارض ومن صبر عن محارم الله أعطاه الله يوم القيامة ستمائة درجة كل درجة مثل ما بين السماء السابعة والارض السابعة ومن صبر على المصيبة أعطاه الله تعالى يوم القيامة سبعمائة درجة فى الجنة كل درجة ما بين العرش الى الثرى (حكي) أن زكريا عليه السلام هرب من اليهود فقفوا أثره فلما دنوا منه رأى شجرة فقال لها يا شجرة أدخليني فيك فانشقت الشجرة فدخل فيها ثم التأمت عليه فاشار عليهم ابليس أن يأتوا بالمنشار ويشقوها نصفين حتى يموت فيها ففعلوا كما قال ابليس وذلك حيث اعتصم بالشجرة ولم يعتصم بالله فأورثه ذلك هلاك نفسه فنشر بالمنشار على فرقين كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى مامن عبد نزلت به بلية فاعتصم بي الا أعطيته قبل أن يسألني واستجبت له قبل أن يدعوني وما من عبد نزلت به بلية فاعتصم بمخلوق دوني الا أغلقت أبواب السماء عليه فلما بلغ المنشار الى دماغه صاح فقيل له يا زكريا ان الله يقول لك لم لا تصبر للبلاء تقول آه لو قلتها مرة ثانية لاخرج اسمك من ديوان الانبياء فعض زكريا شفتيه وصبر حتى شقوه نصفين فيجب على العاقل أن يصبر للبلاء ولا يشكو فينجو من عذاب الدنيا والآخرة لان أشد البلاء على الانبياء والاولياء قال الجنيد

البغدادى رحمه الله البلاء سراج العارفين و يقظة المريدين وصلاح المؤمنين وهلاك الغافلين لايجد أحد حلاوة الايمان حتي يأتيه البلاء و يرضى ويصبر قال صلى الله عليه وسلم من مرض ليلة فصبر ورضى عن الله تعالى خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فاذا مرضتم فلا تتمنوا العافية قال الضحاك من لم يبتل بين كل أربعين ليلة ببلية أوهم أومصيبة فليس له عند الله خير*عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال اذا ابتلى الله العبد المؤمن بالسقم قال لصاحب الشمال ارفع القلم عنه وقال لصاحب اليمين اكتب لعبدي أحسن ما كان يعمل*وجاء في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مرض العبد بعث الله اليه ملكين فقال انظرا ما يقول عبدى فان هو قال الحمد لله رفع ذلك الى الله وهو أعلم فيقول لعبدي على ان أنا توفيته ان أدخله الجنة وان أنا شفيته ان أبدله لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان أكفر عنه سيئاته (حكي) أنه كان في بنى اسرائيل رجل فاسق وكان لايمتنع عن الفسق حتي ضج أهل بلده وعجزوا عن منعه عن فسقه فتضرعوا الى الله تعالي فأوحي الله تعالي الى موسى عليه السلام ان فى بني اسرائيل شابا فاسقا فأخرجه من بلدهم حتى لاتقع عليهم النار بسبب فسقه فجاء موسى عليه السلام فأخرجه فذهب الشاب الى قرية من القرى فأمر الله موسى أن يخرجه من تلك القرية فأخرجه موسي عليه السلام فخرج الي مغارة ليس فيها خلق ولا زرع ولا وحوش ولا طيور فمرض في تلك المفازة وليس عنده معين يعينه فوقع على التراب ووضع رأسه عليه وقال لو كانت والدتى عند رأسى

لرحمتي وابكت علي مذاقي ولو كان والدي حاضر الاماني وتولي أمري ولو كانت زوجتي حاضرة لبكت على فراقي ولو كان أولادي حاضرين عندي لبكوا خلف جنازتي ولقالوا اللهم اغفر لوالدنا الغريب الضعيف العاصي الفاسق المطرود من بلده الى قرية ومن القرية الى مفازة ومن المفازة يخرج من الدنيا الى الآخرة آيسا من كل الاشياء اللهم فلاتقطعني عن والدي وأولادي وزوجتي فلا تقطعني من رحمتك فانك أحرقت قلبي بفراقهم فلا تحرقني بنارك لاجل معصيتي فأرسل الله تعالي له حوراء علي صفة أمه وحوراء على صفة زوجته وغلمانا على صفة أولاده وملكا على صفة والده فجلسوا عنده وبكوا عليه فقال ان هذا والدي و والدتي و زوجتي وأولادي حضروا عندي وطاب قلبه ووصل الى رحمة الله تعالى طاهرا مغفورا له فأوحي الله تعالي الى موسي عليه السلام اذهب الى مفازة كذا وموضع كذا فانه مات فيه ولي من الاولياء فاحضره وتول أمره ووراه فلما حضر موسى عليه السلام ذلك الموضع رأى الشاب الذي كان أخرجه من البلد ومن القرية بأمر الله تعالى ورأي الحور العين حواليه فقال موسي عليه السلام يارب أما هذا الشاب الذي أخرجته من البلد ومن القرية بأمرك فقال الله تعالى ياموسى اني رحمته وتجاوزت عنه بأنينه في موضعه وفراقه وطنه ووالدته ووالده وأولاده وزوجته وأرسلت اليه حوراء على صفة والدته وملكا على صفة والده وحوراء على صفة زوجته يترحمون علي مذلته في غربته فانه اذا مات الغريب بكي عليه أهل السموات وأهل الارض رحمة له فكيف لا أرحمه وأنا أرحم الراحمين * اذا وقع الغريب

في النزع يقول الله تعالى ياملائكتي هذا غريب مسافر ترك أولاده وعياله ووالديه واذا مات لا يبكي عليه أحد ولا يحزن ثم يجعل الله واحدا من الملائكة علي صورة أبيه و واحدا علي صورة أمه و واحدا علي صورة ولده وواحدا علي صورة واحد من أقاربه فيدخلون عليه فيفتح عينيه فيري والديه وعيا له فيطيب قلبه ويخرج روحه مع الفرح والسرور ثم اذا خرجت جنازته يشيعونها ويدعون له علي قبره الى يوم القيامة فذلك قوله تعالى الله لطيف بعباده (وقال ابن عطاء) يتبين صدق العبد من كذبه في أوقات البلاء والرخاء فمن شكر في أيام الرخاء وجزع في أيام البلاء فهو من الكاذبين ولو اجتمع في رجل علم الثقلين ثم هاجت عليه رياح البلاء فأظهر الشكوي لما نزل به لا ينفعه علمه ولا عمله كما جاء في الحديث القدسي يقول الله تعالى من لم يرض بقضائي ولم يشكر لعطائي فليطلب ربا سواي (حكي وهب بن منبه) ان نبيا عبد الله خمسين عاما فأوحى الله اليه اني قد غفرت لك فقال يارب لماذا تغفرلي ولم أذنب قط فأمر الله عرقه فضرب عليه ولم ينم تلك الليلة فجاء ملك الصبح فشكا اليه مالقي من ضربان العرق فقال ان ربك يقول لك عبادة خمسين عاما ماتعدل شكوي هذا العرق

﴿ الباب الرابع في الرياضة والشهوة النفسانية ﴾

أوحي الله الي موسى عليه السلام ياموسى ان أردت أن أكون أقرب اليك من كلامك الي لسانك ومن وسوسة قلبك ومن روحك الى بدنك ومن نور بصرك الى عينك ومن سمعك الى أذنك فاكثر من الصلاة

على محمد صلي الله عليه وسلم قال تعالى ولتنظر نفس ماقدمت لغد يعني ماعملت في يوم القيامة* اعلم أيها الانسان ان النفس الامارة بالسوء هي أعدي لك من ابليس وانما يتقوى عليك الشيطان بهوي النفس وشهواتها فلا تغرنك نفسك بالاماني والغرور لان من طبع النفس الامن والغفلة والراحة والفترة والكسل فدعواها باطل وكل شيء منها غرور وان رضيت عنها واتبعت أمرها هلكت وان غفلت عن محاسبتها غرقت وان عجزت عن مخالفتها واتبعت هواها قادتك الى النار وليس للنفس مرجوع الي الخير وهي رأس البلايا ومعدن الفضيحة وهي خزانة ابليس ومأوى كل شر لايعرفها الا خالقها(واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) يعني من الخير والشر واذا تفكر العبد فيما مضي من عمره في طلب آخرته كان هذا التفكر غسل القلب كما قال صلى الله عليه وسلم تفكر ساعة خير من عبادة سنة كذا في تفسير أبي الليث فينبغي للعاقل أن يتوب من الذنوب الماضية ويتفكر فيما يقربه وينجو به في الدار الآخرة ويقصر الامل ويعجل التوبة ويذكر الله تعالى ويترك المناهي و يصبر نفسه ولا يتبع الشهوات النفسانية فالنفس صنم فمن عبد النفس فهو يعبد الصنم ومن عبد الله بالاخلاص فهو الذي قهر نفسه (روي) أن مالك بن دينار كان يمشى في سوق البصرة فرأي التين فاشتهاه فخلع نعله وأعطاه الي البقال وقال أعطني التين فرأى البقال النعل وقال لايساوى شيئا فمضى مالك فقيل للبقال أليس تعرف من هذا قال لا قيل هو مالك ابن دينار فحمل البقال الطبق على رأس غلامه وقال له ان قبل هذا

منك فأنت حر فعدا الغلام خلف مالك بن دينار وقال له اقبل هذا مني فأبى فقال اقبل فان فيه تحريرى فقال له مالك بن دينار ان كان فيه تحريرك ففيه تعذيبي فألح الغلام عليه فقال مالك بن دينار حلفت أن لا أبيع الدين بالتين ولا آكل التين الى يوم الدين ﴿ حكي ﴾ ان مالك بن دينار مرض مرضه الذي مات فيه فاشتهى قدحا من العسل واللبن ليثرد فيه رغيفا حارا فمضى الخادم وحمله اليه فأخذه مالك بن دينار ونظر فيه ساعة وقال يانفس قد صبرت ثلاثين سنة وقد بقي من عمرك ساعة ورمي القدح من يديه وصبر نفسه ومات وهكذا أحوال الانبياء والاولياء والصادقين والعاشقين والزاهدين قال سليمان بن داود عليه السلام ان القاهر لنفسه أشد ممن يفتح المدينة وحده وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ماأنا ونفسي الا كراعي غنم كلما ضمها من جانب انتشرت من جانب آخر من أمات نفسه يلف في كفن الرحمة ويدفن في أرض الكرامة ومن أمات قلبه يموت في كفن اللعنة ويدفن في أرض العقوبة (قال) يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله تعالى جاهد نفسك بالطاعة والرياضة فالرياضة هجر المنام وقلة الكلام وحمل الاذى من الانام والقلة من الطعام فيتولد من قلة المنام صفو الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الاذى البلوغ الى الغايات ومن قلة الطعام موت الشهوات لان في كثرة الاكل قسوة القلب وذهاب نوره نور الحكمة الجوع والشبع يبعد من الله كما قال صلى الله عليه وسلم نوروا قلوبكم بالجوع وجاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش وأديموا

قرع باب الجنة بالجوع فان الاجر في ذلك كاجر المجاهد في سبيل الله وانه ليس من عمل أحب الى الله تعالى من جوع وعطش ولن يلج ملكوت السماء من ملأ بطنه وفقد حلاوة العبادات (قال) أبو بكر الصديق رضي الله عنه ماشبعت منذ أسلمت لاجد حلاوة عبادة ربي وما رويت منذ أسلمت اشتياقا الى لقاء ربي لان في كثرة الاكل قلة العبادة لانه اذا أكثر الانسان الاكل ثقل بدنه وغلبته عيناه وفترت أعضاؤه فلا يجيء منه شيء وان اجتهد الا النوم فيكون كالجيفة الملقاة كذا في منهاج العابدين (عن لقمان الحكيم) انه قال لابنه لاتكثر النوم والاكل فان من أكثر منهما جاء يوم القيامة مفلسا من الاعمال الصالحة كذا في منية المفتي *وقال صلى الله عليه وسلم لاتميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب يموت كالزرع اذا كثر عليه الماء ولقد شبه ذلك بعض الصالحين بان المعدة كالقدر تحت القلب تغلي والبخار يصل اليه فبكثرة البخار تكدره وتسوده وفي كثرة الاكل قلة الفهم والعلم فان البطنة تذهب الفطنة (حكي) عن يحيي بن زكريا عليه السلام أن ابليس بداله وعليه معاليق فقال له يحيي ماهذه قال الشهوات التي أصيد بها بني آدم قال يحيي هل تجد لي فيها شيئا قال لا الا انك شبعت ذات ليلة فثقلناك عن الصلاة قال يحيي عليه السلام لاجرم اني لاأشبع بعدها أبدا فقال ابليس لاجرم اني لاأنصح أحداً أبداً فهذه فيمن لم يشبع في عمره الا ليلة فكيف بمن لايجوع في عمره ليلة ثم يطمع في العبادة (حكي) أيضا عن يحيي بن زكريا عليه السلام انه شبع مرة من خبز شعير فنام تلك الليلة

عن ورده فاوحى الله تعالى اليه يايحيي هل وجدت دارا هي خير لك من داري أو وجدت جوارا هو خير لك من جوارى وعزتي وجلالي لو طلعت على الفردوس واطلعت على جهنم اطلاعة لبكيت الصديد بدل الدموع وللبست الحديد بدل المسوح

﴿ الباب الخامس في غلبة النفس وعداوة الشيطان ﴾

ينبغي للعاقل أن يقمع شهوة النفس بالجوع اذ الجوع قهر لعدو الله فان وسيلة الشيطان الشهوات والاكل والشرب كما قال صلي الله عليه وسلم ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع ان أقرب الناس الي الله تعالى يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وأعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن فبها أخرج آدم وحواء من دار القرار الي دار الذل والافتقار اذنهيا عن أكل الشجرة فغلبتهما شهوتهما حتي أكلا فبدت لهما سوآتهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات (وقال بعض الحكماء) من استولت عليه النفس صار أسيرا في حب شهواتها محصورا في سجن هفواتها ومنعت قلبه من الفوائد من سقى أرض الجوارح بالشهوات فقد غرس في قلبه شجرة الندامة ان الله تعالى خلق الخلق على ثلاثة ضروب فخلق الملائكة وركب فيهم العقل ولم يركب فيهم الشهوة وخلق البهائم وركب فيها الشهوة ولم يركب فيها العقل وخلق ابن آدم وركب فيه العقل والشهوة فمن غلبت شهوته عقله فالبهائم خير منه ومن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة (حكاية) قال ابراهيم الخواص كنت في جبل اللكام

فرأيت رمانا فاشتهيته فاخـذت منه واحـدة فشققتها فوجدتها حامضة فضيت وتركت الرمان فرأيت رجلا مطروحا قد اجتمعت عليه الزنابير فقلت السلام عليـك فقال لي وعليك السـلام يا ابراهيم فقلت من أين عرفتني فقال من عرف الله لايخفى عليه شيء فقلت أري لك مع الله حالا فهلا سألته أن ينجيك من هذه الزنابير فقال واني أرى لك مع الله حالا فهلا سألته أن ينجيك من شهوة الرمان فان الرمان يجـد الانسان ألمه في الآخرة ولدغ الزنابير يجد ألمه فى الدنيا ولدغ الزنابير على النفوس ولدغ الشهوات على القلوب فضيت وتركته الشهوة تصير الملوك عبيدا والصبر يصير العبيد ملوكا ألا ترى الى قصة يوسف عليه السلام وزليخا فقد صار يوسف سلطان مصر بصبره وصارت زليخا ذليلة حقيرة فقيرة عجوزا عمياء لاجل شهوتها فان زليخا لم تصبر عن محبة يوسف (حكى) أبو الحسن الرازى انه رأى والده في منامه بعد موته بسنتين وعليه ثياب من القطران فقال له ياأبي مالى أري عليك هيئة أهل النار فقال ياولدي جذبتني نفسي الى النار فاحذر ياولدي من خديعة نفسك

انى ابتليت بأربع ماسلطوا * الا لشـدة شـقوتي وعنائي
ابليس والدنيا ونفسي والهوى * كيف الخلاص وكلهم أعدائى
وأري الهوي تدعواليه خواطرى * في ظلمة الشهوات والآراء

قال حاتم الاصم رحـمه الله نفسى رباطى وعلمي سلاحى وذنبى خيبتى والشيطان عدوي وأنا بنفسى غادر (حكي عن بعض أهل المعرفة) انه قال الجهاد على ثلاثة أصناف جهاد مع الكفار وهو جهاد الظاهر كالذي

في قوله تعالى يجاهدون في سبيل الله وجهاد مع أصحاب الباطل بالعلم والحجة كقوله تعالى وجادلهم بالتي هي أحسن وجهاد مع النفس الامارة بالسوء كالذي في قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله صلى الله عليه وسلم أفضل الجهاد جهاد النفس وان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كانوا اذا رجعوا من جهاد الكفار يقولون رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وانما سموا الجهاد مع الهوى والنفس والشيطان أكبر لان الجهاد معها أدوم وجهاد الكفار يكون في وقت دون وقت ولان الغازي يرى العدو ولا يرى الشيطان والجهاد مع عدو يراه أسهل من الجهاد مع عدو لا يراه ولان للشيطان معينا من نفسك وهو الهوى وليس للكافر من نفسك معين فلذلك كان أشد ولانك اذا قتلت الكافر تجد النصر والغنيمة وان قتلك الكافر تجد الشهادة والجنة ولا تقدر أن تقتل الشيطان وان قتلك الشيطان تقع في عقوبة الرحمن كما قيل من فر منه فرسه في الحرب يقع في أيدي الكفار ومن فر منه الايمان يقع في غضب الجبار نعوذ بالله منه ومن وقع في أيدي الكفار لا تغل يده الى عنقه ولا تقيد رجله ولا يجوع بطنه ولا يعري بدنه ومن وقع في غضب الجبار يسود وجهه وتغل يده الى عنقه بالاغلال وتقيد رجله بقيود النار ويكون طعامه نارا وشرابه نارا ولباسه من نار

﴿ الباب السادس في الغفلة ﴾

الغفلة تزيد الحسرة الغفلة تزيل النعمة وتحجب عن الخدمة الغفلة تزيد الحسد الغفلة تزيد الملامة والندامة حكى ان بعض الصالحين رأي

أستاذه في المنام فسأله أي الحسرة أعظم عندكم فقال حسرة الغفلة
وروى ان بعضهم رأى ذا النون المصري في منامه فقال له مافعل الله
بك فقال أوقفني بين يديه وقال لي يامدعي يا كذاب ادعيت محبتي
ثم غفلت عني

أنت في غفلة وقلبك ساهي * ذهب العمر والذنوب كما هي

(حكي) أن رجلا من الصالحين رأى والده في منامه فقال ياأبت كيف
أنت وكيف حالك فقال له ياولدي عشنا في الدنيا غافلين ومتنا غافلين
(وفي زهر الرياض) كان يعقوب عليه السلام مؤاخيا لملك الموت
فزاره فقال له يعقوب ياملك الموت أزائرا جئت أم قابضا روحي فقال
بل ازائرا قال فاني أسألك حاجة قال وما هي قال أن تعلمني اذادنا أجلي
وأردت أن تقبض روحي فقال نعم أرسل اليك رسولين أو ثلاثة فلما
انقضى أجله أتى اليه ملك الموت فقال أزائرا جئت أم لقبض روحي
فقال لقبض روحك فقال أولست كنت أخبرتني انك ترسل الى
رسولين أو ثلاثة قال قد فعلت بياض شعرك بعد سواده وضعف بدنك
بعد قوته وانحناء جسمك بعد استقامته هذه رسلي يايعقوب الى بني
آدم قبل الموت

مضى الدهر والايام والذنب حاصل * وجاء رسول الموت والقلب غافل
نعيمك في الدنيا غرور وحسرة * وعيشك في الدنيا محال وباطل

(قال) أبو علي الدقاق دخلت على رجل صالح أعوده وهو مريض
وكان من المشايخ الكبار وحوله تلاميذه وهو يبكي وقد بلغ أرذل العمر

فقلت له أيها الشيخ مم بكاؤك أعلى الدنيا فقال كلا بل أبكي على فوت صلاتي قلت وكيف ذلك وقد كنت مصليا قال لاني قد بقيت الى يومي هذا وما سجدت الا في غفلة ولا رفعت رأسي الا في غفلة وها أنا أموت على الغفلة ثم انه تنفس الصعداء وأنشأ يقول

تفكرت في حشري و يوم قيامتي * واصباح خدي في المقابر ثاويا
فريدا وحيدا بعد عز و رفعة * رهينا بجرمي والتراب وساديا
تفكرت في طول الحساب وعرضه * وذل مقامي حين أعطى كتابيا
ولكن رجائي فيك ربي وخالقي * بأنك تعفو يا الهي خطائيا

وفي عيون الاخبار ذكر عن شقيق البلخي أنه قال الناس يقولون ثلاثة أقوال وقد خالفوها في أعمالهم يقولون نحن عبيد الله وهم يعملون عمل الاحرار وهذا خلاف قولهم ويقولون ان الله كفيل بارزاقنا ولا تطمئن قلوبهم الا بالدنيا وجمع حطامها وهذا أيضا خلاف قولهم ويقولون لابد لنا من الموت وهم يعملون أعمال من لا يموت وهذا أيضا خلاف قولهم فانظر لنفسك يا أخي باى بدن تقف بين يدى الله تعالي وبأي لسان تجيبه وماذا تقول اذا سألك عن القليل والكثير فأعد للسؤال جوابا وللجواب صوابا واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون أى من الخير والشر ثم وعظ المؤمنين بأن لا يتركوا أمره وبان يوحدوه في السر والعلانية (جاء في الخبر) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال مكتوب على ساق العرش أنا مطيع من أطاعني ومحب من أحبني ومجيب من دعاني وغافر لمن استغفرني فينبغي للعاقل أن يطيع الله

بالخوف والاخلاص في طاعته والرضا بقضائه والصبر على بلائه وبالشكر على نعمائه والقناعة باعطائه يقول الله تعالى من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر على نعمائي ولم يقنع بعطائي فيطلب ربا سوائي * وقال رجل للحسن البصري رحمه الله اني لاأجد للطاعة لذة فقال له لعلك نظرت في وجه من لايخاف الله العبودية أن تترك الاشياء كلها لله * وقال رجل لابي يزيد رحمه الله اني لاأجد للطاعة لذة فقال لانك تعبد الطاعة لاتعبد الله اعبد الله حتى تجد للطاعة لذة (حكي) أن رجلا دخل في الصلاة فلما انتهى الى قوله اياك نعبد خطر بباله أنه عابد لله في الحقيقة فنودي في السر كذبت انما تعبد الخلق فتاب واعتزل الناس ثم شرع في الصلاة فلما انتهى الى قوله اياك نعبد نودي كذبت انما تعبد مالك فتصدق بماله كله ثم شرع في الصلاة فلما انتهى الى قوله اياك نعبد نودي كذبت انما تعبد ثيابك فتصدق بها الا مالا بدله منه ثم شرع فيها فلما انتهى الى قوله اياك نعبد نودي الآن صدقت انما تعبد ربك (وفي رونق المجالس) ضاع لرجل جوالق فلم يدر من أخذه منه فلما دخل في الصلاة تذكره فلما سلم قال لغلامه اذهب الى فلان ابن فلان واسترد منه الجوالق فقال له الغلام متى ذكرته فقال حين كنت في الصلاة فقال يامولاي كنت طالب الجوالق لاطالب الخالق فاعتقه مولاه ببركة اعتقاده * فينبغي للعاقل أن يترك الدنيا ويعبد الله ويتفكر أمامه ويريد الآخرة كما قال الله تعالى (من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا) أي ملاذها من

لباسها وطعامها وشرابها (أوتيه منها وما له في الآخرة من نصيب) بأن ينزع من قلبه حب الآخرة ولذلك أنفق أبو بكر الصديق رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم أربعين ألف دينار في السر وأربعين ألف دينار في العلانية حتى لم يبق له شيء وكان صلى الله عليه وسلم معرضا عن الدنيا وشهواتها ولذاتها هو وأهله ولذلك كان جهاز السيدة الزهراء رضى الله عنها لما زوجها النبي صلى الله عليه وسلم من على جلد كبش مدبوغ ووسادة أدم حشوها ليف

﴿ الباب السابع في نسيان الله تعالى والفسق والنفاق ﴾

جاءت امرأة الى الحسن البصري رضى الله عنه فقالت انه كانت لي ابنة شابة فماتت وأحببت أن أراها في المنام فجئتك كي تعلمني ماأستعين به علي رؤيتها فعلمها فرأتها وعليها لباس من قطران وفي عنقها الغل وفي رجلها القيد فأخبرت الحسن بذلك فاغتم ومضت مدة ثم رآها الحسن في الجنة وعلى رأسها تاج فقالت ياحسن أما تعرفني أنا ابنة المرأة التي أتتك وقالت لك كذا فقال لها ماالذي صيرك الي ماأري قالت مر بنا رجل فصلى على النبي صلى الله عليه وسلم مرة وكان في المقبرة خمسمائة وخمسون انسانا في العذاب فنودي ارفعوا العذاب عنهم ببركة صلاة هذا الرجل (نكتة) بصلاة رجل على محمد صلى الله عليه وسلم أصابتهم المغفرة فمن يصلي عليه منذ خمسين سنة أفلا يجد شفاعته يوم القيامة * قال الله تعالى (ولا تكونوا) أي في المعصية (كالذين) يعني كالمنافقين الذين (نسوا الله) يعني تركوا أمر الله وفعلوا خلافه

وتلذذوا بشهوات الدنيا وركنوا الى غرورها *** وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المؤمن والمنافق فقال ان المؤمن همه في الصلاة والصيام والمنافق همه في الطعام والشراب كالبهيمة وترك العبادة والصلاة والمؤمن مشغول بالصدقة وطلب المغفرة والمنافق مشغول بالحرص والامل والمؤمن آيس من كل أحد الا من الله والمنافق راج كل أحد الا الله والمؤمن يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله والمؤمن آمن من كل أحد الا من الله والمنافق خائف من كل أحد الا من الله والمؤمن يحسن ويبكي والمنافق يسيء ويضحك والمؤمن يحب الوحدة والخلوة والمنافق يحب الخلطة والملا والمؤمن يزرع ويخشى الفساد والمنافق يقلع ويرجو الحصاد والمؤمن يأمر وينهي سياسة دينية ويصلح والمنافق يأمر وينهي رياسة ويفسد بل يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف كما قال الله تعالى (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم) وقال تعالى (ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا) الآية يعني ان ماتوا على كفرهم ونفاقهم فبدأ بالمنافقين لانهم شر من الكفار وجعل مأواهم جميعا النار وقال تعالى (ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا) الآية والمنافق اشتقاقه في اللغة من نافقاء اليربوع ويقال ان لليربوع حجرتين احداهما النافقاء والاخرى القاصعاء فيظهر

نفسه في احداها و يخرج من الاخرى ولهذا سمى المنافق منافقا لانه يظهر من نفسه أنه مسلم ويخرج من الاسلام الى الكفر (وفي الحديث) مثل المنافق كمثل الشاة ترى بين قطيعين من الغنم تارة تسير الى هذا القطيع وتارة الى هذا القطيع ولا تسكن لواحد منهما الانها غريبة ليست منهما وكذلك المنافق لا يستقر مع المسلمين بالكلية ولا مع الكافرين ان الله خلق النار ولها سبعة أبواب كما قال الله تعالى (لها سبعة أبواب) الآية من حديد مطبقة بالمعنة وعليها ظهارة النحاس وبطانة الرصاص في أصلها العذاب وفوقها السخط وأرضها من نحاس وزجاج وحديد ورصاص النار من فوق أهلها والنار من تحتهم والنار عن أيمانهم والنار عن شمائلهم طبقاتها بعضها فوق بعض أعد للمنافقين منها الدرك الاسفل وجاء في الخبر ان جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا جبريل صف لي النار وحرها فقال ان الله عز وجل خلق النار فأوقدها ألف عام حتى احمرت ثم أوقدها ألف عام حتى ابيضت ثم أوقدها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة والذى بعثك بالحق نبيا لو أن ثوبا من ثياب أهل النار ظهر لاهل الارض لماتوا جميعا ولو أن دلوا من شرابها صب على ماء الارض جميعه لقتل من ذاقه ولو أن ذراعا من السلسلة التي ذكرها الله تعالى بقوله في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا الآية كل ذراع طوله من المشرق الى المغرب لو وضع على جبال الدنيا لذابت ولو أن رجلا دخل النار ثم أخرج منها لمات أهل الارض من نتن ريحه وسأل صلى الله عليه وسلم جبريل فقال يا جبريل صف لي أبواب جهنم أهي كأبوابنا هذه فقال يا رسول الله لا ولكنها طباق بعضها أسفل

من بعض من الباب الى الباب مسيرة سبعين سنة كل باب منها أشد حرا من الذي يليه بسبعين ضعفا وسأله أيضا عن سكان هذه الابواب فقال أما الاسفل ففيه المنافقون واسمه الهاوية كما قال الله تعالى ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار والباب الثاني فيه المشركون واسمه الجحيم والباب الثالث فيه الصابؤن واسمه سقر والباب الرابع فيه ابليس عليه اللعنة ومن تبعه من المجوس واسمه لظى والباب الخامس فيه اليهود واسمه الحطمة والباب السادس فيه النصارى واسمه السعير ثم أمسك جبريل عليه السلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تخبرنى عن سكان الباب السابع فقال جبريل يا محمد لا تسألني عنه فقال له أخبرنى عنه فقال فيه أهل الكبائر من أمتك الذين ماتوا ولم يتوبوا (روي) أنه لما نزل قوله تعالى وان منكم الا واردها اشتد خوفه صلى الله عليه وسلم على أمته وبكى بكاء شديدا فالعارف بالله وبشدة سطوته وقهره يخافه خوفا شديدا ويبكى على نفسه وتفريطه قبل أن يرى هذه الشدائد ويعاين هذه الدار المخوفة المهولة وقبل أن تهتك الاستار ويعرض على المنتقم الجبار ويؤمر به الى النار فكم من شيخ ينادى في النار واشيبتاه وكم من شاب ينادي في النار واشباباه وكم من امرأة فى النار تنادى وافضيحتاه واهتك ستراه وقد سودت وجوههم وأجسادهم وانكسرت ظهورهم فلا يكرم كبيرهم ولا يرحم صغيرهم ولا تستر اسلوهم اللهم أجرنا من النار ومن عذاب النار ومن كل عمل يقربنا الى النار وأدخلنا الجنة مع الابرار برحمتك يا عزيز يا غفار اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا وأقلنا من

عثراتنا ولا تفضحنا بين يديك ياأرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب الثامن في التوبة ﴾

التوبة واجبة على كل مسلم ومسلمة قال الله تعالى توبوا الى الله توبة نصوحا والامر للوجوب وقال تعالى (ولا تكونوا كالذين نسوا الله) يعني عاهدوا الله ونبذوا كتابه وراء ظهورهم (فأنساهم أنفسهم) يعني أنساهم حالهم حتى لم ينهوا أنفسهم ولم يقدموا لها خيرا وقال صلى الله عليه وسلم من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه أولئك هم الفاسقون يعنى العاصون الناقضون عهدهم أي الخارجون عن طريق الهداية والرحمة والمغفرة والفاسق على نوعين فاسق كافر وفاسق فاجر فالفاسق الكافر هو من لم يؤمن بالله ورسوله وخرج عن الهداية ودخل في الضلالة كما قال الله تعالى فسق عن أمر ربه يعني خرج عن طاعة أمر ربه بالايمان والفاسق الفاجر هو الذى يشرب الخمر ويأكل الحرام ويزني ويعصى الله تعالى ويخرج من طريق العبادة ويدخل في المعصية ولا يأتي بالشرك والفرق بينهما أن الفاسق الكافر لا يرجي غفرانه الا بالشهادة والتوبة قبل موته والفاسق الفاجر يرجي غفرانه بالتوبة والندامة قبل الموت فان كل معصية أصلها من الشهوة النفسانية يرجي غفرانها وكل معصية أصلها من الكبر لا يرجي غفرانها ومعصية ابليس كان أصلها من الكبر فينبغي لك أن تتوب من ذنوبك قبل الموت رجاء أن يقبلك الله كما قال الله تعالى وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن

السيآت الآية يعني يتجاوز عما عملوا بقبوله التوبة وقال صلي الله عليه وسلم التائب من الذنب كمن لاذنب له ﴿ حكي ﴾ ان رجلا كان كلما أذنب يكتب ذنبه في ديوان فأذنب يوما ذنبا فنشر ديوانه ليكتبه فيه فلم يجد فيه الا قوله تعالي فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات الآية يعني يبدل مكان الشرك الايمان ومكان الزنا العفو ومكان المعصية العصمة والطاعة ﴿ وحكي ﴾ ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر وقتا من الاوقات من سكك المدينة فاستقبله شاب وهو حامل قارورة تحت ثيابه فقال عمر أيها الشاب ما الذى تحمله تحت ثيابك وكان فيها خمر فخجل الشاب أن يقول خمرا وقال في سره الهي لاتخجلني عند عمر ولاتفضحني واسترني عنده فلا أشرب الخمر أبدا ثم قال ياأمير المؤمنين الذى أحمله هو خل فقال أرني حتي أراها فكشفها بين يديه فرآها عمر صارت خلا فانظر الي مخلوق تاب من خوف مخلوق فبدل الله سبحانه وتعالى خمره بالخل لما علم منه اخلاص التوبة فلو تاب العاصى المفلس عن الاعمال الفاسدة توبة نصوحا وندم على ذنبه بدل الله سبحانه وتعالي خمر سيآته بخل الطاعة * وذكر عن أبى هريرة رضى الله عنه قال خرجت ذات ليلة بعدما صليت العشاء لآخرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا أنا بامرأة فى الطريق فقالت ياأبا هريرة اني ارتكبت ذنبا فهل لي من توبة فقلت وما ذنبك قالت اني زنيت وقتلت ولدي من الزنا فقلت لها هلكت وأهلكت والله مالك من توبة فخرت مغشيا عليها فمضيت فقلت في نفسي أفتي ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا فرجعت اليه فأخبرته بذلك

فقال هلكت وأهلكت فأين أنت من هذه الآية والذين لا يدعون مع الله الها آخر الي قوله فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات الآية فخرجت وقالت من يدلني على امرأة سألتني مسئلة والصبيان يقولون جن أبو هريرة حتى أدركتها وأخبرتها بذلك فشهقت شهقة من السرور وقالت ان لي حديقة جعلتها صدقة لله ورسوله ﴿ حكاية ﴾ عن عتبة الغلام رحمه الله تعالى وكان من أهل الفسق والفجور مشهورا بالفساد وشرب الخمر فدخل يوما في مجلس الحسن البصري وهو يقرأ في تفسير قوله تعالى ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله يعني ألم يجيء وقت تخاف قلوبهم فوعظ الشيخ في تفسير هذه الآية وعظا بليغا حتى أبكى الناس فقام من بينهم شاب فقال يا تقي المؤمنين أيقبل الله تعالى الفاسق الفاجر مثلي اذا تاب فقال الشيخ نعم يقبل الله توبة فسقك وفجورك فلما سمع عتبة الغلام هذا الكلام اصفر وجهه وارتعدت فرائصه فصاح صيحة فخر مغشيا عليه فلما أفاق دنا منه الحسن وقال هذه الابيات

أيا شابا لرب العرش عاصي * أتدري ما جزاء ذوي المعاصي

سعير للعصاة لها زفير * وغيظ يوم يؤخذ بالنواصي

فان تصبر على النيران فاعصه * والا كن عن العصيان قاصي

وفيما قد كسبت من الخطايا * رهنت النفس فاجهد في الخلاص

فصاح عتبة صيحة عظيمة وخر مغشيا عليه فلما أفاق قال يا شيخ هل يقبل الرب الرحيم توبة مثلي اللئيم فقال الشيخ هل يقبل توبة العبد الجافي الا الرب المعافي ثم رفع رأسه ودعا ثلاث دعوات الاولى قال الهي ان

كنت قبلت توبتي وغفرت ذنوبي فأكرمني بالفهم والحفظ حتى أحفظ كل ماسمعت من العلم والقرآن والثانية قال الهي أكرمني بحسن الصوت حتى ان كل من سمع قراءتي يزداد رقة في قلبه وان كان قاسي القلب والثالثة قال الهي أكرمني بالرزق الحلال وارزقني من حيث لا أحتسب فاستجاب الله جميع دعائه حتى زاد فهمه وحفظه وكان اذا قرأ القرآن تاب كل من سمع قراءته وكان يوضع في بيته كل يوم قصعة من المرق ورغيفان ولا يدري أحد من يضعها وكان على هذه الحالة حتي فارق الدنيا وهذا حال من أناب الي الله تعالى لان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا * وسئل بعض العلماء هل يعرف العبد اذا تاب أن توبته قبلت أو ردت فقال لا حكم في ذلك ولكن لذلك علامات أن يري نفسه معصومة من المعصية ويري الفرح عن قلبه غائبا والرب شاهدا ويقارب أهل الخير ويباعد أهل الفسق فيري القليل من الدنيا كثيرا والكثير من عمل الآخرة قليلا ويري قلبه مشتغلا بما فرض الله تعالي عليه ويكون حافظا لسانه دائم الفكرة ملازم الغم والندامة على مافرط من ذنوبه

﴿ الباب التاسع في المحبة ﴾

ذكر أن رجلا رأى صورة قبيحة في البادية فقال من أنت قالت أنا عملك القبيح قالت فما النجاة منك قال الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كما قال صلى الله عليه وسلم الصلاة على نور على الصراط ومن صلى على يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين عاما ﴿ وحكي ﴾ أن رجلا كان غافلا عن الصلاة على سيدنا محمد فرأى النبي صلى الله عليه وسلم

ليلة في المنام ولم يلتفت اليه فقال يارسول الله أأنت علي غضبان قال لا قال فلم لا تنظر الي قال لاني لا أعرفك فقال كيف لا تعرفني وأنا رجل من أمتك وقد روى العلماء انك أعرف بأمتك من الوالدة بالولد فقال صدقوا ولكن انك لا تذكرني بالصلاة وان معرفتي بأمتي بقدر صلاتهم علي ثم انتبه الرجل وأوجب علي نفسه أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم كل يوم مائة مرة ففعل ذلك ثم رآه بعد ذلك في المنام فقال أعرفك الآن وأشفع لك أي لانه صار محبا لرسول الله انتهي * قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله الآية سبب نزولها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا كعب بن الاشرف وأصحابه الى الاسلام قالوا نحن في المنزلة أبناء الله ولنحن أشد حبا لله فقال الله تعالى لنبيه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني على ديني فاني رسول الله أؤدي رسالته اليكم وحجته عليكم يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم وحب المؤمنين لله اتباعهم أمره وايثار طاعته وابتغاء مرضاته وحب الله للمؤمنين ثناؤه عليهم وثوابه لهم وعفوه عنهم والعامه عليهم برحمته وعصمته وتوفيقه قال الامام في احيائه من ادعى أربعا من غير أربع فهو كذاب من ادعي حب الجنة ولم يعمل بالطاعة فهو كذاب ومن ادعى حب النبي صلي الله عليه وسلم ولم يحب العلماء والفقراء فهو كذاب ومن ادعى الخوف من النار ولم يترك المعاصي فهو كذاب ومن ادعى حب الله تعالى وشكا من البلوي فهو كذاب كما قالت رابعة

تعصي الاله وأنت تظهر حبه * هذا لعمري في القياس بديع

لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

وعلامة المحبة موافقة المحبوب واجتناب خلافه (حكي) ان جماعة دخلوا على الشبلي رحمه الله تعالى فقال من أنتم قالوا نحن أحباؤك فاقبل ثم رماهم بالحجارة فهربوا منه فقال لم تهربون مني لو كنتم أحبائي لما فررتم من بلائي ثم قال الشبلي رحمه الله أهل المحبة شربوا بكأس الوداد فضاقت عليهم الارض والبلاد وعرفوا الله حق معرفته وتاهوا في عظمته وتحيروا في قدرته وشربوا بكاس حبه وغرقوا في بحر أنسه وتلذذوا بمناجاته ثم أنشد

ذكر المحبة يامولاي أسكرني * وهل رأيت محبا غير سكران

ويقال ان البعير اذا سكر لايأكل العلف أربعين يوما ولو حمل عليه أضعاف مايحمله حمله لانه اذا هاج في قلبه ذكر محبوبه لايحب العلف ولا يعيا من الحمل الثقيل لاشتياقه الى محبوبه فاذا كان من شأن الابل أن تترك شهوتها وتحمل الحمل الثقيل لاجل محبوبها فهل أنتم تركتم شهوة محرمة لاجل الله وهل تركتم طعاما وشرابا لاجل الله تعالى وهل حملتم على أنفسكم حملا ثقيلا لاجل الله تعالى فان لم تفعلوا شيئا من الخيرات مما ذكرت فدعوا كم اسم بلا معنى لاتنفع في الدنيا ولا في العقبي ولا عند الخلق ولا عند الخالق وعن علي كرم الله وجهه قال من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ومن خاف من النار نهى نفسه عن الشهوات ومن تيقن الموت هانت عليه اللذات (وسئل) ابراهيم الخواص عن المحبة فقال محو الارادات واحراق جميع الصفات والحاجات

واغراق نفسه في بحر الاشارات

﴿ الباب العاشر في العشق ﴾

الحب عبارة عن ميل الطبع الى الشئ الملذ فان تأكد ذلك الميل وقوي سمي عشقا فيتجاوز الى أن يكون رقيقا لمحبوبه وينفق مايملك لاجله ألا ترى الى زليخا بلغ بها من محبة يوسف عليه السلام أن ذهب مالها وجمالها وكان لها من الجواهر والقلائد وقر سبعين جملا وقد أنفقتها كلها في محبة يوسف وكل من قال رأيت يوسف اليوم أعطته قلادة تغنيه حتى لم يبق لها شيء وكانت تسمي كل شيء باسم يوسف وقد نسيت كل شيء سواه من فرط العشق واذا رفعت رأسها الى السماء رأت اسم يوسف مكتوبا على الكواكب * وروي أنها لما آمنت وتزوجت به عليه السلام انفردت عنه وتخلت للعبادة وانقطعت الى الله تعالى فكان يدعوها الى فراشه نهارا فتدافعه الى الليل فاذا دعاها ليلا سوفت به الى النهار وقالت يايوسف انما كنت أحبك قبل أن أعرفه فاما اذا عرفته فما أبقت محبته محبة اسواه وما أريد به بدلا حتى قال لها ان الله جل ذكره أمرني بذلك وأخبرني أنه مخرج منك ولدين وجاعلهما نبيين فقالت أما اذا كان الله تعالى أمرك بذلك وجعلني طريقا اليه فطاعة لامر الله تعالى فعندها سكنت اليه (وحكى) أن مجنون ليلى قيل له ما اسمك قال ليلى وقيل له يوما أو ماتت ليلى قال ان ليلى في قلبي لم تمت أنا ليلى ومر يوما على دار ليلى فنظر الى السماء فقيل له يامجنون لاتنظر الى السماء ولكن انظر الى جدار ليلى لعلك تراها قال

أنا أكتفي بنجم يقع ظله على دار ليلى (وحكي) عن منصور الحلاج رحمه الله تعالى انهم حبسوه ثمانية عشر يوما فجاء الشبلى رضى الله عنه فقال يامنصور ما المحبة فقال لا تسألني اليوم واسألني غدا فلما جاء الغد وأخرجوه من السجن ونصبوا النطع لاجل قتله مر الشبلي بين يديه فنادى ياشبلى المحبة أولها حرق وآخرها قتل (اشارة) لما تحقق للحلاج رضى الله عنه في نظره ان كل شئ ماخلا الله باطل وعلم ان الله هو الحق نسى عنده تحقق اسم الحق اسم نفسه فسئل من أنت قال أنا الحق ﴿روى﴾ ان صدق المحبة في ثلاث خصال أن يختار كلام حبيبه على كلام غيره ويختار مجالسة حبيبه على مجالسة غيره ويختار رضا حبيبه على رضا غيره كذا في المنتهى وقيل العشق هتك الاستار وكشف الاسرار والوجد عجز الروح عن احتمال غلبة الشوق عند وجود حلاوة الذكر حتى لو قطع عضو من أعضائه لايحس ولا يشعر (وحكي) ان رجلا كان يغتسل في الفرات فسمع رجلا يقرأ وامتازوا اليوم أيها المجرمون فلم يزل يضطرب حتى غرق ومات وعن محمد بن عبد الله البغدادي قال رأيت في البصرة شابا على سطح مرتفع قد أشرف على الناس وهو يقول من مات عاشقا فليمت هكذا لاخير في عشق بلا موت ثم رمى بنفسه فحمل ميتا * قال الجنيد رحمه الله تعالى التصوف ترك الاختيار (وحكي) ان ذا النون المصرى رحمه الله دخل المسجد الحرام فرأى شابا عريانا مطروحا مريضا تحت اسطوانة وله أنين من قلب حزين قال فدنوت منه وسلمت عليه وقلت له من أنت ياغلام قال أنا غريب عاشق فعلمت

مايقول قلت وأنا مثلك فبكى و بكيت أنا ببكائه قال أتبكي أنت فقلت أنا مثلك فبكي بأعلى صوته وصاح صيحة عظيمة عالية فخرجت ر وحه من ساعته فطرحت عليه ثوبي وخرجت من عنده لطلب الكفن فاشتريت الكفن ورجعت اليه فلم اجده في مكانه فقلت سبحان الله فسمعت هاتفا يقول ياذا النون ان هذا الغريب الذي طلبه الشيطان في الدنيا فما وجده وطلبه مالك فلم يره وطلبه رضوان في الجنة فما وجده قلت فأين هو قال فسمعت هاتفا يقول في مقعد صدق عند مليك مقتدر بسبب محبته و كثرة طاعته وتعجيل توبته كذا في زهر الرياض (وسئل) بعض المشايخ عن المحب فقال قليل الخلطة كثير الخلوة دائم الفكرة ظاهر الصمت لايبصر اذا نظر ولا يسمع اذا نودي ولا يفهم اذا كلم ولا يحزن اذا أصيب بمصيبة واذا أصيب بجوع فلا يدري و يعري ولا يشعر ويشتم ولا يختشي ينظر الى الله تعالى في خلوته ويأنس به ويناجيه ولا ينازع أهل الدنيا فى دنياهم وقد قال أبو تراب النخشبي في علامات المحبة أبياتا

لاتخدعن فللحبيب دلائل * ولديه من تحف الحبيب وسائل

منها تنعمه بمر بلائه * وسروره في كل ماهو فاعل

فالمنع منه عطية مقبولة * والفقر اكرام وبر عاجل

ومن الدلائل أن ترى من عزمه * طوع الحبيب وان ألح العاذل

ومن الدلائل أن يرى متبسما * والقلب فيه من الحبيب بلابل

ومن الدلائل أن يرى متفهما * لكلام من يحظى لديه السائل

ومن الدلائل أن يرى متقشفا * متحفظا من كل ما هو قائل

(حكاية) مر عيسى عليه السلام بشاب يسقي بستانا فقال الشاب لعيسى سل ربك أن يرزقني من محبته مثقال ذرة فقال عيسى لا تطيق مقدار ذرة فقال نصف ذرة فقال عيسى عليه السلام يارب ارزقه نصف ذرة من محبتك فمضى عيسى عليه السلام فلما كان بعد مدة طويلة مر بمحل ذلك الشاب فسأل عنه فقالوا جن وذهب الى الجبال فدعا الله عيسى عليه السلام أن يريه اياه فرآه بين الجبال فوجده قائما على صخرة شاخصا طرفه الى السماء فسلم عليه عيسى عليه السلام فلم يرد عليه فقال أنا عيسى فأوحى الله تعالى الى عيسى كيف يسمع كلام الآدميين من كان في قلبه مقدار نصف ذرة من محبتي فوعزتي وجلالي لو قطعته بالمنشار لما علم بذلك * من ادعى ثلاثة ولم يتطهر من ثلاثة فهو مغرور أولها من ادعى حلاوة ذكر الله وهو يحب الدنيا وثانيها من ادعى محبة الاخلاص في العمل ويحب تعظيم الناس له وثالثها من ادعى محبة خالقه من غير اسقاط نفسه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيأتي زمان على أمتي يحبون خمسا وينسون خمسا يحبون الدنيا وينسون الآخرة ويحبون المال وينسون الحساب ويحبون الخلق وينسون الخالق ويحبون الذنوب وينسون التوبة ويحبون القصور وينسون المقبرة وقال منصور ابن عمار لشاب يعظه ياشاب لا يغررك شبابك فكم من شاب أخر التوبة وأطال الامل ولم يذكر موته فقال انى أتوب غدا أو بعد غد فجاءه ملك الموت وهو غافل عن التوبة فصار في جوف القبر لا ينفعه

مال ولا عبد ولا ولد ولا أب ولا أم كما قال الله تعالى يوم لاينفع مال ولا بنون الا من أتي الله بقلب سليم اللهم ارزقنا التوبة قبل الموت ونبهنا عند الغفلة وانفعنا بشفاعة نبينا خير المرسلين صلى الله عليه وسلم صفة المؤمن أن يتوب من يومه وساعته ويندم على مافعل من ذنوبه ويرضى بالقوت من الدنيا ولا يشتغل بالدنيا بل يشتغل بعمل الآخرة ويعبد الله تعالى بالاخلاص (حكاية) كان رجل بخيل منافق حلف على زوجته بالطلاق أن لاتتصدق بصدقة فجاء سائل علي باب داره وقال ياأهل الدار بحق الله الا أعطيتموني شيأ فاعطته المرأة ثلاثة أرغفة فاستقبله المنافق وقال من أعطاك هذه الارغفة قال أعطوني من الدار الفلانية فكانت داره فدخل المنافق داره وقال لامرأته ألست قد حلفت عليك أن لا تعطي أحدا شيأ فقالت أعطيت لاجل الله عز وجل فذهب المنافق وأوقد التنور حق حمى ثم قال قومي فألق نفسك في التنور لاجل الله فقامت المرأة وأخذت حلاها فقال المنافق دعي الحلي فقالت المرأة الحبيب يتزين لحبيبه وأنا زائرة لحبيبي ثم ألقت نفسها في التنور فاطبق المنافق عليها ومضي فلماتم لها ثلاثة أيام جاء المنافق ففتح عليها رأس التنور فرأى المرأة سالمة بقدرة الله تعالى فتعجب الرجل من تلك الحال فهتف به هاتف يقول أما علمت أن النار لاتحرق أحبابنا (وحكي) أن آسية امرأة فرعون كانت تكتم ايمانها من فرعون فلما اطلع فرعون علي ايمانها أمر بها أن تعذب فعذبوها بانواع العذاب وقال ارتدي فلم ترتد فاتي بأوتاد وضربوها على أعضائها ثم قال ارتدى فقالت انك تغلب

نفسي وقلبي في عصمة ربي لو قطعتني اربا ما ازددت الا حبا فمر موسى عليه السلام بين يديها فنادت موسى أخبرني أراض عني ربي أم ساخط قال موسى عليه السلام يا آسية ملائكة السموات في انتظارك أي مشتاقة اليك والله يباهي بك فاسأليني حاجتك فانها مقضية فقالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين * وعن سلمان رضي الله عنه قال كانت امرأة فرعون تعذب بالشمس فاذا انصرفوا عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها وكانت ترى بيتها في الجنة وعن أبي هريرة أن فرعون وتد لامرأته أربعة أوتاد وأضجعها وجعل على صدرها رحى واستقبل بها عين الشمس فرفعت رأسها الى السماء فقالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة الآية قال الحسن فنجاها الله أكرم نجاة ورفعها الى الجنة فهي تأكل وتشرب وفيه دليل على أن الاستعاذة بالله والالتجاء اليه ومسألة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين وديدن المؤمنين

﴿ الباب الحادي عشر في طاعة الله ومحبته ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم ﴾

قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله اعلم رحمك الله أن محبة العبد لله ولرسوله طاعته لهما واتباعه أمرهما ومحبة الله للعباد انعامه عليهم بالغفران قيل العبد اذا علم أن الكمال الحقيقي ليس الا لله وان كل مايراه كمالا من نفسه أو من غيره فهو من الله وبالله لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه اليه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول

صلى الله عليه وسلم في عبادته والحث على طاعته وعن الحسن قال أقوام
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد انا لنحب ربنا فانزل
الله هذه الآية وعن بشر الحافي رضي الله عنه قال رأيت النبي صلى
الله عليه وسلم في المنام فقال يا بشر أتدري بم رفعك الله من بين أقرانك
قلت لا يارسول الله قال بخدمتك للصالحين و نصيحتك لاخوانك ومحبتك
لاصحابك وأهل سنتي واتباعك لسنتي قال صلى الله عليه وسلم من أحيا
سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي يوم القيامة في الجنة وجاء في
الآثار المشهورة أن المتمسك بسنة سيد الخلائق والمرسلين عند فساد
الخلق واختلاف المذاهب له أجر مائة شهيد كذا في شرعة الاسلام
وقال كل أمتي يدخلون الجنة الا من أبى قالوا ومن أبى قال من أطاعني دخل
الجنة ومن عصاني فقد أبى كل عمل ليس على سنتي فهو معصية وقال
بعضهم لو رأيت شيخا يطير في الهواء أو يمشي على البحر أو يأكل النار
أو غير ذلك وهو يترك فرضا من فرائض الله تعالى أو سنة من السنن
عامدا فاعلم انه كذاب فى دعواه وليس فعله كرامة بل هو استدراج
نعوذ بالله منه قال الجنيد رحمه الله ماوصل أحد الى الله الا بالله والسبيل
الى الوصول الى الله متابعة المصطفى صلى الله عليه وسلم وقال أحمد
الحواري رحمه الله كل عمل بغير اتباع السنة فباطل كما قال صلى الله
عليه وسلم من ضيع سنتي حرمت عليه شفاعتي كذا في شرعة الاسلام
(حكي) أن رجلا رأى من بعض المجانين ما استجهله فيه فأخبر بذلك
معروفا الكرخي رحمه الله فتبسم ثم قال يا أخي له محبون صغار وكبار

وعقلاء ومجانين فهذا الذي رأيته من مجانينهم (وحكى) عن الجنيد انه قال مرض أستاذنا السري رحمه الله فلم نعرف لعلته دواء ولا عرفنا لها سببا فوصف لنا طبيب حاذق فأخذنا قارورة مائه فنظر اليها الطبيب وجعل ينظر اليه مليا ثم قال أراه بول عاشق قال الجنيد فصعقت وغشي علي ووقعت القارورة من يدي ثم رجعت الي السري فأخبرته فتبسم ثم قال قاتله الله ما أبصره قلت يا أستاذ وتبين المحبة في البول قال نعم قال الفضيل رحمه الله اذا قيل لك أتحب الله فاسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم فليس وصفك وصف المحبين فاحذر المقت وقال سفيان من أحب من يحب الله تعالى فانما أحب الله ومن أكرم من يكرم الله تعالي فانما يكرم الله تعالي وقال سهل رحمه الله علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي صلي الله عليه وسلم وعلامة حبه صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها الا زادا وبلغة الى الآخرة قال أبو الحسن الزنجاني أصل العبادة على ثلاثة أركان العين والقلب واللسان فالعين بالعبرة والقلب بالفكرة واللسان بالصدق والتسبيح والذكر كما قال الله تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا يعني غدوا وعشيا (حكي) ان عبد الله وأحمد بن حرب حضرا موضعا فقطع أحمد بن حرب قطعة من حشيش الارض فقال له عبد الله حصل عليك خمسة أشياء شغل قلبك به عن تسبيح مولاك وعودت نفسك الاشتغال بغير ذكر الله

تعالى وجعلت ذلك طريقا يقتدي بك فيه ومنعته عن تسبيح ربه وألزمت نفسك حجة الله عز وجل يوم القيامة كذا في رونق المجالس وعن السري رضي الله عنه قال رأيت مع الجرجاني سويقا يستف منه فقلت لماذا لا تأكل طعاما غيره قال اني حسبت ما بين المضغ والاستفاف تسعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ أربعين سنة وكان سهل ابن عبد الله يأكل في كل خمسة عشر يوما مرة فاذا دخل رمضان لم يأكل فيه الا أكلة واحدة ويصبر في بعض الاوقات عن الطعام سبعين يوما وكان إذا أكل ضعف واذا جاع قوي وجاور أبو حماد الاسود في المسجد الحرام ثلاثين سنة وما رؤي انه أكل أو شرب ولا يخلو ساعة من ذكر الله (وحكي) ان عمرو بن عبيد كان لايخرج من منزله الا لثلاث للصلاة مع الجماعة ولعيادة المريض وحضور الجنازة ويقول رأيت الناس سراقا وقطاعا لطريق العمر جوهر نفيس لاقيمة له فينبغي أن تملأ منه خزانة باقية في الآخرة واعلموا بأن طالب الآخرة لابد له من الزهد في الحياة الدنيا ليصير همه هما واحدا ولا يفترق باطنه من ظاهره ولا يمكن حفظ الحال الا بضبط الظاهر والباطن قال الشبلي رحمه الله وكنت أول بدايتي اذا غلبني النوم اكتحلت بالملح فاذا زاد على الامر أحمي الميل فاكتحل به (وحكي) عن ابراهيم بن الحاكم انه قال كان أبي اذا جاءه النوم دخل البحر فيسبح فتجتمع اليه حيتان البحر يسبحون معه ﴿وحكي﴾ أن وهب بن منبه دعا الله أن يرفع عنه النوم بالليل فذهب عنه النوم أربعين سنة وكان حسين الحلاج قيد نفسه من كعبه

الى ركبتيه بثلاثة عشر قيدا وكان يصلي مع ذلك كل يوم وليلة ألف ركعة وكان الجنيد يأتي الى السوق في بداية أمره فيفتح حانوته فيدخله ويسبل الستر فيصلي أربعمائة ركعة ثم يرجع الى بيته وصلى حبشي بن داود صلاة الغداة أربعين سنة على طهر العشاء فينبغي للمؤمن أن يكون دائما على الطهارة وكلما أحدث يتطهر ويصلي ركعتين ويجتهد أن يستقبل القبلة في كل مجلسه ويصور في نفسه انه جالس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم على قدر الحضور والمراقبة حتى يلازم السكينة والوقار في الفعل ويحتمل الاذى ولا يقابل المسيء ويستغفر لكل مسيء ولا يعجب بنفسه ولا بعمله فان العجب من صفة الشيطان وينظر الى نفسه بعين الحقارة ويرى الصالحين بعين الاحترام والتعظيم فمن لم يعرف حرمة الصالحين حرمه الله تعالى صحبتهم ومن لم يعرف حرمة الطاعة نزع من قلبه حلاوتها * سئل الفضيل بن عياض فقيل له يا أبا علي متى يكون الرجل صالحا قال اذا كانت النصيحة في نيته والخوف في قلبه والصدق في لسانه والعمل الصالح في جوارحه قال الله تعالى في معراج النبي صلى الله عليه وسلم يا أحمد ان أحببت أن تكون أورع الناس فازهد في الدنيا وارغب في الآخرة فقال الهي كيف أزهد في الدنيا فقال خذ من الدنيا بقدر الطعام والشراب واللباس ولا تدخر لغد ودم على ذكري فقال يارب كيف أدوم على ذكرك فقال بالخلوة عن الناس واجعل نومك الصلاة وطعامك الجوع وقال صلى الله عليه وسلم الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن والرغبة فيها تكثر الهم والحزن حب الدنيا رأس كل خطيئة

والزهد فيها رأس كل خير وطاعة ﴿وحكى﴾ ان بعض الصالحين مر على جماعة فاذا بطبيب يصف الداء والدواء فقال يامعالج الاجسام هل تعالج القلوب فقال الطبيب نعم صف لى داءه فقال قد أظلمته الذنوب فقسا وجفا فهل له من علاج فقال الطبيب علاجه التضرع والابتهال والاستغفار آناء الليل وأطراف النهار والمبادرة الى طاعة العزيز الغفار والاعتذار الى الملك الجبار فهذه معالجة القلوب والشفاء من علام الغيوب فصاح الرجل الصالح ومضى باكيا وقال نعم الطبيب أنت أصبت علاج قلبي فقال الطبيب هذا معالجة قلب من تاب ورجع بقلبه الى البر التواب ﴿وحكي﴾ أن رجلا اشترى غلاما فقال الغلام يامولاى ان لى معك ثلاثة شروط أحدها أن لا تمنعنى عن الصلاة المكتوبة اذا جاء وقتها والثانى أن تأمرنى بالنهار ماشئت ولا تأمرنى بالليل والثالث أن تجعل لى منزلا في بيتك لا يدخله غيرى فقال له الرجل لك هذه الشروط ثم قال الرجل انظر في البيوت فطاف الغلام فوجد فيها بيتا خرابا فقال اخترت هذا فقال ياغلام اخترت بيتا خرابا فقال الغلام يامولاي أما علمت أن الخراب مع الله بستان فكان يخدم مولاه بالنهار ويتفرغ بالليل لعبادة ربه سبحانه وتعالى فبينما هو كذلك اذ طاف مولاه ذات ليلة في الدار فبلغ حجرة الغلام فاذا هي منورة والغلام ساجد وعلى رأسه قنديل من النور معلق بين السماء والارض والغلام يناجي ربه ويتضرع ويقول الهي أوجبت علي حق مولاي وخدمته بالنهار ولولا ذلك ما اشتغلت ليلى ولا نهاري الا بخدمتك فاعذرني يارب ومولاه ينظر اليه حتى انفجر الصبح ورد القنديل وانضم سقف البيت فرجع

وأخبر امرأته بذلك فلما كانت الليلة الثانية أخذ بيد امرأته وجاء الى باب الحجرة فاذا الغلام في السجود والقنديل على رأسه فوقفا على الباب ينظران اليه و يبكيان حتي أصبحا فدعا الغلام فقال له أنت عتيق لوجه الله تعالى حتي تتفرغ لعبادة من كنت تعتذر اليه فرفع الغلام يديه الى السماء وقال

ياصاحب السر ان السر قد ظهرا * ولا أريد حياتي بعد ما اشتهرا

ثم قال الهي أسألك الموت فخر الغلام ميتا هكذا أحوال الصالحين والعاشقين والطالبين وفي زهر الرياض ان موسى عليه السلام كان له صديق يأنس به فقال ذات يوم ياموسى ادع الله أن يعرفني اياه حق معرفته فدعا موسى عليه السلام فاستجيب له فلحق صاحبه بالجبال مع الوحوش وفقده موسي فقال يارب أخي ومؤنسي فقدته فقيل له ياموسى من عرفني حق معرفتي لا يصحب مخلوقا أبدا وجاء في الاخبار أن يحيى وعيسى عليهما السلام كانا يمشيان في السوق فصدمتهما امرأة فقال يحيى والله ما شعرت بذلك فقال عيسى سبحان الله بدنك معي وقلبك أين قال يا ابن الخالة لو اطمأن قلبي الي غير ربي طرفة عين لظننت أني ماعرفت الله ويقال صدق المعرفة أن يطلق الدنيا والعقبي ويتجرد للمولى وأن يسكر من شراب المحبة فلا يصحو الا عند الرؤية فهو على نور من ربه

﴿ الباب الثاني عشر في ذكر ابليس وعذابه ﴾

قال الله سبحانه وتعالي فان تولوا أي أعرضوا عن طاعة الله ورسوله

فان الله لايحب الكافرين يعني لايغفر لهم ولايقبل توبتهم كالم يقبل توبة ابليس لكفره واستكباره وتاب على آدم عليه السلام وقبل توبته لانه أقر على نفسه بالذنب وندم عليه ولام نفسه وهذا وان لم يكن ذنبا حقيقة لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون لاتقع منهم المعصية أبدا لا قبل النبوة ولا بعدها على الصحيح لكنه على صورة الذنب ولذلك قال هو وحواء عليهما السلام ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين فندم عليه السلام وأسرع بالتوبة ولم يقنط من رحمة الله تعالى كما قال الله تعالى لاتقنطوا من رحمة الله وابليس لم يقر على نفسه بالذنوب ولم يندم عليها ولم يلم نفسه ولم يسرع بالتوبة وقنط من رحمة الله تعالى وتكبر فمن كان حاله مثل حال ابليس لم تقبل توبته ومن كان حاله مثل حال آدم قبل الله توبته لان كل معصية أصلها من الشهوة فانه يرجي غفرانها وكل معصية أصلها من الكبر فانه لايرجى غفرانها ومعصية آدم أصلها من الشهوة ومعصية ابليس أصلها من الكبر (حكي) ان ابليس جاء الى موسى عليه السلام فقال له أنت الذي اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليما فقال له موسى نعم فما الذي تريد ياهذا ومن أنت فقال ابليس ياموسى قل لربك خلق من خلقك قد سألك التوبة فأوحي الله الى موسي قل له اني قد استجبت لك فيما سألت ومره ياموسى أن يسجد لقبر آدم فاذا سجد له قبلت توبته وغفرت له ذنوبه فأخبره موسى فغضب ابليس واستكبر وقال ياموسي أنا لم أسجد له في الجنة فكيف أسجد له وهو ميت (روى) ان ابليس يشتد عليه العذاب في النار

فيقال له كيف وجدت عذاب الله فيقول أشد مايكون فيقال له ان آدم في رياض الجنة فاسجد له واعتذر حتى يغفر لك فيأبي فيشتد عليه العذاب بقدر عذاب أهل النار سبعين ألف ضعف وجاء في الخبر ان الله تعالى يخرج ابليس من النار كل مائة ألف سنة ويخرج آدم ويأمره بالسجود له فيأبي ثم يرده الى النار (اخواني) ان أردتم النجاة من ابليس فاعتصموا بالمولى واستعيذوا * اذا كان يوم القيامة يوضع كرسى من النار فيقعد عليه ابليس عليه اللعنة فتجتمع الشياطين والكفار عنده وله صوت كصوت الحمار ينهق ويقول يا أهل النار كيف وجدتم اليوم ماوعد ربكم قالوا حقا ثم يقول هذا يوم أيست فيه من الرحمة فيأمر الله تعالى الملائكة أن يضربوه ومن تبعه بمقامع من نار فيهوون فيها أربعين سنة فلا يسمعون الامر بالخروج أبد الآبد نعوذ بالله منها وورد أنه يؤتى بابليس يوم القيامة فيؤمر به أن يجلس على كرسى من نار وعلى عنقه طوق اللعنة ويأمر الله عز وجل الزبانية أن يجروه عن الكرسى ويلقوه في النار فيتعلقون به ليلقوه فلا يقدرون ثم يأمر الله تعالى جبريل مع ثمانين ألف ملك بذلك فلا يقدرون ثم يأمر اسرافيل ثم عزرائيل أيضا ومع كل واحد منهما ثمانون ألف ملك فلا يقدرون فيقول الله تعالى لهم لو اجتمع عليه أضعاف ماخلقت من الملائكة لما قدروا على أن ينقلوه وطوق اللعنة على عنقه وروى ان ابليس كان اسمه في سماء الدنيا العابد وفي الثانية الزاهد وفي الثالثة العارف وفى الرابعة الولي وفي الخامسة التقي وفى السادسة الخازن وفي السابعة عزازيل وفي اللوح المحفوظ ابليس وهو

غافل عن عاقبة أمره نأمره الله أن يسجد لآدم فقال أتفضله علي وأنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فقال تعالى أنا أفعل ما أشاء فرأي لنفسه شرفا فولى آدم ظهره أنفة وكبرا وانتصب قائما الى أن سجدت الملائكة المدة المارة فلما رفعوا رؤسهم ورأوه لم يسجد وهم قد وفقوا للسجود سجدوا ثانيا شكرا وهو قائم يرى معرضا عنهم غير عازم علي الاتباع ولا نادم على الامتناع فمسخه الله من الصورة البهية فنكسه كالخنزير وجعل رأسه كرأس البعير وصدره كسنام الجمل الكبير ووجهه بينهما كوجه القردة وعينيه مشقوقتين في طول وجهه ومنخريه مفتوحتين ككوز الحجام وشفتيه كشفتي الثور وأنيابه خارجة كانياب الخنزير وفي لحيته سبع شعرات وطرده من الجنة بل من السماء بل من الارض الي الجزائر فلا يدخل الارض الاخفية ولعنه الي يوم الدين لأنه صار من الكافرين وانظر كان بهي الصورة رباعي الاجنحة كثير العلم كثير العبادة طاوس الملائكة وأعظمهم سيد الكروبيين الى غير ذلك فلم يغن ذلك عنه شيئا ان في ذلك لذكرى (وفي الاثر) لما مكر بابليس بكي جبريل وميكائيل فقال الله لهما ما يبكيكما قالا ربنا ما أمنا مكرك فقال تعالى لي هكذا كونا لا تأمنا مكري (وروي) ان ابليس قال يارب أخرجتني من الجنة لاجل آدم وأنا لا أقدر عليه الا بتسليطك قال أنت متسلط عليه أي على أولاده لعصمة الانبياء منه قال زدني قال لايولد له ولد الا ولد لك مثلاه قال زدني قال صدورهم مساكن لك تجري فيها مجري الدم قال زدني قال أجلب عليهم بخيلك ورجلك أي استعن

عليهم باعوانك من راكب وماش وشاركهم في الاموال أى بحملهم على كسبها وصرفها في الحرام والاولاد أى بالحث على التوصل اليهم بالسبب المحرم كالوطء في الحيض والاشراك فيهم بتسميتهم بنحو عبد العزى والتضليل بالحمل علي الاديان الباطلة والحرف الذميمة والافعال القبيحة وعدهم أى المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة بطول الامل وهذا على طريق التهديد كاعملوا ما شئتم فقال آدم يارب قد سلطته علي فلا أمتنع منه الا بك قال لا يولد لك ولد الا وكلت به من يحفظه من الملائكة قال زدني قال الحسنة بعشر أمثالها قال زدني قال لا أنزع منهم التوبة مادامت أرواحهم في أبدانهم قال زدني قال أغفر لهم ولا أبالي قال اكتفيت فقال ابليس يارب جعلت في بني آدم الرسل وأنزلت عليهم الكتب فما رسلي قال الكهان قال فما كتبي قال الوشم قال فما حديثي قال الكذب قال فما قرآني قال الشعر قال فما مؤذني قال المزمار قال فما مسجدي قال الاسواق قال فما بيتي قال الحمام قال فما طعامي قال الذي لم يذكر عليه اسمي قال فما شرابي قال السكر قال فما مصايدي قال النساء

﴿ الباب الثالث عشر في الامانة ﴾

قال الله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها أي امتنعن من قبولها وأشفقنا منها أي خفن من الامانة أن لا يؤدينها فيلحقهن العقاب أوخفن من الخيانة فيها ومعني الامانة في هذه الآية الطاعة والفرائض التي يتعلق بادائها الثواب والعقاب قال

القرطبي الامانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الاقوال وهو قول الجمهور واختلف في تفاصيل بعضها فقال ابن مسعود هي في أمانة الاموال كالودائع وغيرها وروي عنه أنها في كل الفرائض وأشدها أمانة المال وقال أبو الدرداء غسل الجنابة أمانة وقال ابن عمر أول ما خلق الله من الانسان فرجه وقال هذه أمانة استودعتكها فلا تلبسها الا بحق فان حفظتها حفظتك فالفرج أمانة والاذن أمانة والعين أمانة واللسان أمانة والبطن أمانة واليد والرجل أمانة ولا أيمان لمن لا أمانة له (قال الحسن) ان الامانة عرضت على السموات والارض والجبال فاضطربت وما فيها فقال الله لها ان أحسنت أجرتك وان أسأت عذبتك فقالت لا قال مجاهد فلما خلق الله آدم عرضها عليه وقال له ذلك فقال قد تحملتها ولا يخفى ان عرض هذه الامانة على السموات والارض والجبال عرض تخيير لا عرض الزام ولو ألزمهن لم يمتنعن من حملها وقال القفال وغيره العرض في هذه الآية ضرب مثل أي ان السموات والارض والجبال على كبر اجرامها لو كانت بحيث يجوز تكليفها لثقل عليها تقلد الشرائع لما فيها من الثواب والعقاب أي ان التكليف أمر عظيم حقه أن تعجز عنه السموات والارض والجبال وقد كلفه الانسان كما قال تعالى (وحملها الانسان) أي التزم بحقها آدم بعد عرضها عليه في عالم الذر عند خروج ذريته من ظهره وأخذ الميثاق عليهم (انه كان ظلوما جهولا) أي وهو في ذلك الحمل ظلوم لنفسه جهول بقدر ما دخل فيه أو جهول بأمر ربه وعن ابن عباس قال عرضت الامانة على آدم فقيل

خذها بما فيها فان أطعت غفرت لك وان عصيت عذبتك قال قبلتها بما فيها فما كان الا مابين العصر الى الليل من ذلك اليوم حتى أكل من الشجرة لولا أن تداركه الله برحمته فتاب عليه وهدى والامانة مشتقة من الايمان فمن حفظ أمانة الله حفظ الله ايمانه قال صلى الله عليه وسلم لا أيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له وقال الشاعر

تبا لمن رضي الخيانة مهيعا * وازور عن سنن الامانة جانبه
رفض الديانة والمروءة فاغتدى * تترى عليه من الزمان مصائبه

﴿ وقال آخر ﴾

أخلاق من رضى الخيانة شيمة * أن لا يرى الا صريع حوادث
مازالت الازراء ينزل بؤسها * أبدا بغادر ذمة أو ناكث

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطبع المؤمن على كل خلق ليس الخيانة والكذب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال أمتي بخير مالم تر الامانة مغنما والصدقة مغرما وقال صلى الله عليه وسلم أدا الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك (وفي الصحيحين) عن أبي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان أي اذا ائتمنه أحد بكلمة خانه بافشائها للناس أو بوديعة خانه بانكارها وعدم حفظها أو استعمالها بغير اذنه فحفظ الامانة صفة الملائكة المقربين والانبياء والمرسلين وشيمة الابرار المتقين قال الله سبحانه وتعالى (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) قال المفسرون هذه الآية مشتملة

على كثير من أمهات الشرع والمخاطب بها عموم المكلفين الولاة وغيرهم فيجب على الولاة انصاف المظلوم واظهار حقه وذلك أمانة وحفظ أموال المسلمين لاسيما اليتامى و يجب على العلماء تعليم العوام أحكام دينهم فهي أمانة اختار لحفظها العلماء و يجب على الوالد رعاية ولده بحسن التأديب اذهو أمانة عنده قال صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته (وفي زهر الرياض) يؤتى بالعبد يوم القيامة فيوقف بين يدى الله تعالى فيقول الله تعالى أرددت أمانة فلان فيقول لا يارب فيأمر الله تعالى ملكا فيأخذ بيده و ينطلق به الى جهنم و يريه الامانة بعينها في قعر جهنم فيهوي فيها سبعين عاما حتى ينتهي الى قعرها ثم يصعد بالامانة فاذا بلغ أعلى جهنم زلت قدمه فيهوي فيها كذلك ثم يصعد ثم يهبط وهكذا حتى يدركه لطف ربه بشفاعة المصطفى صلى الله عليه وسلم فيرضى عنه صاحب الامانة وروى عن سلمة قال بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ أتى بجنازة ليصلي عليها فقال هل عليه دين قالوا لا فصلى عليها ثم أتى بجنازة أخرى فقال هل عليه دين قالوا نعم قال فهل ترك شيأ فقالوا ثلاث دنانير فصلى عليها ثم أتى بثالثة فقال هل عليه دين قالوا نعم فقال صلى الله عليه وسلم هل ترك شيأ قالوا لا قال صلوا على صاحبكم وعن قتادة رضى الله عنه قال قال رجل يارسول الله أرأيت ان قتلت في سبيل الله صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر يكفر الله عني خطاياى قال نعم فلما أدبر الرجل ناداه فقال يغفر الله للشهيد كل ذنب الا الدين

﴿ الباب الرابع عشر في اتمام الصلاة بالخضوع والخشوع ﴾

قال الله تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون اعلم ان الخشوع منهم من جعله من أفعال القلوب كالخوف والرهبة ومنهم من جعله من أفعال الجوارح كالسكوت وترك الالتفات والعبث وقد اختلفوا في الخشوع هل هو من فرائض الصلاة أو من فضائلها على قولين واستدل من قال بالاول بحديث ليس للعبد من صلاته الا ما عقل وبقوله تعالى أقم الصلاة لذكرى والغفلة تضاد لذكر ولهذا قال تعالى ولا تكن من الغافلين (أخرج) البيهقي عن محمد بن سيرين قال نبئت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى رفع بصره الى السماء فنزلت الآية وزاد عبد الرزاق عنه فأمره بالخشوع فرمى ببصره نحو مسجده وأخرج الحاكم والبيهقي عن أبي هريرة كان صلى الله عليه وسلم اذا صلى رفع بصره الى السماء فنزلت هذه الآية فطأطأ رأسه وروى عن الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار على باب أحدكم كثير الماء يغتسل فيه كل يوم خمس مرات فهل يبقى عليه من الدرن شيء يعني ان الصلوات تطهر من الذنوب ولا تبقى منها شيأ فيما دون الكبائر وهذا اذا صلى بخشوع وحضور قلب والا فهي مردودة عليه وقال صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه وقال صلى الله عليه وسلم انما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت المناسك لاقامة ذكر الله تعالى فاذا لم يكن في قلبك للمذكور

الذي هو المقصود والمبتغي عظمة ولا هيبة فما قيمة ذكرك وقال صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا وقال بكر بن عبدالله يابن آدم اذا شئت أن تدخل علي مولاك بغير اذن وتكلمه بلا ترجمان دخلت قيل وكيف ذلك قال تسبغ وضوءك وتدخل محرابك فاذا أنت قد دخلت علي مولاك بغير اذن فتكلمه بغير ترجمان وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه اشتغالا بعظمة الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله الى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه وكان ابراهيم الخليل اذا قام الى الصلاة يسمع وجيب قلبه على ميلين وكان سعيد التنوخي اذا صلى لم تنقطع الدموع من خديه على لحيته ورأي رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه (وروي) ان عليا كرم الله وجهه كان اذا حضرت الصلاة يتزلزل ويتلون وجهه فيقال له مالك ياأمير المؤمنين فيقول جاء وقت أمانة عرضها الله علي السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها ويروي عن علي بن الحسين انه كان اذا توضأ اصفر لونه فيقول له أهله ماهذا الذي يعتريك عند الوضوء فيقول أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم (ويروى) عن حاتم الاصم انه سئل عن صلاته فقال اذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء وأتيت الموضع الذى أريد الصلاة فيه فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحي ثم أقوم الى الصلاة وأجعل الكعبة

بين حجي والصراط تحت قدمي والجنة عن يميني والنار عن شمالى وملك الموت ورائى وأظنها آخر صلاتى ثم أقوم بين الرجاء والخوف وأكبر تكبيرا بتحقيق واقرأ قراءة بترتيل وأركع ركوعا بتواضع وأسجد سجودا بتخشع وأقعد على الورك الايسر وأفرش ظهر قدمها وأنصب القدم اليمنى على الابهام وأتبعها الاخلاص ثم لاأدري أقبلت مني أم لا وقال ابن عباس رضى الله عنهما ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه وقال صلى الله عليه وسلم يأتي فى آخر الزمان ناس من أمتى يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لاتجالسوهم فليس لله بهم حاجة وعن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ألا أخبركم بأسوء الناس سرقة قالوا من هو يارسول الله قال الذي يسرق من صلاته قالوا وكيف يسرق من صلاته قال لايتم ركوعها ولا سجودها وقال صلى الله عليه وسلم أول مايحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فان كان قد أتمها هون عليه الحساب وان كان قد انتقص منها شيئا قال الله تعالى للملائكته هل لعبدي من تطوع فأتموا الفريضة منه وقال صلى الله عليه وسلم ماأعطى عبد عطاء خيرا من أن يؤذن له فى ركعتين يصليهما وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا أراد القيام الى الصلاة ترتعد فرائصه وتصطك أسنانه فقيل له في ذلك قال حان وقت أداء الامانة وقضاء الفريضة ولا أدري كيف أؤديها (وحكي) عن خلف بن أيوب انه كان قائما في الصلاة فلدغه زنبور فسال منه الدم وهو لايشعر حتى خرج ابن سعيد فاعلمه بذلك فغسل

ثوبه نقيل له يلدغك زنبور ويسيل منك الدم ولم تشعر به فقال أيشعر بمثل هذا من يكون واقفا بين يدى الملك الجبار وملك الموت على قفاه والنار عن شماله والصراط تحت قدميه * ووقعت الأكلة في يد عمرو ابن ذرو كان جليلا في الزهد والعبادة فقال له الاطباء لابد لك من قطع هذه اليد فقال اقطعوها فقالوا لانقدر على قطعها الا أن نشدك بالحبال فقال لا ولكن اذا شرعت في الصلاة فاقطعوها حينئذ فلما دخل في الصلاة قطعت يده ولم يشعر بذلك

﴿ الباب الخامس عشر في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴾

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على مرة خلق الله تعالى من نفس المصلي غمامة بيضاء ثم يأمرها الله تعالى أن تأخذ من بحر الرحمة فتأخذ ثم يأمرها الله تعالى أن تمطر فاذا أمطرت فاي قطرة قطرت على الارض يخلق الله الذهب منها وأي قطرة قطرت على الجبال يخلق الله تعالى منها الفضة وأي قطرة قطرت على كافر رزقه الله تعالى الايمان (قال الله سبحانه وتعالى) كنتم خير أمة أخرجت للناس قال الكلبي هذه الآية تتضمن بيان حال هذه الامة في الفضل على غيرها من الامم وفيها دليل على أن هذه الامة الاسلامية خير الامم على الاطلاق وان هذه الخيرية مشتركة بين أول هذه الامة وآخرها بالنسبة الى غيرها من الامم وان كانت متفاضلة في ذاتها كما ورد في فضل الصحابة على غيرهم ومعنى أخرجت أظهرت للناس أى لنفعهم ومصالحهم في جميع الاعصار حتى تميزت

وعرفت وقوله تعالى تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله كلام مستأنف يتضمن بيان كونهم خيرا مع مايشتمل عليه من أنهم خير أمة ماأقاموا على ذلك واتصفوا به فاذا تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر زال عنهم . ذلك لجعلهم الله خير الناس للناس لانهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقاتلون الكفار ليسلموا فترجح منفعتهم على غيرهم كما قال صلى الله عليه وسلم خير الناس من ينفع الناس وشر الناس من يضر الناس (تؤمنون بالله) أي تصدقون بتوحيد الله وتثبتون على ذلك وتقرون أن محمدا نبي الله لان من كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم لم يؤمن بالله لانه يزعم أن الآيات المعجزات التى أتي بها من عند نفسه وقال صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان يعنى أضعف فعل أهل الايمان قال بعضهم التغيير باليد للامراء وباللسان للعلماء وبالقلب للعوام وقال بعضهم كل من يقدر على ذلك فالواجب عليه أن يغيره كما قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان الآية ومن التعاون الحث عليه وتسهيل طرق الخير اليه وسد سبيل الشرور والعدوان بحسب الامكان وقال صلى الله عليه وسلم في حديث آخر من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمنا وايمانا ومن أهان صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الاكبر ومن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في الارض وخليفة كتابه وخليفة رسوله عن حذيفة رضى الله عنه قال يأتي على الناس زمان لان تكون

فيهم جيفة حمار أحب اليهم من مؤمن يأمرهم وينهاهم قال موسى يارب
ماجزاء من دعا أخاه وأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر قال أكتب له
بكل كلمة عبادة سنة واستحي أن أعذبه بناري (وفي الحديث القدسي)
يقول الله تعالى يا ابن آدم لا تكن ممن يؤخر التوبة ويطول الامل ويرجع
الي الآخرة بغير عمل يقول قول العابدين ويعمل عمل المنافقين أن
أعطى لم يقنع وان منع لم يصبر ويحب الصالحين وليس منهم ويبغض
المنافقين وهو منهم يأمر بالخير ولا يفعله وينهي عن الشر ولم ينته عنه
وعن على كرم الله وجهه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
سيأتي قوم فى آخر الزمان أحداث الاسنان نواقص العقل يقولون من
قول خير البرية لايجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من
الرمية وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم رأيت ليلة أسري بي الى
السماء رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من النار قلت من هؤلاء ياجبريل
قال هؤلاء خطباء أمتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم
كما قال الله تعالى في حقهم (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم
وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) يعني تتلون كتاب الله ولا تعملون
بما فيه فكانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون فيجب علي المؤمنين أن
يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ولا ينسون أنفسهم كما قال الله
تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة) الآية فقد نعت المؤمنين بأنهم
يأمرون بالمعروف فالذى هجر الامر بالمعروف خارج عن هؤلاء المؤمنين

المنعوتين في هذه الآية وقد ذم الله أقواما بترك الامر بالمعروف فقال (كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه) يعني لاينهي بعضهم بعضا (لبئسما كانوا يفعلون) روى عن أبي الدرداء رضي الله عنه انه قال لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أوليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لايجل كبيركم ولايرحم صغيركم ويدعو خياركم فلايستجاب لهم ويستنصرون فلا ينصرون ويستغفرون فلا يغفر لهم وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلي الله عليه وسلم عذب الله أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفا عملهم عمل الانبياء قالوا يا رسول الله كيف قال لم يكونوا يغضبون لله ولا يأمرون بالمعروف ولاينهون عن المنكر وقال أبو ذر الغفاري (قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه يارسول الله هل من جهاد غير قتال المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ياأبا بكر ان لله تعالى مجاهدين في الارض أفضل من الشهداء أحياء مرزوقين يمشون على الارض يباهي الله بهم ملائكة السماء وتزين لهم الجنة كما تزينت أم سلمة لرسول الله فقال أبو بكر رضي الله عنه يارسول الله ومن هم قال الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والمحبون في الله والمبغضون في الله ثم قال والذي نفسي بيده ان العبد ليكون في الغرفة فوق الغرفات فوق غرف الشهداء لكل غرفة منها ثلثمائة باب منها الياقوت والزمرد الاخضر على كل باب نور وان الرجل منهم ليتزوج بثلثمائة ألف حوراء قاصرات الطرف عين كلما التفت الى واحدة منهن فنظر اليها تقول له أتذكر يوم كذا وكذا أمرت فيه بالمعروف ونهيت عن المنكر وكلما التفت

الى واحـدة منهن ذكرت له مقاما أمر فيه بالمعروف ونهي عن المنكر
(وفي الخبر) ان الله تعالى قال ياموسى هل عملت لى عملا قط قال الهى
صليت لك وصمت لك وتصدقت لاجلك وسجدت لك وحمدت لك وقرأت
كتابك وذكرتك قال الله تعالى ياموسى أما الصلاة فلك برهان وأما الصوم
فلك جنة وأما الصدقة فلك ظل وأما التسبيح فلك أشجار في الجنة وأما
قراءة كتابي فلك حور وقصور وأما الذكر فلك نور فاى عمل عملت لي
قال موسى دلني يارب على عمل أعمله لك قال ياموسى هل واليت لى وليا
قط وهل عاديت لى عدوا قط فعلم موسى ان أفضل الاعمال الحب لله
والبغض لله لاعدائه وقال أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه قلت
يارسول الله أي الشهداء أكرم على الله عز وجل قال رجل قام الى وال
جائر فامره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله فان لم يقتله فان القلم لايجرى
عليه بعد ذلك وان عاش ما عاش وقال الحسن البصري رحمه الله قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل شهداء أمتي رجل قام الي امام جائر
فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله علي ذلك فذلك الشهيد منزلته
في الجنة بين حمزة وجعفر * أوحي الله الى يوشع بن نون عليه السلام اني مهلك
من قومك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم فقال يارب هؤلاء
الاشرار فما بال الاخيار قال انهم لم يغضبوا لغضبي وواكلوهم وشاربوهم
وعن أنس رضي الله عنه قال قلنا يارسول الله ألا نأمر بالمعروف حتي نعمل
به كله ولا نهى عن المنكر حتى نجتنبه كله فقال صلي الله عليه وسلم بل
مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه كله

وأوصى بعض السلف بنيه فقال اذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر وليثق بالثواب من الله فمن وثق بالثواب من الله لم يجد مس الاذى

﴿ الباب السادس عشر في عداوة الشيطان ﴾

يجب على المؤمن أن يحب العلماء والصلحاء ويلازم مجالستهم ويسأل مالا بد له ويتعظ بنصحهم ويجتنب الاعمال القبيحة ويتخذ الشيطان عدوا كما قال الله تعالى (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) أي فعادوه بطاعة الله تعالى ولا تطيعوه في معاصي الله تعالى وكونوا على حذر منه في جميع أحوالكم وأفعالكم وعقائدكم عن صميم قلوبكم واذا فعلتم فعلا فتفطنوا له فانه ربما يدخل عليكم فيه الرياء ويزين لكم القبائح واستعينوا عليه بربكم قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا وقال هذه سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فبين لنا صلى الله عليه وسلم كثرة طرق الشيطان روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان راهب في بني اسرائيل فعمد الشيطان الى جارية فخنقها وألقى في قلوب أهلها ان دواءها عند الراهب فأتوا بها اليه فأبى أن يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فلما كانت عنده ليعالجها أتاه الشيطان فزين له مقاربتها ولم يزل به حتى واقعها فحملت منه فوسوس اليه وقال الآن تفتضح يأتيك

أهلها فاقتلها فان سألوك فقل ماتت فقتلها ودفنها فأتى الشيطان أهلها
نوسوس اليهم وألقى في قلوبهم انه أحبلها ثم قتلها هو ودفنها فأتاه
أهلها فسألوه عنها فقال ماتت فأخذوه ليقتلوه بها فأتاه الشيطان فقال
أنا الذى خنقتها وأنا الذي ألقيت في قلوب أهلها فأطعني تنج وأخلصك
منهم قال بماذا قال اسجد لي سجدتين ففعل فقال له الشيطان اني بريء
منك فهو الذى قال الله تعالى فيه كمثل الشيطان اذ قال للانسان
اكفر فلما كفر قال انى بريء منك (وروى) أن ابليس سأل
الشافعى رضي الله عنه ماقولك فيمن خلقني كما اختار واستعملني فيما
اختار وبعد ذلك ان شاء أدخلني الجنة وان شاء أدخلني النار أعدل
في ذلك أم جار فنظر في كلامه ثم قال ياهذا ان كان خلقك لما تريد
أنت فقد ظلمك وان كان خلقك لما يريد هو فلا يسأل عما يفعل فاضمحل
الى أن صار لاشيء ثم قال والله ياشافعي لقد أخرجت بمسألتي هذه
سبعين ألف عابد من ديوان العبودية (واعلم) أن مثال القلب مثال
حصن والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن فيملكه ويستولى عليه
ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو الا بحراسة أبواب الحصن ومداخله
ومواضع ثلمه ولا يقدر على حراسة أبوابه من لايدريها فحماية القلب
عن وسواس الشيطان واجب وهو فرض عين على كل مكلف ومالا
يتوصل الى الواجب الا به فهو أيضا واجب ولا يتوصل الى دفع
الشيطان الا بمعرفة مداخله فصارت معرفة مداخله واجبة ومداخله
وأبوابه صفات العبد وهي كثيرة (منها) الغضب والشهوة فان الغضب

غول العقل واذا ضعف العقل هجم جند الشيطان ومهما غضب الانسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبي بالكرة وقد ذكر أن بعض الاولياء قال لابليس أرني كيف تغلب ابن آدم فقال آخذه عند الغضب وعند الهوي (ومنها) الحسد والحرص فمهما كان العبد حريصا على كل شئ أعماه حرصه وأصمه فحينئذ يجد الشيطان فرصة فيحسن عند الحريص كل مايوصله الي شهوته وان كان منكرا وفاحشا فقد روي أن نوحا عليه السلام لما ركب السفينة حمل فيها من كل زوجين اثنين كما أمره الله تعالى فرأي في السفينة شيخا لم يعرفه فقال له نوح ماأدخلك فقال دخلت لاصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معي وأبدانهم معك فقال له نوح أخرج منها ياعدو الله فانك لعين فقال له ابليس خمس أهلك بهن الناس وسأحدثك منهن بثلاث ولا أحدثك باثنتين فأوحي الله الى نوح انه لاحاجة لك بالثلاث فليحدثك بالاثنتين فقال له نوح ماالاثنتان فقال هما اللتان لاتكذباني هما اللتان لاتخلفاني بهما أهلك الناس الحرص والحسد فبالحسد لعنت وجعلت رجيما وأما الحرص فانه أبيح لآدم الجنة كلها إلا الشجرة فأصبت حاجتي منه بالحرص (ومنها) الشبع من الطعام وان كان حلالا صافيا فان الشبع يقوى الشهوات وهي أسلحة الشيطان فقد روى أن ابليس ظهر ليحيي عليه السلام فرأى عليه معاليق من كل شئ فقال له ياابليس ماهذه المعاليق قال هذه الشهوات التى أصبت بها ابن آدم فقال فهل لى فيها من شئ قال ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وعن الذكر قال فهل غير ذلك

قال لا قال لله علي أن لاأملأ بطني من الطعام أبدا فقال له ابليس ولله علي أن لاأنصح مسلما أبدا (ومنها) حب التزين من الاثاث والثياب والدار فان الشيطان اذا رأى ذلك غالبا على قلب الانسان باض فيسه وفرخ فلا يزال يدعوه الى عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع أبنيتها ويدعوه الى التزين بالثياب والدواب ويستسخره فيها طول عمره فاذا أوقعه في ذلك فقد استغنى أن يعود اليه ثانية فان بعض ذلك يجره الى البعض الى أن يساق اليه أجله فيموت وهو في سبيل الشيطان واتباع الهوي ويخشي من ذلك سوء العاقبة نعوذ بالله (ومنها) الطمع في الناس فقد روى صفوان بن سليم ان ابليس تمثل لعبد الله بن حنظلة فقال له يا ابن حنظلة احفظ عني شيأ أعلمك به فقال لاحاجة لي به قال انظر فان كان خيرا أخذت وان كان شرا رددت يا ابن حنظلة لاتسأل أحدا غير الله سؤال رغبة وانظر كيف تكون اذا غضبت فاني أملكك اذا غضبت (ومنها) العجلة وترك التثبت في الامور قال صلى الله عليه وسلم العجلة من الشيطان والتأني من الله تعالى فعند الاستعجال يروج الشيطان شره على الانسان من حيث لايدري فقد روي انه لما ولد عيسى بن مريم عليه السلام أتت الشياطين ابليس فقالوا له أصبحت الاصنام قد نكست رؤسها فقال هذا حادث قد حدث مكانكم فطار حتى أتى خافقي الارض فلم يجد شيأ فوجد عيسى عليه السلام قد ولد واذا بالملائكة حافين به فرجع اليهم فقال ان نبيا قد ولد البارحة ماحملت أنثي قط ولا وضعت الا وأنا حاضرها الا هذا

فايئسوا من ان تعبد الاصنام بعد هذه الليلة ولكن ائتوا بني آدم من قبل العجلة والخفة (ومنها) الدراهم والدنانير وسائر أصناف الأموال من العروض والدواب والعقار فان كل مايزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان قال ثابت البناني لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابليس لشياطينه لقد حدث أمر فانظروا ماهو فانطلقوا حتى أعيوا ثم جاؤه وقالوا ماندري قال أنا آتيكم بالخبر فذهب ثم جاء وقال قد بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم قال فجعل يرسل شياطينه الى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فينصرفون خائبين ويقولون ماصحبنا يوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون الى صلاتهم فيمحق ذلك فقال لهم ابليس رويدابهم عسى الله أن يفتح لهم الدنيا فنصيب منهم حاجتنا * وروي ان عيسى عليه السلام توسد يوما حجرا فمر به ابليس فقال ياعيسى رغبت فى الدنيا فأخذه عيسى صلى الله عليه وسلم فرمي به من تحت رأسه وقال هذا لك مع الدنيا (ومنها) البخل وخوف الفقر فان ذلك هو الذى يمنع من الانفاق والتصدق ويدعو الى الادخار والكنز والعذاب الاليم ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الاسواق لجمع المال وهي معشش الشياطين (ومنها) التعصب للمذاهب والاهواء والحقد على الخصوم والنظر لهم بعين الاحتقار وذلك مما يهلك العباد والفساق جميعا قال الحسن رضي الله عنه بلغنا ان ابليس قال سولت لامة محمد صلى الله عليه وسلم المعاصي فقصموا ظهري بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لايستغفرون الله منها وهي الاهواء وقد

صدق المأمون فانهم لا يعلمون أن ذلك من الاسباب التي تجر الى المعاصي فكيف يستغفرون منها (ومنها) سوء الظن بالمسلمين فيجب الاحتراز منه وعن تهمة الاشرار فيهما رأيت انسانا يسوء الظن بالناس طلبا للعيوب فاعلم أنه خبيث باطنا وأن ذلك خبثه يترشح منه فيجب على الانسان قطع هذه الابواب من القلب و يبنيه عليها ذكر الله تعالى (قال ابن اسحق) لما رأى كفار قريش هجرة الصحابة وعرفوا أنه صار له صلى الله عليه وسلم أصحاب من غيرهم فحذروا خروجه وعرفوا أنه أجمع لحربهم فاجتمعوا في دار الندوة وهي دار قصي بن كلاب وسميت بذلك لاجتماع الندى فيها يتشاورون وكانت قريش لا تقضي أمرا الا فيها ولا يدخلون فيها غير قريشي الى أن يبلغ أربعين سنة بخلاف القرشي وقد أدخلوا أبا جهل واجتمعوا يوم السبت ولذا ورد يوم السبت يوم مكر وخديعة ومعهم ابليس في صورة شيخ نجدي وذلك أنه وقف على باب الدار في هيئة شيخ جليل عليه بت قيل كساء غليظ أو طيلسان من خز فقالوا من الشيخ قال من نجد سمع بالذي اتعدتم له فحضر ليسمع ماتقولون وعسى أن لا يعدمكم رأيا ونصحا قالوا ادخل فدخل فتشاوروا في أمر النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا مائة رجل وقيل كانوا خمسة عشر رجلا فقال أبو البختري المقتول كافرا ببدر احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء قبله فقال النجدي ما هذا برأي والله لو حبستموه في الحديد ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه الى أصحابه فلأوشكوا أن يثبوا عليكم

فينتزعوه من أيديكم ثم تكابروكم به حتى يغلبوكم على أمركم ماهذا برأي فانظروا في غيره فقال أبو الاسود ربيعة بن عمرو العامري نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فلا نبالي أين ذهب فقال النجدي لعنه الله والله ماهذا برأي ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به والله لو فعلتم ذلك ماأمنت أن يحل على حي من العرب فيغلب بذلك عليهم من قوله حتى يتابعوه عليكم ثم يسير بهم اليكم فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ماأراد أديروا فيه رأيا غير هـذا فقال أبو جهل والله ان لي فيه رأيا ماأراكم وقعتم عليه أرى أن تأخذوا من كل قبيلة فتى شابا جلدا نسيبا وسيطا ثم يعطي كل فتي منهم سـيفا صارما ثم يعمدوا اليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه ويتفرق دمه في القبائل فلا تقدر بنو عبدمناف على حرب قومهم جميعا فنعقله لهم فقال النجدي لعنـه الله القول ماقال لاأري غـيره فأجمع رأيهم على قتله صلي الله عليه وسلم وتفرقوا على ذلك ثم أتى جبريل النبي صلي الله عليه وسلم فقال لاتبيت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبوا عليـه فأمر عليه السلام عليا فنام مكانه وغطي ببرد له صـلي الله عليه وسـلم أخضر كان يشهد به الجمعة والعيدين بعد ذلك عنـد فعلهما فكان علي أول من شري نفسه في الله ووقي بها رسول الله صلي الله عليه وسـلم وفى ذلك يقول عليّ رضي الله عنه شعر

وقيت بنفسي خير من وطئ الثرى ✽ ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر

رسول الله خاف أن يمكروا به * فنجاه ذو الطول الاله من المكر
وبات رسول الله في الغار آمنا * موقى وفي حفظ الاله وفي ستر
وبت أراعيهم وما يتهموننى * وقد وطنت نفسي علي القتل والاسر
ثم خرج صلى الله عليه وسلم من الباب عليهم وقد أخذ الله على أبصارهم فلم يره أحد منهم ونثر على رؤسهم كلهم ترابا كان في يده وهو يتلو قوله تعالى يس الي قوله فأغشيناهم فهم لا يبصرون ثم انصرف حيث أراد فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال ماتنتظرون ههنا قالوا محمدا قال قد خيبكم الله والله خرج عليكم ثم ماترك منكم رجلا الاوضع علي رأسه ترابا وانطلق لحاجته فماترون مابكم فوضع كل رجل يده على رأسه فاذا عليه تراب ثم جعلوا يطلعون فيرون عليا على الفراش متسجيا ببرد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون والله ان هذا لمحمد نائم عليه بردة فلم يزالوا كذلك حتى أصبحوا فقام علي من الفراش فقالوا لقد صدقنا الذي كان حدثنا وفي هذا نزل قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك الآية شعر

لا تجزعن فبعد العسر تيسير * وكل شيء له وقت وتقدير
وللمقدر في أحوالنا نظر * وفوق تدبيرنا لله تدبير

ثم أذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في الهجرة قال ابن عباس بقوله تعالي وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا وأمره جبريل أن يستصحب أبابكر رضي الله عنه (روي) الحاكم عن علي رضي الله عنه ان النبي صلي الله عليه وسلم قال لجبريل من يهاجر معي قال أبو بكر الصديق وأخبر صلي الله عليه وسلم عليا بمخرجه وأمره

أن يتخلف بعده حتى يؤدي عنه الودائع التي كانت عنده للناس قالت عائشة رضي الله عنها فبينما نحن جلوس يوما في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة أي أول الزوال وهو أشد ما يكون من حرارة النهار وروى الطبراني في حديث أسماء كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتينا بمكة كل يوم مرتين بكرة وعشية فلما كان يوم من ذلك جاءنا في الظهيرة فقلت يا أبت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا أي مغطيا رأسه في ساعة لم يكن يأتينا فيها قال أبو بكر رضي الله عنه فدى له أبي وأمي والله ما جاء به في هذه الساعة الا أمر قالت عائشة رضي الله عنها فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فأذن له أبو بكر فدخل فتنحى أبو بكر عن سريره وجلس عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لابي بكر أخرج من عندك فقال أبو بكر انما هم أهلك يعني عائشة وأسماء وفي رواية فقال أبو بكر لا عين عليك انما هما ابنتاي فقال صلى الله عليه وسلم فانه قد أذن لي في الخروج فقال أبو بكر الصحبة بأبي أنت وأمي يارسول الله قال صلى الله عليه وسلم نعم قالت عائشة رضي الله عنها فرأيت أبا بكر يبكي وما كنت أحسب أن أحدا يبكي من الفرح فقال أبو بكر فخذ بأبي أنت وأمي يارسول الله احدى راحلتي هاتين قال صلى الله عليه وسلم لا الا بالثمن وفي رواية فقال بثمنها ان شئت وانما أخذها بالثمن لتكون هجرته صلى الله عليه وسلم الي الله تعالي بنفسه وماله رغبة منه عليه الصلاة والسلام في استكماله فضل الهجرة الي الله تعالى قالت عائشة فجهزناهما أحث أي أسرع الجهاز وفي رواية أحب الجهاز وصنعنا لهما

سفرة أي زادا في جراب زاد الواقدي انه كان في السفرة شاة مطبو
قالت فقطعت أسماء قطعة من نطاقها فربطت بها على فم الجراب فبذا
سميت ذات النطاقين تثنية نطاق بكسر النون مايشد به الوسط قال
عائشة رضى الله عنها ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بـ
بغار ثور فكمنا فيه ثلاث ليالي وهو جبل بمكة نزله ثور بن عبد من
فنسب له وروى أنهما خرجا من خوخة أى باب صغير لابي بكر ا
ظهر بيته ليلا الى الغار وروي أن أباجهل لقيهما فأعمى الله بصر
عنهما حتى مضيا قالت أسماء بنت أبي بكر وخرج أبو بكر بماله خمسة
آلاف درهم ولما فقدت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبو
بمكة أعلاها وأسفلها و بعثوا القافة جمع قائف وهو الذي يعرف الاثر
في كل وجه فوجد الذي ذهب جهة ثور أثره هناك فلم يزل يتبعه حتى
انقطع الاثر لما انتهى الى ثور وشق على قريش خروجه وجزعوا لذلك
وجعلوا مائة ناقة لمن رده وروى القاضى عياض انه صلى الله عليه وسلم ناداه
ثبير اهبط عني فاني أخاف أن تقتل علي ظهرى فأعذب فناداه حراء
الي يارسول الله وروي انه لما دخل الغار وأبو بكر معه أنبت الله على
بابه الراءة وهى شجرة معروفة بأم غيلان فحجبت عن الغار أعين الكفار
وان الله عزوجل أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار وأرسل
حمامتين وحشيتين فوقفتا على وجه الغار فعششتا على بابه وان ذلك
مما صد المشركين عنه وان حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين جزاء
وفاقا لما حصل بهما الحماية جوزيا بالنسل وحمايته في الحرم فلا يتعرض

له ثم أقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وهراويهم وسيوفهم فجعل بعضهم ينظر في الغار فرأى حمامتين وحشيتين بفم الغار فرجع الي أصحابه فقالوا له مالك فقال رأيت حمامتين وحشيتين فعرفت أنه ليس فيه أحد فسمع النبي صلى الله عليه وسلم ماقال فعلم ان الله قد درأ عنه وقال آخر ادخلوا الغار فقال أمية بن خلف وما أربكم أي حاجتكم الى الغار ان فيه لعنكبوتا أقدم من ميلاد محمد لو دخل لكسر البيض وتفسخ العنكبوت وهذا أبلغ في الاعجاز من مقاومة القوم بالجنود فتأمل كيف أظلت الشجرة المطلوب وأضلت الطالب وجاءت عنكبوت فسدت باب الطلب وحاكت وجه المكان فحاكت ثوب نسجها حتى عمى على القائف الطلب ولقد حصل لها بذلك الشرف وما أحسن قول ابن النقيب

ودود القز ان نسجت حريرا ۞ يجمل لبسه فى كل شى

فان العنكبوت أجل منها ۞ بما نسجت على رأس النبي

﴿ وروى ﴾ الشيخان عن أنس قال حدثني أبو بكر قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن في الغار لو أن أحدهم نظر الي قدميه لرآنا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ماظنك باثنين الله ثالثهما وذكر بعض أهل السير ان أبا بكر لما قال ذلك قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لو جاؤنا من ههنا لذهبنا من ههنا فنظر الصديق الى الغار قد انفرج من الجانب الآخر واذا البحر قد اتصل به وسفينة مشدودة الى جانبه وعن الحسن البصري بلاغا ان أبا بكر ليلة انطلق معه صلى الله عليه وسلم

الى الغار كان يمشي بين يديه ساعة ومن خلفه ساعة فسأله فقال أذكر الطلب فامشي خلفك وأذكر الرصد فامشي امامك فقالوا لو كان شيء أحببت أن تقتل دوني قال أي والذي بعثك بالحق فلما انتهيا الي الغار قال مكانك يارسول الله حتي أستبرئ لك الغار فاستبرأه فجعل يلتمس بيده فكلما رأي جحرا قطع من ثوبه وألقمه الجحر حتي فصل ذلك بثوبه أجمع فبقي جحر فوضع عقبه عليه لئلا يخرج ما يؤذي رسول الله صلي الله عليه وسلم فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه في حجر أبي بكر ونام فلدغ أبو بكر في رجله من الجحر ولم يتحرك لئلا يوقظ المصطفي صلى الله عليه وسلم فسقطت دموعه علي وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك ياأبا بكر قال لدغت فداك أبي وأمي فتفل عليه رسول الله صلي الله عليه وسلم فذهب مايجده ولقد أحسن حسان بن ثابت رضى الله عنه حيث قال

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد * طاف العدو به اذ صاعد الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا * من الخلائق لم يعدل به بدلا

وكان خروجه صلى الله عليه وسلم من مكة يوم الخميس وخرج من الغار ليلة الاثنين لانه أقام فيه ثلاث ليال وذلك من أول ربيع الاول ودخل المدينة يوم الجمعة لثنتي عشرة ليلة خلت منه (حكي) أن زاهدا من الزهاد اسمه زكريا مرض مرضا شديدا ودنا وقت أجله فأتاه صديقه في سكرات الموت ولقنه لااله الا الله محمد رسول الله فأعرض الزاهد بوجهه ولم يقل فقال له ثانيا فأعرض فقال له ثالثا فقال لاأقول

فغشى على صديقه فلما كان بعد ساعة وجد الزاهد خفة فنتح عينيه فقال هل قلتم لى شيأ قالوا نعم عرضنا عليك الشهادة ثلاثا فأعرضت فى مرتين وقلت فى الثالثة لا أقول فقال أتانى ابليس عليه اللعنة ومعه قدح من الماء ووقف عن يمينى وهو يحرك القدح فقال لى أتحتاج الى الماء قلت بلى قال عيسى ابن الله فأعرضت عنه ثم أتانى من قبل رجلى فقال لى كذلك فاعرضت عنه وفى الثالثة قال لى كذلك فقلت لا أقول فضرب القدح على الارض وولى هاربا فأنا رددت على ابليس لا عليكم فأنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وروى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله قال سأل بعضهم ربه أن يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم فرأى فى النوم جسد رجل شبه البلور يرى داخله من خارجه ورأى الشيطان فى صورة ضفدع قاعد على منكبه الايسر بين منكبيه وأذنه له خرطوم طويل دقيق أدخله من منكبه الايسر الى قلبه يوسوس اليه فاذا ذكر الله تعالى خنس اللهم لا تسلط علينا شيطانا مريدا ولا انسانا حسودا وأعنا على ذكرك وشكرك بجاه خاتم أنبيائك ورسالك صلى الله عليه وسلم وعلى آله وشرف وكرم

﴿ الباب السابع عشر فى بيان الامانة والتوبة ﴾

روى عن محمد بن المنكدر أنه قال سمعت أبى يقول بينما سفيان الثورى يطوف اذ رأى رجلا لا يرفع قدما ولا يضع قدما الا وهو يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم قال فقلت له ياهذا انك قد تركت التسبيح والتهليل وأقبلت بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم

هل عندك في هذا شئ قال من أنت عافاك الله فقلت أنا سفيان الثوري
قال لولا انك زاهد أهل زمانك ماأخبرتك عن حالي ولا أطلعتك على
سري ثم قال لي خرجت ووالدي حاجا الي بيت الله الحرام حتى اذا
كنت في بعض المنازل مرض والدي فقمت بشأنه حتى مات فاسود
وجهه فقلت انا لله وانا اليه راجعون وغطيت وجهه فغلبتني عيناي
فنمت حزينا فرأيت رجلا لم أر أحسن منه وجها ولا أنظف منه ثوبا
ولا أطيب منه ريحا يرفع قدما ويضع أخري حتى دنا من والدي
فكشف الازار عن وجهه فامر بيده علي وجهه فابيض ثم ولي راجعا
فتعلقت بثوبه فقلت ياعبد الله من أنت الذي من الله علي والدي بك في
أرض الغربة قال أو ماتعرفني أنا محمد بن عبد الله صاحب القرآن أما
ان والدك كان مسرفا على نفسه ولكن كان يكثر الصلاة علي فلما نزل
به مانزل استغاث بي وأنا غياث لمن أكثر الصلاة علي فانتبهت فاذا وجه
أبي قد ابيض (وروي) عن عمرو بن دينار عن أبي جعفر عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال من نسي الصلاة علي فقد أخطأ طريق الجنة
(اعلم) أن الامانة مأخوذة من الامن لانه يؤمن معها من منع الحق
وضدها الخيانة من الخون وهو النقص لانك اذا خنت أحدا في شئ
فقد أدخلت عليه النقصان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المكر
والخديعة والخيانة في النار وقال صلى الله عليه وسلم من عامل الناس فلم
يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم فهو ممن كملت مروأته وظهرت عدالته
ووجبت أخوته ومدح اعرابي قوما فقال شغفوا برعي الامانة فلا يغدرون

بذمة ولا ينتهكون لمسلم حرمة ولم تعلق بهم ذمة فهم خير أمة أقول وهؤلاء الذين مدحهم الاعرابي قد انقرضوا فلم نر في هـذه الازمان الاذئابا في ثياب كما قال

بمن يثق الانسان فيما ينوبه * ومن أين للحر الكريم صحاب
وقد صار هذا الناس الا أقلهم * ذئابا على أجسادهن ثياب

﴿ وكما قال آخر ﴾

ذهب الذين يقال عند فراقهم * ليت البلاد وما بها تتصدع

وعن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الامانة سترفع ويصبح الناس يتبايعون وما يكاد أحد منهم أن يؤدي الامانة وحتى يقال ان في بني فلان أمينا (واعلم) أن التوبة واجبة بالاخبار والآيات قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) وهذا أمر على العموم وقال الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا) الآية ومعنى النصوح الخالص لله تعالى خاليا عن الشوائب مأخوذ من النصح ويدل على فضل التوبة قوله تعالى (ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) وقوله صلى الله عليه وسلم التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لاذنب له وقال رسول الله صلى صلى الله عليه وسلم لله أفرح بتوبة العبد المؤمن من رجل نزل في أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد عليه الحر والعطش أوماشاء الله قال أرجع الى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت

فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه فالله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته ويروي عن الحسن قال لما تاب الله على آدم عليه السلام هنأته الملائكة وهبط عليه جبريل وميكائيل عليهما السلام فقالا يا آدم قرت عينك بتوبة الله عليك فقال آدم عليه السلام ياجبريل فان كان بعد هذه التوبة سؤال فاين مقامى فأوحى الله اليه يا آدم ورثت ذريتك التعب والنصب وورثتهم التوبة فمن دعانى منهم لبيته كما لبيتك ومن سألنى المغفرة لم أبخل عليه لانى قريب مجيب يا آدم وأحشر التائبين من القبور مستبشرين ضاحكين ودعاؤهم مستجاب وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يبسط يده بالتوبة لمسيء الليل الى النهار ولمسيء النهار الى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وبسط اليد كناية عن طلب التوبة والطالب وراء القابل فرب قابل ليس بطالب ولا طالب الا وهو قابل وقال صلى الله عليه وسلم لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة فقيل كيف ذلك يارسول الله قال يكون نصب عينه تائبا منه فارا حتى يدخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم كفارة الذنب الندامة وقال صلى الله عليه وسلم التائب من الذنب كمن لاذنب له ويروى أن حبشيا قال يارسول الله انى كنت أعمل الفواحش فهل لى من توبة قال نعم فولى ثم رجع فقال يارسول الله أ كان يرانى وأنا أعملها قال نعم فصاح الحبشى صيحة خرجت فيها روحه ويروى ان الله عز وجل لما لعن ابليس سأله النظرة

فانظره الى يوم القيامة فقال وعزتك لاخرجت من قلب بن آدم مادام فيه الروح فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لاحجبت عنه التوبة مادام فيه الروح وقال صلي الله عليه وسلم ان الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ وعن سعيد بن المسيب أنزل قوله تعالى انه كان للاوابين غفورا في الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقال الفضيل قال الله تعالى بشر المذنبين بانهم ان تابوا قبلت منهم وحذر الصديقين أني ان وضعت عليهم عدلي عذبتهم وقال عبد الله بن عمر من ذكر خطيئة ألم بها فوجل منها قلبه محيت عنه في أم الكتاب ويروي أن نبيا من الانبياء أذنب فأوحى الله اليه وعزتي لئن عدت لاعذبنك فقال يارب أنت أنت وأنا أنا وعزتك ان لم تعصمني لاعودن فعصمه الله تعالي ويروي أن رجلا سأل ابن مسعود عن ذنب ألم به هل له من توبة فاعرض عنه ابن مسعود ثم التفت اليه فرأي عينيه تذرفان فقال ان للجنة ثمانية أبواب كلها تفتح وتغلق الا باب التوبة فان عليه ملكا موكلا به لايغلق فاعمل ولا تيأس (ويروى) أنه كان في بني اسرائيل شاب عبد الله عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم نظر في المرآة فرأي الشيب في لحيته فساءه ذلك فقال الهي أطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة فان رجعت اليك أتقبلني فسمع قائلا يقول ولا يري شخصه أحببتنا فاحببناك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فأمهلناك وان رجعت الينا قبلناك (وروى) عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا تاب العبد تاب الله عليه وانسى الحفظة ما كانوا كتبوا من

مساوي عمله وأنسي جوارحه ما عملت من الخطايا وأنسى مكانه من الارض ومقامه من السماء ليجيء يوم القيامة وليس شيء من الخلق يشهد عليه وروى عن علي كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مكتوب حول العرش قبل أن يخلق الخلق باربعة آلاف عام وأني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى (واعلم ان التوبة فرض عين من الذنوب الكبائر والصغائر فورا فان الاصرار على الصغائر يلحقها بالكبائر قال الله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم الآية والتوبة النصوح أن يتوب العبد ظاهرا وباطنا نادما غير عازم على العود ومثل من تاب ظاهرا فقط كمثل مزبلة بسط عليها ديباج والناس ينظرون اليها ويتعجبون منها فاذا كشف عنها الغطاء أعرضوا عنها فكذلك الخلق ينظرون الى أهل الطاعة الظاهرة فاذا كشف الغطاء يوم القيامة يوم تبلى السرائر أعرضت الملائكة عنهم ولذا قال صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم وعن ابن عباس رضى الله عنهما كم من تائب يجيء يوم القيامة يظن انه تائب وليس بتائب أى لانه لم يحكم أبواب التوبة من الندم والعزم على عدم العود ورد المظالم لاربابها ان امكن واستحلالهم منها ان تيسر والا أكثر من الاستغفار له ولهم عسى الله أن يرضيهم عنه ونسيان الذنب من أقبح المصائب فعلى العاقل أن يحاسب نفسه ولا ينسى ذنبه كما قيل

يا أيها المذنب المحصي جرائمه * لا تنس ذنبك واذكر منه ما سلفا

وتب الي الله قبل الموت وانزجرا * ياعاصياواعترف ان كنت معترفا

(وروي الفقيه أبو الليث) بسنده قال دخل عمر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم باكيا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مايبكيك ياعمر فقال يارسول الله بالباب شاب قد أحرق فؤادي وهو يبكى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أدخله ياعمر قال فدخل وهو يبكي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مايبكيك ياشاب قال يارسول الله أبكتني ذنوب كثيرة وخفت من جبار غضبان علىّ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أأشركت بالله شيأ قال لا قال أقتلت نفسا بغير حق قال لا قال فان الله يغفر ذنبك ولو كان مثل السموات السبع والأرضين والجبال قال يارسول الله ذنبي أعظم من ذلك قال ذنبك أعظم أم الكرسي قال ذنبي أعظم يارسول الله قال ذنبك أعظم أم العرش قال ذنبي أعظم قال ذنبك أعظم أم الهك يعني عفو الله قال بل الله أعظم وأجل قال فانه لا يغفر الذنب العظيم الا الرب العظيم يعني عظيم التجاوز ثم قال له رسول الله صلي الله عليه وسلم أخبرني عن ذنبك قال اني أستحى منك يارسول الله قال بل أخبرني قال يارسول الله اني كنت أنبش القبور منذ سبع سنين حتى ماتت جارية من بنات الانصار فنبشت قبرها وأخذت كفنها ومضيت غير بعيد فغلب الشيطان علىّ فرجعت فجامعتها ثم مضيت غير بعيد واذا بالجارية قامت وقالت ويلك ياشاب أما تستحي من ديان يأخذ للمظلوم من الظالم تركتني عريانة في عسكر الموتي وأوقفتني جنبا بين يدى الله عز وجل قال فوثب رسول الله صلي

الله عليه وسلم وهو يدفع في قفاه ويقول يافاسق ماأحوجك الى النار
اخرج عني فخرج الشاب تائبا الى الله تعالى أربعين ليلة فلما تم له أربعون
ليلة رفع رأسه الى السماء وقال ياالله محمد وآدم وابراهيم ان كنت
غفرت لي فاعلم محمدا وأصحابه صلى الله عليه وسلم والا فأرسل نارا من
السماء فأحرقني بها ونجني من عذاب الآخرة قال فهبط جبريل على
النبي صلى الله عليه وسلم وقال يامحمد ربك يقرئك السلام ويقول لك
أنت خلقت الخلق فقال بل هو الذى خلقني وخلقهم ورزقني ورزقهم
قال جبريل عليه السلام يقول لك الله تعالى انى تبت على الشاب فدعا
النبي صلى الله عليه وسلم الشاب وبشره بأن الله تعالى تاب عليه ﴿ حكى ﴾
انه كان في زمن موسى عليه السلام رجل لا يستقيم على التوبة كلما تاب
أفسد فمكث على ذلك عشرين سنة فأوحى الله تعالى الى موسى قل
لعبدى الآن انى غضبت عليه فبلغ موسى عليه السلام الرسالة الى ذلك
الرجل فحزن وذهب الى الصحراء قائلا الهى أنفدت رحمتك أم ضرتك
معصيتي أم نفدت خزائن عفوك أم بخلت على عبادك أي ذنب أعظم من
عفوك والكرم من صفاتك القديمة واللؤم من صفاتي الحادثة أفتغلب
صفتي صفتك واذا حجبت عبادك عن رحمتك فمن يرجون وان
طردتهم فالى من يقصدون الهي ان كانت رحمتك قد نفدت وكان لابد
من عذابي فاحمل على جميع عذاب عبادك فاني قد فديتهم بنفسي فقال
الله تعالى ياموسى اذهب اليه وقل له لو كانت ذنوبك ملء الأرض
لغفرتها لك بعد ماعرفتني بكمال القدرة والعفو والرحمة وقال صلى الله

عليه وسلم مامن صوت أحب الى الله من صوت عبد مذنب تائب يقول يارب فيقول الرب لبيك يا عبدى سل ماتريد أنت عندي كبعض ملائكتي أنا عن يمينك وعن شمالك وفوقك وقريب من ضمير قلبك اشهدوا ياملائكتي اني قدغفرت له (قال ذوالنون المصري) رحمه الله ان لله عبادا نصبوا أشجار الخطايا نصب روامق القلوب وسقوها بماء التوبة فأثمرت ندما وحزنا فجنوا من غير جنون وتلذذوا من غير عيّ ولا بكم وانهم هم البلغاء والفصحاء العارفون بالله ورسوله ثم شربوا بكأس الصفاء فورثوا الصبر على طول البلاء ثم تولهت قلوبهم في الملكوت وجالت أفكارهم بين سرايا حجب الجبروت واستظلوا تحت رواق الندم وقرؤا صحيفة الخطايا فأورثوا أنفسهم الجزع حتي وصلوا الى علو الزهد بسلم الورع فاستعذبوا مرارة الترك للدنيا واستلانوا خشونة المضجع حتى ظفروا بحبل النجاة وعروة السلامة وسرحت أرواحهم في العلا حتي أناخوا في رياض النعيم وخاضوا في بحر الحياة وردموا خنادق الجزع وعبروا جسور الهوى حتي نزلوا بفناء العلم واستقوا من غدير الحكمة وركبوا سفينة الفطنة وأقلعوا بريح النجاة في بحر السلامة حتى وصلوا الي رياض الراحة ومعدن العز والكرامة

﴿ الباب الثامن عشر في فضل الترحم ﴾

قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لايدخل الجنة الارحيم قالوا يارسول الله كلنا رحيم قال ليس الرحيم من يرحم نفسه خاصة ولكن الرحيم من يرحم نفسه وغيره ومعني رحمته لنفسه أن يرحمها من عذاب

الله تعالى بترك المعاصي والتوبة منها وفعل الطاعات والاخلاص فيها ومعنى رحمته لغيره أن لا يسعى في أذية المسلم قال صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم الناس من يده ولسانه ويرحم البهائم فلا يكلفها مالا تطيق فقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل يمشي في الطريق فاشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل بها وشرب ثم طلع فاذا كلب يلهث من العطش فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغ مني فملأ حفنة ماء ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب فشكر الله تعالى فغفر له قالوا يارسول الله ان لنا في البهائم لاجرا قال في كل ذات كبد رطبة أجر وعن أنس بن مالك قال بينما عمر رضي الله عنه يعس ذات ليلة اذ مر برفقة قد نزلت فخشي عليهم السرقة فاتى عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه فقال ما الذي جاء بك في هذه الساعة ياأمير المؤمنين قال مررت برفقة قد نزلت فحدثتني نفسي انهم اذا باتوا ناموا فخشيت عليهم السارق فانطلق بنا نحرسهم قال فانطلقا فقعدا قريبا من الرفقة يحرسان حتى اذا طلع الفجر نادى عمر رضى الله عنه ياأهل الرفقة الصلاة حتى اذا رآهم تحركوا انصرف فعلينا أن نقتدي بالصحابة رضي الله عنهم فقد مدحهم الله تعالى بقوله رحماء بينهم وكانوا رحماء على المسلمين وعلى جميع الخلق وكانوا يرحمون أهل الذمة فقد روي عن عمر رضي الله عنه انه رأى رجلا من أهل الذمة يسأل على أبواب الناس وهو شيخ كبير فقال له عمر رضى الله عنه ماأنصفناك أخذنا منك الجزية مادمت شابا ثم ضيعناك اليوم وأمر بان يجرى عليه

قوته من بيت مال المسلمين وروي عن علي رضي الله عنه قال رأيت عمر رضي الله عنه على قتب وهو يعدو بالابطح فقلت له ياأمير المؤمنين أين تصير بعير ندّ من الصدقة فأنا أطلبه فقلت له لقد أذللت الخلفاء من بعدك فقال لاتلمني ياأبا الحسن فوالذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالنبوة لو أن عناقا ذهب بشاطىء الفرات لاخذ بها عمر يوم القيامه لانه لاحرمة لوال ضيع المسلمين ولا لفاسق روع المؤمنين وعن الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بدلاء أمتي لايدخلون الجنة بكثرة صلاة ولا صيام ولكن يدخلونها بسلامة الصدور وسخاوة النفوس والرحمة لجميع المسلمين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء وعنه صلى الله عليه وسلم من لايرحم لايرحم ومن لايغفر لايغفر له وقال مالك بن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع من حق المسلمين عليك أن تعين محسنهم وان تستغفر لمذنبهم وان تعود مريضهم وان تحب تائبهم وروي أن موسى عليه السلام قال يارب بأي شيء اتخذتني صفيا قال برحمتك على خلقي وعن أبي الدرداء رضي الله عنه انه كان يتبع الصبيان فيشتري منهم العصافير فيرسلها ويقول اذهبي فعيشي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتواصلهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر (حكاية) مر عابد من بني اسرائيل على كثيب من رمل وقد أصابت بني اسرائيل مجاعة عظيمة فتمنى في نفسه ان هذا لو كان دقيقا لاشبع به بني اسرائيل

فأوحى الله الى نبي بني اسرائيل ان قل لفلان ان الله تعالى قد أوجب لك
من الاجر مالو كان دقيقا وأشبعت به الناس ولذلك قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم نية المؤمن خير من عمله (حكي) أن عيسى عليه السلام خرج
يوما فلقي ابليس وبيده عسل وفي الاخرى رماد فقال ماتفعل ياعدو
الله بهذا العسل والرماد قال أما العسل فأجعله على شفاه المغتابين حتى
يبلغوا منها وأما الرماد فأضعه على وجه اليتامى حتى يبغضهم الناس وقال
صلى الله عليه وسلم ان اليتيم اذا ضرب اهتز عرش الرحمن لبكائه فيقول
الله عز وجل ياملائكتي من أبكي هذا الصبي الذي غيبت أباه في التراب
وقال صلى الله عليه وسلم من آوي يتيما الى طعامه وشرابه أوجب الله
له الجنة وفي روضة العلماء كان ابراهيم عليه السلام اذا أراد أن يأكل
طعاما مشى الميل والميلين يطلب من يأكل معه وبكى على كرم الله وجهه
يوما فقيل مايبكيك قال لم يأتني ضيف منذ سبعة أيام فأخاف أن يكون
الله قد أهانني وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أطعم جائعا يريد
به وجه الله وجبت له الجنة ومن منع الطعام عن الجائع منع الله عنه فضله
يوم القيامة وعذبه في النار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم السخي
قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار والبخيل
بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار وقال صلى
الله عليه وسلم الجاهل السخي أحب الى الله من العابد البخيل وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة يدخل الجنة أربعة
بغير حساب العالم الذي يعمل بعلمه ومن حج ولم يرفث ولم يفسق حتى

مات والشهيد الذى قتل في المعركة لاعلاء كلمة الاسلام والسخى الذى اكتسب مالا من الحلال وأنفقه فى سبيل الله بغير رياء فهؤلاء ينازع بعضهم بعضا أيهم يدخل الجنة أولا وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا يختصهم بالنعم لمنافع العباد فمن بخل بتلك المنافع على العباد نقلها الله تعالى عنه وحولها الى غيره وقال صلى الله عليه وسلم السخاء شجرة من شجر الجنة أغصانها متدلية الى الارض فمن أخذ بغصن منها قاده ذلك الغصن الى الجنة وعن جابر رضى الله عنه قال قيل يا رسول الله أي الاعمال أفضل قال الصبر والسماحة وروي المقدام بن شريح عن أبيه عن جده قال قلت يارسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال ان من موجبات المغفرة بذل الطعام وافشاء السلام وحسن الكلام

﴿ الباب التاسع عشر في بيان الخشوع فى الصلاة ﴾

جاء في الخبر ان جبريل عليه السلام جاء يوما الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله كنت رأيت ملكا في السماء على سرير وحوله سبعون ألف ملك صفوفا يخدمونه وكل نفس يتنفس ذلك الملك يخلق الله من نفسه ملكا والآن رأيت ذلك الملك على جبل قاف منكسر الجناح وهو يبكي فلما رآني قال أتشفع لي قلت ماجرمك قال كنت على السرير ليلة المعراج فمر بي محمد صلى الله عليه وسلم فما قمت له فعاقبني الله بهذه العقوبة وجعلني في هذا المكان كما ترى قال فتضرعت الى الله فشفعت له فقال الله تعالى ياجبريل قل له حتى يصلي على محمد فصلي ذلك الملك

عليك عفا الله عنه وأنبت جناحيه (اعلم) أنه ورد أن أول ماينظر فيه
من عمل العبد يوم القيامة الصلاة فان وجدت تامة قبلت منه وسائر عمله
وان وجدت ناقصة ردت اليه وسائر عمله وقال صلى الله عليه وسلم مثل
الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من أوفى استوفى وقال يزيد الرقاشي
كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستوية كأنها موزونة وقال
صلى الله عليه وسلم ان الرجلين من أمتي ليقومان الى الصلاة وركوعهما
وسجودهما واحد وان مابين صلاتيهما مابين السماء والارض وأشار
الى الخشوع وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله يوم القيامة الى العبد
لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده وقال صلى الله عليه وسلم
من صلى صلاة لوقتها وأسبغ وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها
عرجت وهي بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتني ومن صلى
صلاة لغير وقتها ولم يسبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها
عرجت وهي سوداء مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعتني حتى اذا كانت
حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه وقال صلى
الله عليه وسلم أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته وقال ابن مسعود
رضي الله عنه الصلاة مكيال فمن أوفى استوفى ومن طفف فقد علم ماقال الله ويل
للمطففين وقال بعض العلماء مثل المصلي مثل التاجر الذي لا يحصل له الربح
حتى يخلص له رأس المال وكذلك المصلي لا تقبل له نافلة حتى يؤدي الفريضة
وكان أبو بكر رضي الله عنه يقول اذا حضرت الصلاة فقوموا الى ناركم التي
أوقدتموها فأطفؤها وقال صلى الله عليه وسلم انما الصلاة تمسكن وتواضع

وقال صلي الله عليه وسلم من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا وصلاة الغافل لا تمنع من الفحشاء والمنكر وقال صلي الله عليه وسلم كم من قائم وليس له من قيامه الا التعب والنصب وما أراد به الا الغافل وقال صلي الله عليه وسلم ليس للعبد من صلاته الا ماعقل منها وقال أهل المعرفة الصلاة أربعة أشياء الشروع مع العلم والقيام مع الحياء والاداء مع التعظيم والخروج مع الخوف وقال بعض المشايخ من لم يجمع قلبه على الحقيقة فسدت صلاته وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم في الجنة نهر يقال له الافيح فيه حواري خلقهن الله من الزعفران يلعبن بالدر والياقوت يسبحن الله بسبعين ألف لغة أصواتهن أطيب من صوت داود عليه السلام ويقلن نحن لمن صلى صلاته بالخشوع والحضور فيقول الله تعالي لأسكننه داري ولاجعلنه من زواري (وروي) أن الله تعالى أوحي الى موسي عليه السلام ياموسي اذا ذكرتني فاذكرني وأنت تنتفض أعضاؤك وكن عند ذكري خاشعا مطمئنا واذا ذكرتني فاجعل لسانك من وراء قلبك واذا كنت بين يدي فقم قيام العبد الذليل وناجني بقلب وجل ولسان صادق وروي ان الله تعالي أوحي اليه قل لعصاة أمتك لايذكروني فاني آليت على نفسي أن من ذكرني ذكرته فاذا ذكروني ذكرتهم باللعنة هذا في عاص غير غافل في ذكره فكيف اذا اجتمعت الغفلة والعصيان قال بعض الصحابة رضي الله عنهم يحشر الناس يوم القيامة على مثال هيئتهم في الصلاة من الطمأنينة والهدو ومن وجود النعيم بها واللذة ورأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث

بلحيته في صلاته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه وقال من لم يخشع قلبه ردت صلاته واعلم أن الله مدح الخاشعين المتواضعين في الصلاة في غير آية فقال في صلاتهم خاشعون على صلواتهم يحافظون على صلاتهم دائمون قيل ان المصلين كثير والخاشعين في الصلاة قليل والحاج كثير والبار قليل والطير كثير والعندليب قليل والعالم كثير والعامل قليل والصلاة محل الخضوع ومعدن التواضع والخشوع وهذا علامة القبول فان للجواز شرطا وللقبول شرطا فشرط الجواز أداء فرضها وشرط القبول الخشوع قال تعالى (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون) الآية والتقوى قال الله تعالى (انما يتقبل الله من المتقين) وقال صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين مقبلا فيهما على الله بقلبه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه (واعلم) انه لا يلهى عن الصلاة الا الخواطر الواردة الشاغلة فلابد من دفعها ودفعها قد يكون بالصلاة في مظلم أو خال عن الشواغل من الاصوات والفرش المنقوشة والتجرد عن الملابس المزينة بحيث تلهيه اذا نظر اليها في الصلاة كما روي انه صلى الله عليه وسلم لما لبس الخميصة التى أتاه بها أبو جهم وعليها علم وصلى بها نزعها بعد صلاته وقال اذهبوا بها الى أبي جهم فانها ألهتني آنفا عن صلاتي وأمر صلى الله عليه وسلم بتجديد شراك نعله ثم نظر اليه في صلاته اذا كان جديدا فامر أن ينزع منها ويرد الشراك الخلق وكان صلى الله عليه وسلم في يده خاتم من ذهب قبل التحريم وكان على المنبر فرماه وقال شغلني هذا النظرة اليه ونظرة اليكم وروى أن أبا طلحة صلى في حائط له فيه شجر

فاعجبه دبسي طار في الشجر يلتمس مخرجا فأتبعه بصره ساعة ثم لم يدر كم صلى فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصابه من الفتنة ثم قال يارسول الله هو صدقة فضعه كيف شئت (وعن رجل آخر) انه صلى في حائط له والنخل مطوقة بثمرها فنظر اليها فأعجبته ولم يدر كم صلى فذكر ذلك لعثمان رضى الله عنه وقال هو صدقة فاجعله في سبيل الله عز وجل فباعه عثمان بخمسين ألفا وقال بعض السلف أربعة في الصلاة من الجفاء الالتفات ومسح الوجه وتسوية الحصا وأن تصلي بطريق من يمر بين يديك قال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل مقبل على المصلى مالم يلتفت وكان الصديق رضى الله عنه في صلاته كانه وتد وبعضهم كان يسكن في ركوعه بحيث تقع العصافير عليه كانه جماد وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدى من يعظم من أبناء الدنيا فكيف لا يتقاضاه بين يدي ملك الملوك (وفي التوراة) مكتوب يابن آدم لا تعجز أن تقوم بين يدي مصليا باكيا فانا الله الذي اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نوري وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال على المنبر ان الرجل ليشيب عارضاه فى الاسلام وما أكمل لله تعالى صلاة قيل وكيف ذلك قال لا يتم خشوعها وتواضعها واقباله على الله عز وجل فيها وسئل أبو العالية عن قوله تعالى الذين هم عن صلاتهم ساهون قال هو الذي يسهو في صلاته فلا يدرى على كم ينصرف أعلى شفع أم على وتر وقال الحسن هو الذى يسهو عن وقت الصلاة حتى تخرج وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى لا ينجو مني عبدي الا بأداء ما افترضته عليه

﴿ الباب العشرون في بيان الغيبة والنميمة ﴾

اعلم ان الله سبحانه وتعالى نص على ذم الغيبة في كتابه وشبه صاحبها بآكل لحم الميتة فقال تعالى (ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) وقال صلى الله عليه وسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والغيبة فان الغيبة أشد من الزنا فان الرجل قد يزني ويتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبها وقالوا مثل من يغتاب الناس كمثل من نصب منجنيقا فهو يرمي بها يمينا وشمالا فهو يرمي بحسناته كذلك وقال صلى الله عليه وسلم من رمى أخاه بغيبة يريد بها شينه أوقفه الله تعالى على جسر جهنم يوم القيامة حتى يخرج مما قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الغيبة ذكرك أخاك بما يكره أي سواء ذكرته بنقصان بدنه أو نسبه أو نعله أو قوله أو دينه أو دنياه حتى في ثوبه وردائه ودابته حتى ذكر بعض المتقدمين لو قلت ان فلانا ثوبه طويل أو قصير يكون ذلك غيبة فكيف ذكرك ما يكره من نفسه وروى ان امرأة قصيرة دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم في بعض حاجاتها فلما خرجت قالت عائشة رضي الله عنها ما أقصرها فقال النبي صلى الله عليه وسلم اغتبتها يا عائشة وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والغيبة فان فيها ثلاث آفات لا يستجاب لصاحبها دعاء ولا تقبل له حسنة وتتراكم عليه السيآت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذم النميمة شر الناس يوم القيامة ذو وجهين النمام الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه من كان ذا وجهين في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار

وعن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال لا يدخل الجنة نمام فان قيل ما الحكمة في أن الله تعالي خلق كل مخلوق ذا لسان ناطق وغير ناطق وليس للسمك لسان أصلا فقيل لان الله تعالى لما خلق آدم أمر الملائكة بالسجود له فسجدوا كلهم الا ابليس لعنه الله وأخرجه من الجنة ومسخه فأهبط الى الارض فجاء الى البحار أول ما رآه السمك فاخبره بخلق آدم وقال انه يصطاد ويأخذ دواب البحر والبر فبلغ السمك دواب البحر بخبر آدم فاذهب الله لسانه (حكي) عن عمرو بن دينار أنه قال كان رجل من أهل المدينة له أخت في ناحية المدينة فاشتكت فكان يأتيها يعودها ثم ماتت وجهزها وحملها الي القبر فلما دفنت رجع الي أهله ثم ذكر ان له كيسا كان معه فضيعه في القبر فاستعان برجل من أصحابه فأتيا القبر فنبشاه فوجدا الكيس فقال للرجل تنح عني حتي أنظر علي أي حال هى فرفع بعض ما علي اللحد فاذا القبر يشتعل نارا فرجع الي أمه فقال أخبريني علام كانت أختي فقالت كانت أختك تأتي أبواب الجيران فتلقي أذنها الي أبوابهم حتي تستمع الحديث لكي تمشي بالنميمة فعلم ان هذا سبب عذاب القبر فمن أراد أن ينجو من عذاب القبر فليحترز من النميمة والغيبة (وحكي) عن أبي الليث البخارى انه خرج حاجا فجعل فى جيبه درهمين وحلف ان اغتبت أحدا في طريق مكة ذاهبا أو آيبا فلله علي أن أتصدق بهما فذهب الي مكة ورجع الى منزله والدرهمان في جيبه فقيل له فى ذلك قال لان أزنى مائة مرة أحب الي من أن أغتاب مرة واحدة قال أبو حفص الكبير لو لم أصم رمضان أحب الي من أن أغتاب انسانا ثم قال من اغتاب فقيها جاء يوم القيامة

مكتوبا علي وجهه هذا آيس من رحمة الله وعن أنس بن مالك رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسري بي على
أقوام يخمشون وجوههم بأظافيرهم ويأكلون الجيفة فقلت من هؤلاء
ياجبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس في الدنيا وقال الحسن
رضي الله عنه والله للغيبة أسرع في دين الرجل المؤمن من الاكلة في الجسد
وقال أبو هريرة رضي الله عنه يبصر أحدكم القذي في عين أخيه ولا يبصر
الجذع في عين نفسه وروى أن سلمان كان في سفر مع أبي بكر وعمر وكان
يطبخ لهما فنزلوا منزلا فلم يتهيأ أن يصلح لهم من الطعام فبعثاه الى النبي
صلى الله عليه وسلم لينظر عنده شيأ من الطعام فلم يجد فرجع اليهما فقالا انه
لو ذهب الى بئر كذا ليبس ماؤها فنزلت هذه الآية ولا يغتب بعضكم بعضا
أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه وعن أبي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من أكل لحم أخيه في الدنيا قدم
اليه لحمه يوم القيامة ويقال كله ميتا فانك أكلته حيا فيأكله ثم تلا قوله تعالي
(أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) وروى عن جابر بن عبد الله الانصاري
رضي الله عنه ان ريح الغيبة كانت تبين في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذلك لقلتها وأما في هذه الازمان فقد كثرت الغيبة وامتلأت الانوف منها
فلا تتميز رائحتها ومثل ذلك كمثل رجل دخل دار الدباغين فلم يقدر على
القرار فيها من شدة الرائحة ونتنها وأهلها المقيمون فيها يأكلون الطعام
ويشربون فيها ولا تتبين لهم تلك الرائحة المنتنة لانها ملأت أنوفهم فكذلك
أمر الغيبة في أيامنا هذه (قال كعب) رضي الله عنه قرأت في بعض

الكتب أن من مات تائبا من الغيبة كان آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها كان أول من يدخل النار وقال الله تعالى ويل لكل همزة لمزة أي أشد العذاب للهمزة الذي يعيبك في الغيب واللمزة الذي يعيبك في وجهك والآية نزلت في الوليد بن المغيرة وكان يغتاب النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين في وجوههم ويجوز أن يكون السبب خاصا والوعيد عاما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إياكم والغيبة فانها أشد من الزنا قالوا كيف يارسول الله تكون الغيبة أشد من الزنا قال ان الرجل يزني ثم يتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يعفو عنه صاحبه فالواجب على المغتاب أن يندم ويتوب ليخرج من حق الله ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج من مظلمته وقال صلى الله عليه وسلم من اغتاب أخاه المسلم حول الله وجهه الى دبره يوم القيامة وينبغي لصاحب الغيبة أن يستغفر الله تعالى قبل القيام من المجلس وقبل أن تصل الي المغتاب لانه اذا تاب صاحب الغيبة قبل وصولها الى المغتاب تقبل توبته أما اذا بلغته فلا يرتفع عنه الاثم بالتوبة مالم يجعله في حل وكذلك اذا زنى بامرأة لها زوج فبلغه الخبر لا يرتفع بالتوبة مالم يجعله في حل وأما ترك الصلاة والزكاة والصوم والحج فلا يرتفع بالتوبة بل بقضاء الفائت من ذلك والله أعلم

﴿ الباب الحادي والعشرون في بيان الزكاة ﴾

قال الله تعالى والذين هم للزكاة فاعلون يعني يؤدون وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح

من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوي بها جنبه وظهره أي ويوسع جسمه لها كلها وان كثرت كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما النار الحديث وقال تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل للاغنياء من الفقراء يوم القيامة يقولون ظلمونا حقوقنا التي فرضت عليهم فيقول الله تعالى وعزتي وجلالي لادنينكم ولا باعدنهم ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم وروي أنه صلى الله عليه وسلم مر ليلة أسري به على قوم على أدبارهم رقاع وعلى أقبالهم رقاع يسرحون كما تسرح الانعام الى الضريع والزقوم ورضف جهنم قال من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء الذين لايؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد (وحكي) ان جماعة من التابعين خرجوا لزيارة أبي سنان فلما دخلوا عليه وجلسوا عنده قال قوموا بنا نزور جارا لنامات أخوه ونعزيه فيه قال محمد بن يوسف الفريابي فقمنا معه ودخلنا على ذلك الرجل فوجدناه كثير البكاء والجزع على أخيه فجعلنا نعزيه ونسليه وهو لايقبل تسلية ولا عزاء فقلنا له أما تعلم أن الموت سبيل لابد منه قال بلى ولكن أبكي على ما أصبح وأمسى فيه أخي من العذاب فقلنا له قد أطلعك الله على الغيب قال لا ولكن لما دفنته وسويت

عليه التراب وانصرف الناس جلست عنـد قبره واذا صوت من قبره يقول اه أفردوني وحيدا أقاسى العذاب قد كنت أصوم قد كنت أصلي قال فأبكاني كلامه فنبشت عنه التراب لانظر ماحاله واذا القبر يلمع عليه نارا وفي عنقه طوق من نار فحملتني شفقة الاخوة ومددت يدي لارفع الطوق من رقبتـه فاحترقت أصابعي ويدى ثم أخرج الينا يده فاذا هى سوداء محترقة قال فرددت عليه التراب وانصرفت فكيف لا أبكى على حاله وأحزن عليه فقلنا فما كان أخوك يعمل فى الدنيا قال كان لا يؤدي الزكاة من ماله قال فقلنا هـذا تصديق قوله تعالى ولا يحسـبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة وأخوك عجل له العـذاب في قبره الي يوم القيامة قال ثم خرجنا من عنده وأتينا أبا ذر صاحب رسول الله صلي الله عليه وسلم وذكرنا له قضية الرجل وقلنا له يموت اليهودى والنصراني ولا نرى فيهم ذلك فقال أولئك لاشك انهم في النار وانما أريكم الله في أهل الايمان لتعتبروا قال الله تعالى فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ وجاء فى الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مانع الزكاة عند الله بمنزلة اليهود والنصاري ومانع العشر عنـد الله تعالى بمنزلة المجوس ومن يمنع الزكاة والعشر من ماله ملعون على لسان الملائكة والنبي صلى الله عليه وسـلم ولا تقبـل شهادته وقال طوبى له ان أدى الزكاة والعشر وطوبى لمن ليس عليه عذابه الزكاة وعذاب يوم القيامة ومن أدي الزكاة من ماله رفع الله عنه عذاب القبر وحرم الله لحمه على النار وأوجب

له الجنة بغير حساب ولا يصله عطش يوم القيامة

﴿ الباب الثاني والعشرون في بيان الزنا ﴾

قال الله سبحانه وتعالى والذين هم لفروجهم حافظون أي عن الفواحش وعما لايحل لهم كما قال الله تعالى في آية أخري ولا تقربوا الفواحش ماظهر منها وما بطن يعني ما كبر وهو الزنا وما صغر وهو القبلة واللمس والنظر كما جاء في الخبر عن سيد البشر صلي الله عليه وسلم أنه قال اليدان تزنيان والرجلان تزنيان والعينان تزنيان قال الله تعالي قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكي لهم الآية قد أمر الله تعالي الرجال والنساء بغض البصر عن الحرام وبحفظ الفرج عن الحرام وقد حرم الله الزنا في آيات كثيرة قال الله تعالى ومن يفعل ذلك يلق أثاما يعني عقابا في النار ويقال واديا في النار ويقال جب في النار اذا فتح فمه صاح أهل جهنم من خبث رائحته وروى عن بعض الصحابة انه قال اياكم والزنا فان فيه ست خصال ثلاثة في الدنيا وثلاثة في الآخرة فأما التي في الدنيا فنقصان الرزق وقطع الاجل وسواد الوجه وأما التي في الآخرة فغضب الله وشدة الحساب ودخول النار وروى أن موسى عليه السلام قال يارب ما لمن زني قال الله تعالي ألبسه درعا من النار لو وضع على جبل شاهق لاصبح رمادا وورد ان امرأة فاجرة أحب الى ابليس من ألف فاجر وفي المصابيح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زني العبد خرج منه الايمان وكان فوق رأسه كالظلة فاذا خرج من ذلك العمل رجع اليه الايمان وفي كتاب الاقناع

قال النبي صلي الله عليه وسلم مامن ذنب أعظم عند الله من نطفة يضعها
الرجل في رحم من لاتحل له واللواط أشد من الزنا لما روي عن أنس
ابن مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من لاط
لايجد رائحة الجنة وان رائحتها لتوجد من مسيرة خمسمائة عام (وحكي)
ان عبد الله بن عمر كان جالسا على باب داره فرأى غلاما جميلا فدخل
عبد الله هاربا وأغلق بابه فلما مكث ساعة قال هل ذهبت هذه الفتنة
أم لافقالوا ذهبت فخرج من الدار فقيل له ياعبد الله مافعل هذا في نفسك
أسمعت فيه شيئا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال النظر اليهم
حرام والكلام معهم حرام ومجالستهم حرام قال القاضي الامام رحمه
الله سمعت بعض المشايخ يقول ان مع كل امرأة شيطانا ومع كل غلام
ثمانية عشر شيطانا وروي من قبل غلاما بشهوة عذبه الله تعالى في النار
خمسمائة عام ومن قبل امرأة بشهوة فكأنما زني بسبعين بكرا ومن زنى
بالبكر فكأنما زني بسبعين ألف ثيب (وفي رواق التفاسير) قال الكلبي
ان أول من عمل عمل قوم لوط ابليس لعنه الله فتصور لهم في صورة
غلام أمرد جميل ثم دعاهم الي نفسه فنكحوه فصار ذلك عادتهم في كل
غريب فارسل اليهم لوط عليه السلام فنهاهم عن ذلك ودعاهم الي عبادة
الله وتوعدهم على اصرار المعصية بعذاب الله فقالوا له ائتنا بعذاب الله
ان كنت من الصادقين فسأل لوط عليه السلام ربه أن ينصره عليهم فقال
رب انصرني على القوم المفسدين فأمر الله السماء أن تمطر عليهم الحجارة
مكتوب على كل حجر اسم من رمي به وهو معنى قوله مسومة عند

ربك أي معلمة أي عليها علامة في خزائن الله أو في حكمه (وحكي) أن رجلا تاجرا من قوم لوط كان بمكة فجاء حجر ليصيبه في الحرم فقالت الملائكة للحجر ارجع من حيث جئت فان الرجل في حرم الله فرجع الحجر فوقف خارج الحرم أربعين يوما بين السماء والارض حتى قضى الرجل تجارته فلما خرج أصابه الحجر خارجا عن الحرم فأهلكه وكان لوط قد أخرج امرأته معه وهي من تبعه أن لا يلتفت خلفه الا امرأة لوط فانها لما سمعت هذا العذاب التفتت وقالت واقوماه فأدركها حجر فوقع على رأسها فقتلها قال مجاهد لما أصبحوا غدا جبريل على قريتهم وقلعها من أركانها ثم أدخل جناحه ثم حملها على خوافي جناحه بما فيها ثم صعد بها الى السماء حتى سمع أهل السماء صياح ديكتهم ونباح كلابهم ثم قلبها فكان أول ماسقط منها سرادقها فلم يصب قوما ماأصابهم ثم ان الله طمس على أعينهم ثم قلبت قريتهم وهي خمس مدائن أكبرها سذوم وهي المؤتفكات المذكورة في سورة براءة يقال كان فيها أربعة آلاف ألف

﴿ الباب الثالث والعشرون في صلة الرحم وحقوق الوالدين ﴾

قال تعالى واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام أى واتقوا الارحام أن تقطعوها * وقال تعالى فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم * وقال تعالى الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ماأمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض أولئك هم الخاسرون * وقال تعالى الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل أولئك

لهم اللعنة ولهم سوء الدار * وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق الخلق حتي اذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى قال فذاك لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا ان شئتم فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم والترمذى وقال حديث حسن صحيح وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الاسناد عن أبي بكرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم مامن ذنب أجدر أى أحق أن يعجل الله لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع مايدخر له فى الآخرة من البغي وقطيعة الرحم والشيخان لا يدخل الجنة قاطع قال سفيان يعنى قاطع رحم وأحمد بسند رواته ثقات ان أعمال بني آدم تعرض كل خميس وليلة جمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم والبيهقى انه أتانى جبريل عليه السلام فقال هذه ليلة النصف من شعبان ولله فيها عتقاء من النار بعدد شعر غنم كلب لا ينظر الله فيها الى مشرك ولا الى مشاحن ولا الى قاطع رحم ولا الى مسبل أى ازاره خيلاء ولا الى عاق لوالديه ولا الى مدمن خمر الحديث وابن حبان وغيره ثلاثة لا يدخلون الجنة مدمن الخمر وقاطع الرحم ومصدق بالسحر وأحمد مختصرا وابن أبي الدنيا والبيهقي يبيت قوم من هذه الامة علي طعم وشرب ولهو ولعب فيصبحوا قد مسخوا قردة وخنازير وليصيبنهم خسف وقذف حتى يصبح الناس

فيقولون خسف الليلة بنى فلان وخسف الليلة بدار فلان خواص ولترسلن عليهم حجارة من السماء كما أرسلت على قوم لوط على قبائل فيها وعلى دور ولترسلن عليهم الريح العقيم التى أهلكت عادا على قبائل فيها وعلى دور بشربهم الخمر ولبسهم الحرير واتخاذهم القينات وأكلهم الربا وقطيعتهم الرحم وخصلة نسيها جعفر والطبرانى فى الاوسط عن جابر رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن مجتمعون فقال يا معشر المسلمين اتقوا الله وصلوا أرحامكم فانه ليس من ثواب أسرع من صلة الرحم واياكم والبغي فانه ليس من عقوبة أسرع من عقوبة بغي واياكم وعقوق الوالدين فان ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام والله لايجدها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء انما الكبرياء لله رب العالمين والاصبهانى كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لايجالسنا اليوم قاطع رحم فقام فتى من الحلقة فأتى خالة له كان بينهما بعض الشيء فاستغفر لها فاستغفرت له ثم عاد الى المجلس فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الرحمة لاتنزل على قوم فيهم قاطع رحم وهذا مؤيد لما روى ان أباهريرة رضى الله عنه كان يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحرج على كل قاطع رحم الاقام من عندنا فقام شاب الى عمة له قد صارمها منذ سنين فصالحها فسألته عن السبب فذكره لها فقالت ارجع واسأله لم ذاك فرجع فسأله فقال لاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرحمة لاتنزل على قوم فيهم قاطع رحم والطبراني ان الملائكة لاتنزل

علي قوم فيهم قاطع رحم والطبراني بسند صحيح عن الأعمش قال
كان ابن مسعود رضي الله عنه جالسا بعد الصبح في حلقة فقال أنشد
الله قاطع رحم لما قام عنا فانا نريد أن ندعو ربنا وان أبواب السماء
مرتجة أي بضم ففتح والجيم مخففة مغلقة دون قاطع رحم والشيخان
الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله
وأبوداود والترمذي وقال حديث حسن صحيح واعترض تصحيحه
بأنه منقطع ورواية وصله قال البخاري خطأ عن عبد الرحمن بن عوف
رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله
عز وجل أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي
فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته أوقال بتته أي قطعته وأحمد
باسناد صحيح ان من أربي الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق
وان هذه الرحم شجنة من الرحمن عز وجل فمن قطعها حرم الله عليه
الجنة وأحمد باسناد جيد قوي وابن حبان في صحيحه ان الرحم شجنة من
الرحمن تقول يارب اني قطعت يارب اني أسيء الي يارب اني ظلمت
يارب يارب فيجيبها ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك
والشجنة بكسر أوله المعجم وضمه واسكان الجيم القرابة المشتبكة
كاشتباك العروق ومعنى من الرحمن أي مشتق لفظها من لفظ اسمه
الرحمن كما يأتي في الحديث على الأثر والبزار باسناد حسن الرحم حجنة
متمسكة بالعرش تكلم بلسان ذلق اللهم صل من وصلني واقطع من
قطعني فيقول الله تبارك وتعالى أنا الرحمن الرحيم واني شققت الرحم

من اسمي فمن وصلني وصلته ومن بتكها بتكته الحجنة بفتح الحاء المهملة والجيم وتخفيف النون صنارة المغزل أي الحديدة المعقفاء التي يعلق بها الخيط ثم يفتل الغزل والبتك القطع والبزار ثلاث متعلقات بالعرش الرحم تقول اللهم انى بك فلا أقطع والامانة تقول اللهم انى بك فلا أخان والنعمة تقول اللهم انى بك فلا أكفر والبزار واللفظ له والبيهقى الطابع معلق بقائمة العرش فاذا اشتكت الرحم وعمل بالمعاصي واجترئ على الله تعالى بعث الله الطابع فيطبع على قلبه فلا يعقل بعد ذلك شيأ وأخرج الشيطان من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ومن يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت * وأخرجا أيضا من أحب أن يبسط له في رزقه و ينسأ أى يؤخر وهو بضم أوله وتشديد ثالثه المهمل وبالهمز له في أثره أي أجله فليصل رحمه وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره أن يبسط له في رزقه أو ينسأ له في رزقه أو ينسأ له في أثره فليصل رحمه رواه البخاري والترمذى ولفظه قال تعلموا من أنسابكم ماتصلون به أرحامكم فان صلة الرحم محبة في الاهل مثراة في المال منسأة في الاثر أي بها الزيادة في العمر وعبد الله ابن الامام أحمد في زوائد المسند والبزار باسناد جيد والحاكم من سره أن يمد له في عمره ويوسع له في رزقه ويدفع عنه ميتة السوء فليتق الله وليصل رحمه والبزار باسناد لابأس به والحاكم وصححه انه صلى الله عليه وسلم قال مكتوب في

التوراة من أحب أن يزاد في عمره وفي رزقه فليصل رحمه وأبو يعلى
ان الصدقة وصلة الارحام يزيد الله بهما في العمر ويدفع بهما ميتة
السوء ويدفع بهما المكروه والمحذور وأبو يعلي باسناد جيد عن رجل
من خثعم قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في نفر من أصحابه فقلت
أنت الذي تزعم انك رسول الله قال نعم قال قلت يارسول الله أي الاعمال
أحب الى الله قال الايمان بالله قلت يارسول الله ثم مه قال ثم صلة الرحم
قلت يارسول الله أي الاعمال أبغض الى الله قال الاشراك بالله قلت
يارسول الله ثم مه قال قطيعة الرحم قلت يارسول الله ثم مه قال ثم الامر
بالمنكر والنهي عن المعروف والبخاري ومسلم واللفظ له عرض اعرابي
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في سفر فأخذ بخطام ناقته أو بزمامها
ثم قال يارسول الله أو يامحمد أخبرني بما يقربني من الجنة ويباعدني من
النار فكف النبي صلى الله عليه وسلم ثم نظر في أصحابه ثم قال لقد
وفق هذا أو لقد هدي قال كيف قلت فاعادها فقال النبي صلى الله
عليه وسلم تعبد الله لا تشرك به شيأ وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل
الرحم دع الناقة وفي رواية وتصل ذا رحمك فلما أدبر قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان تمسك بما أمرته به دخل الجنة والطبراني باسناد
حسن ان الله ليعمر بالقوم الديار ويثمر لهم الاموال وما نظر اليهم منذ
خلقهم بغضا لهم قيل وكيف ذاك يارسول الله قال بصلتهم أرحامهم وأحمد
بسند رواته ثقات الا أن فيه انقطاعا انه من أعطى الرفق فقد أعطى حظه
من خير الدنيا والآخرة وصلة الرحم وحسن الجوار وحسن الخلق

يعمرن الديار و يزدن في الاعمار وأبو الشيخ وابن حبان والبيهقي يارسول الله من خير الناس قال أتقاهم للرب وأوصلهم للرحم وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر والطبراني وابن حبان في صحيحه واللفظ له عن أبي ذر رضي الله عنه قال أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بخصال من الخير أوصاني أن لا أنظر الى من هو فوقي وأن أنظر الى ماهو دوني وأوصاني بحب المساكين والدنو منهم وأوصاني أن أصل رحمي وان أدبرت وأوصاني أن لا أخاف في الله لومة لائم وأوصاني أن أقول الحق وان كان مرا وأوصاني أن أكثر من لا حول ولا قوة الا بالله فانها كنز من كنوز الجنة والشيخان وغيرهما عن ميمونة رضي الله عنها انها أعتقت وليدة لها ولم تستأذن النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه قالت أشعرت يارسول الله اني أعتقت وليدتي قال أوفعلت فقالت نعم قال أما نك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لاجرك وابن حبان والحاكم أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال اني أذنبت ذنبا عظيما فهل لي من توبة قال هل لك من أم قال لا قال فهل لك من خالة قال نعم قال فبرها والبخاري وغيره ليس الواصل بالمكافي ولكن الواصل الذي اذا قطعت رحمه وصلها والترمذي وقال حسن لا تكونوا أمعة تقولون ان أحسن الناس أحسنا وان ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم ان أحسن الناس أن تحسنوا وان أساؤا أن لا تظلموا والامعة بكسر ففتح وتشديد فمهملة هو الذي لا رأي له فهو يتبع كل واحد على رأيه ومسلم يارسول الله ان لي قرابة أصل ويقطعوني وأحسن اليهم ويسيؤن الي وأحلم عليهم ويجهلون علي

فقال ان كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل أي بفتح وتشديد الرماد الحار ولا يزال معك من الله ظهير عليهم مادمت على ذلك والطبراني وابن خزيمة في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم أفضل الصدقة صدقة على ذي الرحم الكاشح أي الذي يضمر عداوته في كشحه أي خصره كناية عن باطنه وهو في معنى قوله صلى الله عليه وسلم وتصل من قطعك والبزار والطبراني والحاكم وصححه واعترض بان فيه واهيا ثلاث من كن فيه حاسبه الله حسابا يسيرا وأدخله الجنة برحمته قالوا وما هي يارسول الله قال تعطي من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك فاذا فعلت ذلك يدخلك الجنة وأحمد باسنادين أحدهما رواته ثقات عن عقبة ابن عامر رضي الله عنه قال لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت بيده فقلت يا رسول الله أخبرني بفواضل الاعمال فقال ياعقبة صل من قطعك وأعط من حرمك واعف عمن ظلمك زاد الحاكم ألا ومن أراد أن يمد في عمره ويبسط في رزقه فليصل رحمه والطبراني بسند محتج به ألا أدلك على أكرم أخلاق الدنيا والآخرة أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وأن تعفو عمن ظلمك والطبراني ان أفضل الفضائل أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصفح عمن شتمك والبزار ألا أدلكم على مايرفع الله به الدرجات وفي رواية للطبراني ألا أنبئكم بما يشرف الله به البنيان ويرفع به الدرجات قالوا نعم يارسول الله قال تحلم على من جهل عليك وتعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك وابن ماجه أسرع الخير ثوابا البر وصلة الرحم وأسرع الشر عقوبة البغي وقطيعة

الرحم والطبراني مامن ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع مايدخر له في الآخرة من قطيعة الرحم والخيانة والكذب وان أعجل البر ثوابا لصلة الرحم حتى ان أهل البيت ليكونون فجرة فتنمو أموالهم ويكثر عددهم اذا تواصلوا

﴿ الباب الرابع والعشرون في بر الوالدين ﴾

أخرج الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي العمل أحب الى الله تعالى قال الصلاة لوقتها قلت ثم أي قال بر الوالدين قلت ثم أي قال الجهاد في سبيل الله ومسلم وغيره لايجزي ولد والده الا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه ومسلم أقبل رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الاجر من الله تعالى قال فهل من والديك أحد حي قال نعم بل كلاهما حي قال فتبتغي الاجر من الله قال نعم قال فارجع الى والديك فأحسن صحبتهما وأبو يعلى والطبراني باسناد جيد أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني أشتهي الجهاد ولا أقدر عليه قال هل بقي من والديك أحد قال أمي قال فاسأل الله في برها فاذا فعلت ذلك فأنت حاج ومعتمر ومجاهد والطبراني يارسول الله اني أريد الجهاد في سبيل الله قال أمك حية قال نعم قال صلى الله عليه وسلم الزم رجلها فثم الجنة وابن ماجه يارسول الله ماحق الوالدين على ولدهما قال هما جنتك ونارك وابن ماجه والنسائي واللفظ له والحاكم وصححه يارسول الله أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك فقال هل لك من أم قال نعم قال الزمها فان الجنة عند رجلها

وفي رواية صحيحة ألك والدان قال نعم قال الزمهما فان الجنة تحت أرجلهما والترمذي وصححه عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رجلا أتاه فقال ان لي امرأة وان أمي تأمرني بطلاقها فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الوالد أوسط أبواب الجنة فان شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه وابن حبان في صحيحه ان رجلا أتى أبا الدرداء فقال ان أبي لم يزل بي حتى زوجني وانه الآن يأمرني بطلاقها قال ما أنا بالذي آمرك أن تعق والديك ولا بالذي آمرك أن تطلق زوجتك غير انك ان شئت حدثتك بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته يقول الوالد أوسط أبواب الجنة فحافظ على ذلك ان شئت أودع قال وأحسب عطاء قال فطلقها وأصحاب السنن الاربعة وابن حبان في صحيحه وقال الترمذي حديث حسن صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كان تحتي امرأة أحبها وكان عمر يكرهها فقال لي طلقها فأبيت فأتى عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم طلقها وأحمد بسند صحيح من سره أن يمد له في عمره ويزاد في رزقه فليبر والديه وليصل رحمه وأبو يعلى وغيره وصححه الحاكم من بر والديه طوبى له زاد الله في عمره وابن ماجه وابن حبان في صحيحه واللفظ له والحاكم وصححه ان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ولا يرد القدر الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر وفي رواية للترمذي وقال حسن غريب لا يرد القضاء الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر والحاكم وصححه عفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم وبروا

آباءكم تبركم أبناؤكم ومن اتاه أخوه متنصلا فليقبل ذلك محقا كان أو مبطلا فان لم يفعل لم يرد على الحوض والطبراني باسناد حسن بروا آباءكم تبركم أبناؤكم وعفوا تعف نساؤكم ومسلم رغم أنفه ثم رغم انفه ثم رغم أنفه اي لصق بالرغام وهو التراب من الذل قيل من يارسول الله قال من أدرك والديه عنده الكبر او احدهما ثم لم يدخل الجنة او لا يدخلانه الجنة والطبراني بأسانيد احدها حسن صعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر فقال آمين آمين آمين ثم قال اتاني جبريل عليه السلام فقال يا محمد من ادرك احد ابويه ثم لم يبرهما فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين فقال يا محمد من ادرك شهر رمضان فمات فلم يغفر له فأدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين قال ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين ورواه ابن حبان في صحيحه الا انه قال فيه ومن ادرك ابويه او احدهما فلم يبرهما فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين ورواه الحاكم وغيره وقال في آخره فلما رقيت الثالثة قال بعد من ادرك ابويه الكبر عنده او أحدهما فلم يدخلاه الجنة قلت آمين ورواه الطبراني وفيه من أدرك والديه أو أحدهما فلم يبرهما دخل النار فأبعده الله واسحقه قلت آمين وأحمد من طرق أحدها حسن من أعتق رقبة مسلمة فهي فداؤه من النار ومن أدرك احد والديه ثم لم يغفر له فأبعده الله زاد في رواية وأسحقه والشيخان يارسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أبوك والشيخان عن أسماء بنت أبي بكر

رضى الله عنهما قالت قدمت على أمى وهى مشركة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قدمت على أمى وهي راغبة أى عن الاسلام أو فيما عندي أفأصل أمى قال نعم صلى أمك وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم رضا الله في رضا الوالد أو قال الوالدين وسخط الله في سخط الوالد أو قال الوالدين وفي رواية للطبراني طاعة الله في طاعة الوالد أو قال الوالدين ومعصيته فى معصية الوالد أو قال الوالدين وفى أخري للبزار رضا الرب تبارك وتعالى في رضا الوالدين وسخط الرب تبارك وتعالى في سخط الوالدين والترمذى واللفظ له وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرطهما أتى النبى صلى الله عليه وسلم رجل فقال انى أذنبت ذنبا عظيما فهل لى من توبة قال هل لك من أم قال لا قال فهل لك من خالة قال نعم قال فبرها وأبو داود وابن ماجه يارسول الله هل بقى من بر أبوى شيء أبرهما به بعد موتهما قال نعم الصلاة عليهما أي الدعاء لهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما واكرام صديقهما ورواه ابن حبان في صحيحه بزيادة قال الرجل ما أكثر هذا يارسول الله وأطيبه قال فاعمل به ومسلم ان عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما لقيه رجل من الاعراب بطريق مكة فسلم عليه عبد الله بن عمر وحمله على حمار كان يركبه وأعطاه عمامة كانت على رأسه قال ابن دينار فقلنا أصلحك الله انهم الاعراب وهم يرضون باليسير فقال عبد الله بن عمر أن أبا هذا كان ودودا لعمر بن الخطاب واني سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه وابن حبان في صحيحه عن أبي بردة رضي الله عنه قال قدمت المدينة فأتاني عبد الله بن عمر فقال أتدري لم أتيتك قلت لا قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أحب أن يصل أباه في قبره فليصل اخوان أبيه بعده وانه كان بين أبي عمر وبين أبيك اخاء وود فأحببت أن أصل ذلك وفي حديث الصحيحين وغيرهما المشهور بروايات متعددة ان ثلاثة نفر ممن كان قبلنا خرجوا يتماشون ويرتادون لاهليهم فأخذهم المطر حتى أووا الى غار في الجبل فانحدرت على فمه صخرة فسدته فقالوا انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا أن تدعو بصالح أعمالكم وفي رواية فقال بعضهم لبعض انظروا أعمالا عملتموها لله عز وجل صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها وفي أخرى فقال بعضهم لبعض عفا الأثر ووقع الحجر ولا يعلم بمكانكم الا الله فادعوا الله بأوثق أعمالكم فقال أحدهم اللهم انه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا فنأى بي طلب شجر يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أومالا فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا مانحن فيه من الصخرة فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج وفي رواية ولي صبية صغار كنت أرعى فاذا رحت عليهم فحلبت بدأت بوالدي أسقيهما قبل ولدي وانه نأى بي طلب شجرة يوما فما أتيت حتى أمسيت فوجدتهما

قد ناما فخليت كما كنت أحلب فجئت بالحلاب فقمت عند رؤسهما أكره أن أوقظهما من نومهما وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما والصبية يتضاغون عند قومي فلم يزل ذلك دأبي ودأبهما حتى طلع الفجر فان كنت تعلم اني قد فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فرجة نرى منها السماء ففرج الله لهم فرجة حتى يرون منها السماء وذكر الآخر عفته عن الزنا بابنة عمه والآخر تنميته لمال أجير فانفرجت عنهم كلها وخرجوا يتماشون

﴿ الباب الخامس والعشرون في الزكاة والبخل ﴾

قال الله تعالى ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة وقال تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة سماهم المشركين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن أحد لا يؤدي زكاة ماله الا مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع حتى يطوق به عنقه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يامعشر المهاجرين خمس خصال ان ابتليتم بهن ونزلت بكم أعوذ بالله أن تدركوهن لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها الا فشا فيهم الاوجاع التي لم تكن في أسلافهم ولم ينقصوا المكيال والميزان الا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ولم يمنعوا زكاة أموالهم الا منعوا المطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولا نقضوا عهد الله وعهد رسوله الا سلط عليهم عدو من غيرهم فيأخذ بعض مافي أيديهم وما لم يحكم أئمتهم بكتاب الله الا جعل الله بأسهم بينهم وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض البخيل في حياته السخي عند موته وقال صلى الله

عليه وسلم خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق وقال صلى الله عليه وسلم أقسم الله تعالى لا يدخل الجنة بخيل وقال صلى الله عليه وسلم إياكم والبخل فان البخل دعا قوما فمنعوا زكاتهم ودعاهم فقطعوا أرحامهم ودعاهم فسفكوا دماءهم وقال صلى الله عليه وسلم خلق الله اللؤم فحفه بالبخل والمال (وسئل) الحسن رضى الله عنه عن البخل قال هو أن يرى الرجل ما أنفق تلفا وما أمسك شرفا وأصل البخل حب المال وطول الامل وخوف الفقر وحب الولد ففى الحديث الولد مجبنة مبخلة ومن الناس من لا يسمح باداء زكاة ماله ولا بالاحسان الى نفسه وعياله وانما لذته ورغبته في رؤية دنانيره وكونها في قبضته وهو عالم أنه يموت وفي مثله يقول الشاعر

أأُخيَّ ان من الرجال بهيمة * في صورة الرجل اللبيب المبصر
فطن بكل مصيبة في ماله * فاذا أصيب بدينه لم يشعر

﴿ وقال آخر ﴾

البخل داء دوى لا يليق بذى * مروءة لا ولا عقل ولا دين
من آثر البخل عن وفر وعن جدة * فقد لعمرى أضحى وهو مغبون
يا بؤس من منع الدارين حقهما * فباع دنياه بعد الدين بالدون

﴿ وقال آخر ﴾

اذا المال لم ينفع صديقا ولم يصب * قريبا ولم يجبر به حال معدم
فعقباه ان تحتازه كف وارث * وللباخل الموروث عقبى التندم

وقال بشر لقاء البخيل كرب والنظر اليه يقسى القلب وكانت العرب تتمايز

بالبخل والجبن وقال الشاعر

أنفق ولاتخش اقلالا فقد قسمت * على العباد من الرحمن أرزاق
لاينفع البخل مع دنيا مولية * ولا يضر مع الاقبال انفاق

﴿ وقال آخر ﴾

أرى الناس خلان الجواد ولاأرى * بخيلا له فى العالمين خليل
وانى رأيت البخل يزري باهله * فاكرمت نفسي أن يقال بخيل

وكفى بالبخيل خسة أن يجمع لغيره ويحتمل معرة ضيره ولا ينال لذة وفره وخيره وفي مثله يقول وكيع

لئيم لايزال يلم وفرا * لوارثه ويدفع عن حماه
ككلب الصيد يمسك وهو طاو * فريسته ليأكلها سواه

وفي الحكم المنثورة بشر مال البخيل بحادث أووارث وقال أبو حنيفة رحمه الله لا أرى ان أعدل بخيلا لان البخل يحمله على الاستقصاء فيأخذ فوق حقه خيفة من أن يغبن فمن كان هكذا لايكون مأمون الامانة واتى يحيي عليه السلام ابليس فقال له ياابليس أخبرني بأحب الناس اليك وأبغض الناس اليك قال أحب الناس الىّ المؤمن البخيل وأبغض الناس الى الفاسق السخي قال له لماذا قال لان البخيل قد كفاني بخله والفاسق السخي أتخوف أن يطلع الله عليه في سخائه فيقبله ثم ولى وهو يقول لولا انك يحيي لما أخبرتك

﴿ الباب السادس والعشرون فى طول الامل ﴾

قال صلى الله عليه وسلم أخوف ماأخاف عليكم اثنتان طول الامل

واتباع الهوى وان طول الامل ينسى الآخرة واتباع الهوى يصد عن الحق وقال صلى الله عليه وسلم أنا زعيم الثلاثة بثلاثة للمكب على الدنيا والحريص عليها والشحيح بها بفقر لاغنى بعده وشغل لافراغ منه وهم لافرح معه وعن أبي الدرداء رضي الله عنه انه أشرف على أهل حمص فقال ألا تستحيون تبنون مالا تسكنون وتأملون مالا تدركون وتجمعون مالا تأكلون ان الذين كانوا قبلكم بنوا شديدا وجمعوا كثيرا وأملوا بعيدا فأصبحت مساكنهم قبورا وآمالهم غرورا وجمعهم بورا وقال على بن أبي طالب لعمر رضى الله عنهما اذا أردت أن تلقى صاحبيك فارقع قميصك واخصف نعلك واقصر أملك وكل دون الشبع (وأوصى) آدم ابنه شيثا عليهما السلام بخمسة أشياء وأمره أن يوصى بها أولاده من بعده أولها قال له قل لاولادك لاتطمئنوا للدنيا فاني اطمأننت بالجنة الباقية فأخرجني الله منها والثانى قل لهم لاتعملوا بهوى نسائكم فاني عملت بهوى امرأتي وأكلت من الشجرة فلحقتني الندامة والثالث قل لهم كل عمل يرو يدونه فانظروا عاقبته فاني لونظرت عاقبة الأمر لم يصبنى ماأصابني والرابع اذا اضطربت قلوبكم بشئ فاجتنبوه فانى حين أكلت من الشجرة اضطرب قلبي فلم أرجع فلحقني الندم والخامس استشيروا فى الامور فانى لو شاورت الملائكة لم يصبني ماأصابني وقال مجاهد قال لى عبد الله بن عمر اذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من حياتك قبل موتك ومن صحتك قبل سقمك فانك لاتدرى مااسمك غدا وقال صلى الله

عليه وسلم لاصحابه أيريد كلكم أن يدخل الجنة قالوا نعم يارسول الله قال قصروا الامل واستحيوا من الله حق الحياء قالوا كلنا استحي من الله تعالى قال ليس ذلك بالحياء ولكن الحياء من الله تعالى أن تذكروا المقابر والبلى وتحفظوا الجوف وما وعى والرأس وماحوى ومن يشتهي كرامة الآخرة يدع زينة الدنيا فهنالك استحياء العبد من الله حق الحياء وبها يصيب العبد ولاية الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم أول صلاح هذه الامة بالزهد واليقين وهلاك آخرها بالبخل والامل وروي عن أم المنذر انها قالت اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات عشية الى الناس فقال أيها الناس أما تستحيون من الله قالوا وما ذاك يارسول الله قال تجمعون مالا تأكلون وتأملون مالا تدركون وتبنون مالا تسكنون وعن أبي سعيد الخدري قال اشتري اسامة بن زيد من زيد ابن ثابت وليدة بمائة دينار الى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا تعجبون من أسامة المشترى الى شهران أسامة لطويل الامل والذي نفسي بيده ماطرفت عيناي الا ظننت أن شفري لايلتقيان حتى يقبض الله روحي ولا رفعت طرفي فظننت انى واضعه حتى أقبض ولا لقمت لقمة الا ظننت انى لاأسيغها حتى أغص بها من الموت ثم قال يابني آدم ان كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى والذي نفسي بيده انما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج يهريق الماء فيتمسح بالتراب فأقول له يارسول الله ان الماء منك قريب

فيقول مايدريني املى لاأبلغه وروى أنه صلى الله عليه وسلم أخذ ثلاثة أعواد فغرز عودا بين يديه والآخر الى جنبه وأما الثالث فأبعده فقال هل تدرون ماهذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا الانسان وهذا الاجل وذلك الامل يتعاطاه ابن آدم ويختلجه الاجل دون الامل (وقيل) بينما عيسى عليه السلام جالس وشيخ يعمل بمسحاة يثير بها الارض فقال عيسي اللهم انزع منه الامل فوضع الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة فقال عيسى اللهم اردد عليه الامل فقام فجعل يعمل فسأله عيسى عن ذلك فقال بينما أنا أعمل اذ قالت لى نفسى الى متي تعمل وأنت شيخ كبير فالقيت المسحاة واضطجعت ثم قالت لى نفسى والله لابد لك من عيش مابقيت فقمت الى مسحاتي

﴿ الباب السابع والعشرون في ملازمة الطاعه وترك الحرام ﴾

معنى الطاعة القيام بفروض الله تعالى والاجتناب لمحارمه والوقوف عند حدوده قال مجاهد فى قول الله عز وجل ولا تنس نصيبك من الدنيا هو أن يعمل العبد بطاعة الله تعالى واعلم ان أصل الطاعة العلم بالله والخوف من الله والرجاء في الله والمراقبة لله فاذا تجرد العبد عن هذه الخصال لم يدرك حقيقة الايمان لانه لاتصح الطاعة لله الا بعد العلم به والايمان بوجوده خالقا عالما قادرا لايحيط به علم ولا يتصوره وهم ليس كمثله شئ وهو السميع البصير قال اعرابي لمحمد بن على ابن الحسين رضى الله عنهم هل رأيت الله حين عبدته قال لم أكن أعبد من لم أره قال كيف رأيته قال لم تره الابصار بمشاهدة العيان

لكن رأته القلوب بحقيقة الايمان لايدرك بالحواس ولا يشبه بالناس معروف بالآيات منعوت بالعلامات لايجور في القضيات ذلك الله لااله الا هو رب الارض والسموات فقال الاعرابي الله أعلم حيث يجعل رسالاته (سئل) بعض العارفين عن علم الباطن فقال هو سر من أسرار الله يقذفه في قلوب أحبابه لم يطلع عليه ملكا ولا بشرا (روي) أن كعب الاحبار قال لوأن بني آدم بلغوا في اليقين مثقال حبة من عظمة الله عز وجل لمشوا على الماء والريح اه فسبحان من جعل الاقرار بالعجز عن ادراك معرفته ايمانا كما جعل اقرار المنعم عليه بالعجز عن ادراك شكره شكرا قال محمود الوراق

اذا كان شكرى نعمة الله نعمة * علي له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر الا بفضله * وان طالت الايام واتصل العمر
اذا مس بالسراء عم سرورها * وان مس بالضراء أعقبها الاجر
وما منهما الا له فيه نعمة * أضيق لها الاوهام والبر والبحر

واذا ثبت العلم بالربوبية تعين الاقرار بالعبودية واذا تقرر الايمان في القلب وجبت الطاعة للرب والايمان نوعان ظاهر و باطن فالظاهر المتعلق باللسان والباطن الاعتقاد بالقلب والمؤمنون متباينون فى منازل القرب متفاوتون في درجات الطاعة والايمان جامع لهم بقدر حظ كل واحد منهم من الموهبة وتمكنه من علو المرتبة في الاخلاص لله والتوكل عليه والرضا بحكمه فأما الاخلاص فان لايطلب العبد بما يعمل جزاء من الخالق والله خلقكم وما تعملون فان كانت الطاعة رجاء

للمثوبة وخوفا من العقوبة فذلك العبد لايكون كامل الاخلاص فانه لنفسه حتى روى انه صلى الله عليه وسلم قال لايكن أحدكم كالكاتب السوء ان خاف عمل ولا كالأجير السوء ان لم يعط أجرا لم يعمل وقال تعالى (ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة) والله تعينت علينا عبادته ووجبت طاعته بما سبق له من الفضل علينا وتقدم له من الاحسان الينا فضلا عن كونه أمرنا بها ليرتب الجزاء عليها فضلا ويجازي من ضل عنها عدلا وأما التوكل فهو الاعتماد على الله سبحانه عند الحاجة والاستناد اليه مع الضرورة والثقة به عند النازلة مع سكون النفس وطمأنينة القلب فالمتوكلون على ربهم علموا أنه المقدر والاسباب تحت حكم الخالق المدبر لايركنون لآباء ولا أبناء ولا أموال ولا صنائع بل صرفوا بهديه جميع الامور اليه ولم يعتمدوا في حال من الاحوال الا عليه ومن يتوكل على الله فهو حسبه وأما الرضا فهو طيب النفس بما يجرى به المقدور قال بعض العلماء أقرب الناس الى الله أرضاهم بما قسم لهم ومن كلام الحكماء رب مسرة هي الداء ومرض هو الشفاء كما قال

كم نعمة مطوية * لك بين أثناء النوائب
ومسرة قد أقبلت * من حيث ترتقب المصائب
فاصبر على حدثان دهـــرك فالامور لها عواقب
ولكل كرب فرجة * ولكل خالصة شوائب

وحسبنا قول الله عز وجل وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم (واعلم) انه لن يستكمل العبد طاعة ربه الا برفض الدنيا وفي بعض الحكم أبلغ المواعظ مالم يحجبها عن القلب حاجب وهذه الحجب انما هي عوارض الدنيا ومن كلامهم الدنيا ساعة فاجعلها طاعة قال أبو الوليد الباجي

اذا كنت أعلم علما يقينا * بأن جميع حياتي كساعه
فلم لا أكون ضنينا بها * وأجعلها في صلاح وطاعه

وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني أكره الموت قال ألك مال قال نعم قال قدم مالك فان المرء عند ماله وروى عن عيسى عليه السلام أنه قال البر في ثلاثة في النطق والنظر والصمت فمن كان منطقه في غير ذكر الله فقد لغا ومن كان نظره في غير اعتبار فقد سها ومن كان صمته في غير فكر فقد لها وترك الدنيا يكون باطراح الفكرة في أحوالها وترك التمني بلذاتها فان الفكرة تبعث الارادة لتعلق النفس بالفكرة (وليحذر) من ارسال النظر فيما لا يحل فانه سهم صائب وسلطان غالب قال عليه الصلاة والسلام النظر سهم من سهام ابليس فمن تركها مخافة الله تعالى أعقبه ايمانا يجد طعمه في قلبه ومن كلام الحكماء من أطلق طرفه كثر أسفه ادمان النظر يكشف الخبر ويفضح البشر ويطول به المكث في سقر احفظ عينيك فانك ان أطلقتهما أوقعتاك في مكروه وان ملكتهما ملكت سائر جوارحك (قيل لافلاطون) أيهما أشد ضررا بالقلب السمع أم البصر قال هما

للقلب كالجناحين للطائر لايستقل الا بهما ولا ينهض الا بقوتهما ولو بما قص أحدهما فنهض بالآخر على تعب ومشقة وقال محمد بن ضوء كفى بالعبد نقصانا عند الله وضعة عند ذوي العقول أن ينظر الى كل مايسنح له (رأى بعض الزهاد) رجلا يضحك الى غلام فقال له ياخرب العقل والقلب ويا خرب الطرف أماتستحي من كرام كاتبين وملائكة حافظين يحفظون الافعال ويكتبون الاعمال وينظرون اليك ويشهدون عليك بالبلاء الظاهر والغل الدخيل الخامر لذي أقمت نفسك فيه مقام من لايبالى من وقف عليه ونظر من الخلق اليه وللقاضي الارجاني

تمتعتما ياناظري بنظـرة * فاوردتمـا قلبي أمر الموارد

أعيناي كفا عن فؤادي فانه * من البغي سعي اثنين في قتل واحد

وقال علي كرم الله وجهه العيون مصائد الشيطان والعين أنفذ الجوارح سرعة وأشدها سرعة فمن أتبع جوارحه نفسه في طاعة ربه فقد وصل أمله ومن أتبع جوارحه نفسه في نيل لذته فقد أحبط عمله وأنشدوا

اذا ماصفت نفس المريد لطاعة * ولما تشبها للمعاصي شوائب

وأتبعها فعل الجوارح كلهـا * فتلك عليـه أنعم ومواهب

تلقته في دار الخلود كرامة * اذا جب للمعاصي سنام وغارب

قال عبد الله بن المبارك أصل الايمان التصديق بماجاءت به الرسل فمن صدق القرآن خرج الى العمل به ونجا من الخلود في النار ومن اجتنب المحارم خرج الى التوبة ومن أخذ القوت من حله خرج الى الورع ومن ادى الفرائض صح اسلامه ومن صدق لسانه سلم من

التبعات ومن رد المظالم نجا من القصاص ومن اتي بالسنن زكت أعماله ومن أخلص لله قبل عمله وروي عن أبي الدرداء انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله أوصني قال له اكتسب طيبا واعمل صالحا وسل الله رزق يوم بيوم وعد نفسك من الموتي (وليحذر) من الاعجاب بالعمل فانه من أعظم الآفات وأحبط الاعمال فان المعجب بعمله يمتن على ربه وما يدريه أقبل منه أم رد عليه ورب معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا (وليحذر أيضا) من الرياء قيل في قوله تعالى وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون قيل عملوا أعمالا كانوا يرونها في الدنيا من الحسنات فبدت لهم يوم القيامة من السيئآت وكان بعض السلف اذ قرأ هذه الآية قال ويل لاهل الرياء وقيل أيضا في قوله تعالي ولا يشرك بعبادة ربه أحدا أي لا يظهرها رياء ولا يخفيها حياء روى عن ابن مسعود أن آخر مانزل من القرآن واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفي كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون قال محمد بن بشير

مضى أمسك الادني شهيدا معدلا * ويومك هذا بالفعال شهيد
فان تك بالامس اقترفت اساءة * فثن باحسان وأنت حميد
ولا ترج فعل الخير منك الي غد * لعل غدا يأتي وأنت فقيد

﴿ وقال غيره ﴾

تعجل الذنب بما تشتهي * وتأمل التوبة في قابل
والموت يأتي بعد ذا غفلة * ماذاك فعل الحازم العاقل

وقال داود لسليمان عليهما السلام يستدل على تقوي المؤمن بثلاث حسن

التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا فيما نال وحسن الصبر على ماقد فات وفي بعض الحكم المشورة من صبر على البلاء وصل الى الوفاء قال

عليك بالصبر ان نابتك نائبة * من الزمان ولا تركن الى الجزع
وان تعرضت الدنيا بزينتها * فالصبر عنها دليل الخير والورع
فجاهد النفس قسرا فيهما أبدا * تلق الذي ترتجيه غير ممتنع

﴿ وقال آخر ﴾

الصبر مفتاح مايرجى * ولم يزل دائما يعين
فاصبر وان طالت الليالي * فربما ساعد الحزون
وربما نيل باصطبار * ماقيل هيهات لايكون

﴿ وقال آخر ﴾

الصبر أوثق عروة الايمان * وجنة من نزغة الشيطان
الصبر فيه عواقب محمودة * والطيش فيه عواقب الخسران
فاذا لقيت من الزمان ملمة * وكذاك فيما عادة الازمان
فتدرع الصبر الجميل تيقنا * ان التصبر رائد الرضوان

والصبر له فروع صبر على الفرائض بالمواظبة عليها بكمالها في أحب أوقاتها وصبر على النوافل وصبر على أذى الاصحاب والجار وصبر على الامراض وصبر على الفقر والصبر عن المعاصي وعن الشهوات وعن الشبهات وعن فضول جميع جوارح البدن وغير ذلك

﴿ الباب الثامن والعشرون في بيان ذكر الموت ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر هاذم اللذات معناه

انقصوا بذكره اللذات حتى ينقطع ركونكم اليها فتقبلوا على الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم لو تعلم البهائم من الموت ما يعلم ابن آدم ما أكلتم منها سمينا وقالت عائشة رضي الله عنها يارسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد قال نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة وانما سبب هذه الفضيلة كلها أن ذكر الموت يوجب التجافي عن دار الغرور ويتقاضى الاستعداد للآخرة والغفلة عن الموت تدعو الى الانهماك في شهوات الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم تحفة المؤمن الموت وانما قال هذا لان الدنيا سجن المؤمن اذ لا يزال فيها في عناء من مقاساة نفسه ورياضة شهواته ومدافعة شيطانه فالموت اطلاق له من هذا العذاب والاطلاق تحفة في حقه وقال صلى الله عليه وسلم الموت كفارة لكل مسلم وأراد بهذا المسلم حقا المؤمن صدقا الذي يسلم المسلمون من لسانه ويده ويتحقق فيه أخلاق المؤمنين ولم يتدنس من المعاصي الا باللمم والصغائر فالموت يطهره منها ويكفرها بعد اجتنابه الكبائر واقامته الفرائض قال عطاء الخراساني مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجلس قد استعلى فيه الضحك فقال شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات قالوا وما مكدر اللذات قال الموت وقال أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر الموت فانه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم كفى بالموت مفرقا وقال عليه السلام كفى بالموت واعظا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال اذكروا الموت أما والذي نفسي بيده لو تعلمون

ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فأحسنوا الثناء عليه فقال كيف ذكر صاحبكم للموت قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت قال فان صاحبكم ليس هنالك وقال ابن عمر رضي الله عنهما أتيت النبي صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة فقال رجل من الانصار من أكيس الناس وأكرم الناس يا رسول الله فقال أكثرهم ذكرا للموت وأشدهم استعدادا له أولئك هم الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة وقال الحسن رحمه الله تعالى فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لب فرحا وقال الربيع بن خثيم ما غائب ينتظره المؤمن خيرا له من الموت وكان يقول لا تشعروا بي أحدا وسلوني الى ربي سلا (وكتب) بعض الحكماء الى رجل من اخوانه يا أخي احذر الموت في هذه الدار قبل أن تصير الي دار تتمنى فيها الموت فلا تجده وكان ابن سيرين اذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه وكان عمر ابن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة ثم يبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة وقال ابراهيم التيمي شيآن قطعا عني لذة الدنيا ذكر الموت والوقوف بين يدي الله عز وجل وقال كعب من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها وقال مطرف رأيت فيما يري النائم كان قائلا يقول في وسط مسجد البصرة قطع ذكر الموت قلوب الخائفين فوالله ماتراهم الا والهين وقال أشعث كنا ندخل على الحسن فانما هو النار وأمر الآخرة وذكر الموت وقالت صفية رضي الله عنها ان امرأة اشتكت الي عائشة رضي الله عنها قساوة قلبها

فقالت أكثري ذكر الموت يرق قلبك فنعلت فرق قلبها فجاءت تشكر عائشة رضي الله عنها وكان عيسى عليه السلام اذا ذكر الموت عنده يقطر جلده دما وكان داود عليه السلام اذا ذكر الموت والقيامة يبكي حتى تنخلع أوصاله فاذا ذكر الرحمة رجعت اليه نفسه وقال الحسن ما رأيت عاقلا قط الا أصبته من الموت حذرا وعليه حزينا وقال عمر ابن عبد العزيز لبعض العلماء عظني فقال أنت أول خليفة تموت قال زدني قال ليس من آبائك أحد الى آدم الا ذاق الموت وقد جاءت نوبتك فبكى عمر لذلك وكان الربيع بن خيثم قد حفر قبرا في داره فكان ينام فيه كل يوم مرات يستديم بذلك ذكر الموت وكان يقول لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة واحدة لفسد وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير ان هذا الموت قد نغص على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لا موت فيه وقال عمر بن عبد العزيز لعنبسة أكثر ذكر الموت فان كنت واسع العيش ضيقه عليك وان كنت ضيق العيش وسعه عليك وقال أبو سليمان الداراني قلت لام هرون أتحبين الموت قالت لا قلت لم قالت لو عصيت آدميا ما اشتهيت لقاءه فكيف أحب لقاءه وقد عصيته (قال أبو موسى التميمي) توفيت امرأة الفرزدق فخرج في جنازتها وجوه البصرة وفيهم الحسن رضي الله عنه فقال الحسن يا أبا فراس ما ذا أعددت لهذا اليوم فقال شهادة أن لا اله الا الله منذ ستين سنة فلما دفنت قام الفرزدق على قبرها فقال

أخاف وراء القبر ان لم تعافني * أشد من القبر التهابا وأضيقا

اذا جاءني يوم القيامة قائد * عنيف وسواق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من أولاد آدم من مشى * الى النار مغلول القلادة أزرقا

وقد أنشدوا في أهل القبور

قف بالقبور وقل على ساحاتها * من منكم المغمور في ظلماتها
ومن المكرم منكم في قعرها * قد ذاق برد الامن من روعاتها
أما السكون لذي العيون فواحد * لا يستبين الفضل في درجاتها
لو جاوبوك لاخبروك بألسن * تصف الحقائق بعد من حالاتها
أما المطيع فنازل في روضة * يفضي الى ماشاء من دوحاتها
والمجرم الطاغي بها متقلب * في حفرة يأوي الى حياتها
وعقارب تسعى اليه فروحه * في شدة التعذيب من لدغاتها

وقال مالك بن دينار مررت بالمقبرة فانشأت أقول

أتيت القبور فناديتها * فاين المعظم والمحتقر
وأين المدل بسلطانه * وأين المزكى اذا ما افتخر

قال فنوديت من بينها أسمع صوتا ولا أرى شخصا وهو يقول

تفانوا جميعا فما مخبر * وماتوا جميعا ومات الخبر
تروح وتغدو بنات الثرى * فتمحو محاسن تلك الصور
فيا سائلى عن أناس مضوا * أمالك فيما ترى معتبر

(وجد مكتوب على قبر)

تناجيك أجداث وهن صموت * وسكانها تحت التراب خفوت
أيا جامع الدنيا لغير بلاغة * لمن تجمع الدنيا وأنت تموت

(وقال ابن السماك مررت على المقابر فاذا على قبر مكتوب)

يمر أقاربي جنبات قبرى * كأن أقاربي لم يعرفونى
ذوو الميراث يقتسمون مالى * وما يألون ان جحدوا ديونى
وقد أخذوا سهامهم وعاشوا * فيالله أسرع ما نسونى

(ووجد على قبر مكتوبا)

ان الحبيب من الاحباب مختلس * لا يمنع الموت بواب ولا حرس
فكيف تفرح بالدنيا ولذتها * يامن يعد عليه اللفظ والنفس
أصبحت ياغافلا في النقص منغمسا * وأنت دهرك في اللذات منغمس
لا يرحم الموت ذا جهل لغرته * ولا الذى كان منه العلم يقتبس
كم أخرس الموت في قبر وقفت به * عن الجواب لسانا مابه خرس
قد كان قصرك معمورا له شرف * فقبرك اليوم في الاجداث مندرس

﴿ ووجد على قبر مكتوبا ﴾

وقفت على الاحبة حين صفت * قبورهم كافراس الرهان
فلما بكيت وفاض دمعى * رأت عيناى بينهم مكانى

﴿ ووجد على قبر طبيب مكتوبا ﴾

قد قلت لما قال لى قائل * قد صار لقمان الى رمسه
فاين من يوصف من طبه * وحذقه في الماء مع جسه
هيهات لا يدفع عن غيره * من كان لا يدفع عن نفسه

﴿ ووجد على قبر آخر مكتوبا ﴾

يا أيها الناس كان لى أمل * قصر بي عن بلوغه الاجل

فليتق الله ربه رجل * أمكنه في حياته العمل
ماأناوحدي نقلت حيث ترى * كل الى مثله سينتقل

﴿ الباب التاسع والعشرون في ذكر السموات والاجناس المختلفة ﴾

روى أول ماخلق الله جوهرة فنظر اليها بنظار الهيبة فذابت وارتعدت من خوف ربها فصارت ماء ثم نظر اليها بنظار الرحمة فجمد نصفها فخلق منه العرش فارتعد العرش فكتب الله عليه لااله الا الله محمد رسول الله فسكن العرش وترك الماء على حاله يرتعد الي يوم القيامة وذلك قوله تعالى وكان عرشه علي الماء ثم تلاطم وتموج وصعدت منه أدخنة وارتفع بعضها متراكما علي بعض وكان له زبد فخلق الله تعالى منه السموات والارض طباقا فكانتا رتقا فخلق الريح فيها ففتق بين أطباق السماء وأطباق الارض كماأخبر سبحانه وتعالي بقوله ثم استوي الى السماء وهي دخان قال أهل الحكمة انما خلق الله تعالى السماء من دخان ولم يخلقها من بخار لان الدخان خلق متماسك الاجزاء يستقر منتهاه والبخار متراجع وذلك من كمال علمه سبحانه وحكمته ثم نظر تعالى الى الماء بعين الرحمة فجمد كما جاء في الحديث ﴿فائدة﴾ بين سماء الدنيا والارض وكذا بين كل سماء وسماء خمسمائة عام وغلظ كل سماء كذلك وقيل ان السماء الدنيا أشد بياضا من اللبن وانما اخضرت من خضرة جبل قاف واسم تلك السماء رقيعة والثانية من حديد تتلألأ نورا واسمها فيدوم أوماعون والثالثة من نحاس يقال لها ملكوت أوهاريون والرابعة من فضة بيضاء يكاد نورها يخطف الابصار واسمها الزاهرة والخامسة من ذهب أحمر يقال لها المزينة

أو المسهرة والسادسة من جوهرة تتلألأ نورا واسمها الخالصة والسابعة من ياقوتة حمراء واسمها اللابية أو الدامعة وفيها البيت المعمور له أربعة أركان ركن من ياقوتة حمراء وركن من زبرجدة خضراء وركن من فضة بيضاء وركن من ذهب أحمر وورد أن البيت المعمور من العقيق يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة لا يعودون اليه الى يوم القيامة والمعتمد أن الارض أفضل من السماء لان الانبياء خلقوا منها ودفنوا فيها وأفضل طبقات الارض أعلاها لما ذكر ولانه محل انتفاع العالم (وعن ابن عباس) أفضل السموات هي التي يلي سقفها عرش الرحمن وهي الكرسي لقربها من العرش ولان جميع النجوم المنتفع بها مثبتة فيها غير السبعة السيارة أما هي فثبتة في السموات السبع فزحل في السابعة وهو ليوم السبت والمشترى في السادسة وهو ليوم الخميس والمريخ في الخامسة وهو ليوم الثلاثاء والشمس في الرابعة وهو ليوم الاحد والزهرة في الثالثة وهي ليوم الجمعة وعطارد في الثانية وهو ليوم الاربعاء والقمر في الاولى وهو ليوم الاثنين ﴿ نكتة لطيفة ﴾ من عجيب صنع البارى تبارك وتعالى أن خلق السموات السبع من دخان مع كون كل سماء لا تشبه صاحبتها وأنزل من السماء ماء فأخرج به من أنواع النبات والاثمار المختلفة اللون والطعم كما قال تعالى ونفضل بعضها على بعض في الاكل وخلق أولاد آدم على طبقات شتى منهم الابيض والاسود والسهل والحزن والمؤمن والكافر والعالم والجاهل مع ان الاصل آدم فسبحان من أتقن كل شيء خلقه

﴿ الباب الثلاثون في بيان الكرسي والعرش وبيان الملائكة المقربين والارزاق والتوكل ﴾

قال الله تعالى وسع كرسيه السموات والارض قيل كرسيه مجاز عن علمه وقيل ملكه وقيل الفلك المعروف روي عن علي كرم الله وجهه ان الكرسي لؤلؤة وطوله لا يعلمه الا الله تعالى وفي الخبر مافي السموات والارضون السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة وأخرج ابن ماجه ان السموات في جوف الكرسي والكرسي بين يدي العرش (وعن عكرمة) قال الشمس جزء من سبعين جزأ من نور الكرسي والعرش جزء من سبعين جزأ من نور الستور يعني بها الحجب وورد ان بين حملة العرش وحملة الكرسي سبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور كل حجاب مسيرة خمسمائة عام ولولا ذلك لاحترق حملة الكرسي من نورهم والعرش جسم نوراني علوى فوق الكرسي فهو غيره خلافا للحسن البصرى قيل من ياقوتة حمراء وقيل من جوهرة خضراء وقيل من درة بيضاء وقيل من نور والاولي الامساك عن القطع بحقيقته ويسميه الفلكيون بالفلك التاسع والفلك الاعلى وفلك الافلاك والفلك الاطلس أى الخالي من الكواكب اذ كلها على ماقال قدماء أهل الهيئة ثوابت في الفلك الثامن المسمى عندهم بفلك البروج وعند أهل الشرع بالكرسي والعرش سقف المخلوقات فلا شيء يخرج عن دائرته فهو منتهى علم العباد لا مجال للادراك وراءه ولا مطلب لطالب فوقه قال الله تعالى فان تولوا فقل حسبي الله لااله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم

وصفه بالعظم لانه أعظم المخلوقات وقد تحقق صلى الله عليه وسلم بالتوكل كما أمر ولذا سمى فى التوراة وغيرها بالمتوكل كيف والتوكل فرع التوحيد والمعرفة وهو صلى الله عليه وسلم سيد الموحدين ورأس العارفين ولاينافي التوكل الاخذ في الاسباب كما قد يتوهم بل هو أيضا مأمور به فقد قال له صلى الله عليه وسلم اعرابي أأعقل ناقتي أم أتركها وأتوكل فقال اعقلها وتوكل وقال صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا أي جياعا وتروح بطانا أى شباعا فأشار بقوله تغدو الى التسبب ﴿ حكاية ﴾ التقى ابراهيم بن أدهم وشقيق البلخي بمكة فقال له ابراهيم مابدأ أمرك الذي بلغك هذا قال مررت ببعض الفلوات فرأيت طيرا مكسور الجناحين في فلاة من الارض فقلت انظر من أين يرزق هذا فقعدت بحذائه فاذا أنا بطير قد أقبل في منقاره جرادة فوضعها في منقار الطير المكسور الجناحين فقلت لنفسي ان الذى قيض هذا الطير لهذا الطير قادر أن يرزقني حيث كنت فتركت التكسب واشتغلت بالعبادة فقال ابراهيم ولم لا تكون أنت الطير الصحيح الذي أطعم الطير العليل حتى تكون أفضل منه أما سمعت عن النبي صلى الله عليه وسلم اليد العليا خير من اليد السفلى ومن علامة المؤمن أن يطلب أعلى الدرجتين فى أموره كلها حتى يبلغ منازل الابرار فأخذ شقيق بيد ابراهيم فقبلها وقال أنت أستاذنا ياأبا اسحق ثم اذا تسبب الانسان فليجتهد أن لا ينظر الى أسبابه ولا يقف عندها بل يجعل مولاه مطمح نظره ومرمى قصده كالسائل يقصد الناس بوعاء في يده ولا ينظر اليه

وانما ينظر الى الذين يعطونه وفي الحديث من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق منه بما في يديه (وقد قيل) لحذيفة المرعشي وكان قد خدم ابراهيم بن أدهم ما أعجب ما رأيت منه فقال بقينا في طريق مكة أياما لم نجد طعاما ثم دخلنا الكوفة فأوينا الى مسجد خراب فنظر الى ابراهيم وقال يا حذيفة أرى بك الجوع فقلت هو ما رأى الشيخ فقال علي بدواة وقرطاس فجئت به فكتب بعد البسملة أنت المقصود بكل حال والمشار اليه بكل معنى وكتب

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر * أنا جائع أنا ضائع أنا عاري
هي ستة وأنا الضمين لنصفها * فكن الضمين لنصفها يا باري
مدحي لغيرك لهب نار خضتها * فأجر عبيدك من دخول النار

ثم دفع الى الرقعة فقال اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله تعالى وادفع الرقعة الى أول من يلقاك فخرجت فاول من لقيني كان رجلا على بغلة فناولته الرقعة فاخذها فلما وقف عليها بكى وقال ما فعل صاحب هذه الرقعة فقلت هو في المسجد الفلاني فدفع الي صرة فيها ستمائة دينار ثم لقيت رجلا آخر فسألته عن راكب البغلة فقال هذا نصراني فجئت الى ابراهيم وأخبرته بالقصة فقال لا تمسها فانه يجيء الساعة فلما كان بعد ساعة دخل النصراني وأكب على رأس ابراهيم يقبله وأسلم ﴿ فائدة ﴾ قال ابن عباس لما خلق الله تعالى حملة العرش قال لهم احملوا عرشي فلم يطيقوا فخلق مع كل واحد منهم مثل من في السموات السبع من الملائكة فقال احملوا عرشي فلم يطيقوا فخلق مع كل منهم مثل من في السموات من الملائكة

ومن في الارض من الخلق وقال احملوا عرشي فلم يطيقوا فقال قولوا لاحول ولاقوة الا بالله فلما قالوها حملوه فنفذت أقدامهم في الارض السابعة علي متن الريح فلما لم تستقر أقدامهم علي شئ تمسكوا بالعرش ولم يفتروا عن قولهم لاحول ولا قوة الا بالله خيفة أن ينقلب أحدهم فلا يعرف أين يهوي فهم حاملون للعرش وهو حاملهم والكل محمول بالقدرة وروى من قال اذا أصبح واذا أمسى حسبي الله لااله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات كفاه الله تعالي ماأهمه صادقا كان بها أو كاذبا وفي رواية كفاه الله ماأهمه من أمر آخرته ودنياه

﴿ الباب الحادي والثلاثون في ترك الدنيا وذمها ﴾

الآيات الواردة في ذم الدنيا وأمثلتها كثيرة وأكثر القرآن مشتمل علي ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الآخرة بل هو مقصود الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يبعثوا الا لذلك فلا حاجة الى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها وانما نورد بعض الاخبار الواردة فيها فقد روى أن رسول الله صلي الله عليه وسلم مر علي شاة ميتة فقال أترون هذه الشاة هينة على أهلها قالوا من هوانها ألقوها قال والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ماسقي كافرا منها شربة ماء وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون مافيها الا ما كان لله منها وقال

أبو موسى الاشعري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا مايبقى على مايفنى وقال صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة وقال زيد بن أرقم كنا مع أبي بكر الصديق رضى الله عنه فدعا بشراب فأتي بماء وعسل فلما أدناه من فيه بكي حتى أبكي أصحابه وسكتوا وما سكت ثم عاد وبكى حتى ظنوا أنهم لايقدرون على مسألته قال ثم مسح عينيه فقالوا ياخليفة رسول الله ماأبكاك قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته يدفع عن نفسه شيئا ولم أر معه أحـدا فقلت يارسول الله ما الذى تدفع عن نفسك قال هذه الدنيا مثلت لى فقلت لها اليك عني ثم رجعت فقالت انك ان أفلت مني لم يفلت مني من بعدك وقال صلى الله عليه وسلم ياعجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على مزبلة فقال هلموا الى الدنيا وأخذ خرقا قد بليت على تلك المزبلة وعظاما قد نخرت فقال هذه الدنيا وهذه اشارة الى أن زينة الدنيا ستخلق مثل تلك الخرق وان الاجسام التي ترى بها ستصير عظاما بالية وقال صلى الله عليه وسلم ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ان بني اسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا في الحليـة والنساء والطيب والثياب وقال عيسى عليه السلام لاتتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم عبيدا اكنزوا كنزكم عنـد من لايضيعه فان صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله لايخاف عليه الآفة وقال عليـه أفضل

الصلاة والسلام أيضا يامعشر الحواريين اني قد كبيت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدي فان من خبث الدنيا أن عصى الله فيها وان من خبث الدنيا أن الآخرة لاتدرك الا بتركها ألا فاعبروا الدنيا ولا تعمروها واعلموا أن أصل كل خطيئة حب الدنيا ورب شهوة ساعة أورثت أهلها حزنا طويلا وقال أيضا بطحت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها ءلا ينازعنكم فيها الملوك والنساء فاما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا فانهم لن يعرضوا لكم ماتركتموهم ودنياهم وأما النساء فاتقوهن بالصوم والصلاة وقال أيضا الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجيء الموت فيأخذ بعنقه وقال موسى بن يسار قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل لم يخلق خلقا أبغض اليه من الدنيا وانه منذ خلقها لم ينظر اليها (وروى) أن سليمان بن داود عليهما السلام مر في موكبه والطير تظله والجن والانس عن يمينه وشماله قال فمر بعابد من بني اسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكا عظيما قال فسمع سليمان وقال لتسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما أعطي ابن داود فان ماأعطي ابن داود يذهب والتسبيحة تبقي وقال صلى الله عليه وسلم الهاكم التكاثر يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الا ماأكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا دار من لادار له ومال من لامال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادى من لاعلم له وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له وقال صلى الله عليه وسلم

من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء وألزم الله قلبه أربع خصال هما لاينقطع عنه أبدا وشغلا لايتفرغ منه أبدا وفقرا لايبلغ غناه أبدا وأملا لايبلغ منتهاه أبدا وقال أبو هريرة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ياأبا هريرة ألا أريك الدنيا جميعها بما فيها فقلت بلى يارسول الله فأخذ بيدي وأتى بي واديا من أودية المدينة فاذا مزبلة فيها رؤس أناس وعذرات وخرق وعظام ثم قال ياأبا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص كحرصكم وتأمل كآمالكم ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم هي صائرة رمادا وهذه العذرات هي ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها في بطونهم فأصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم فأصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا ويروى ان الله عز وجل لما أهبط آدم الى الارض قال له ابن للخراب ولد للفناء وقال داود بن هلال مكتوب في صحف ابراهيم عليه السلام يادنيا ماأهونك على الابرار الذين تصنعت وتزينت لهم اني قذفت في قلوبهم بغضك والصدود عنك وما خلقت خلقا أهون علي منك كل شأنك صغير والى الفناء يصير قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدومي لاحد ولا يدوم لك أحد وان بخل بك صاحبك وشح عليك طوبى للابرار الذين أطلعوني من قلوبهم على الرضا ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة طوبى لهم مالهم عندي من الجزاء اذا وفدوا الي من قبورهم الا النور يسعى أمامهم والملائكة حافون بهم حتى

أبلغهم مايرجون من رحمة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا موقوفة بين السماء والارض منذ خلقها الله تعالى لم ينظر اليها وتقول يوم القيامة يارب اجعلني لادنى أوليائك اليوم نصيبا فيقول اسكتي يالا شيء اني لم أرضك لهم في الدنيا أأرضاك لهم اليوم وروى في أخبار آدم عليه السلام انه لما أكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل ولم يكن ذلك مجعولا في شيء من أطعمة الجنة الا في هذه الشجرة فلذلك نهيا عن أكلها قال فجعل يدور في الجنة فأمر الله تعالى ملكا يخاطبه فقال له قل له أي شيء تريد قال آدم أريد أن أضع مافي بطني من الاذى فقيل للملك قل له في أي مكان تريد أن تضعه اعلى الفرش أم على السرر أم على الانهار أم تحت ظلال الاشجار هل ترى ههنا مكانا يصلح لذلك اهبط الى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ليجيئن أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم الى النار قالوا يارسول الله مصلين قال نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون هنة من الليل فاذا عرض لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه وقال صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لايدري ماالله صانع فيه وبين أجل قد بقي لايدري ماالله قاض فيه فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن حياته لموته ومن شبابه لهرمه فان الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم للآخرة والذى نفسي بيده مابعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة أو النار وقال عيسى عليه السلام لايستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في اناء واحد وروي أن جبريل عليه السلام

قال لنوح عليه السلام يا أطول الانبياء عمرا كيف وجدت الدنيا فقال كدار لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر وقيل لعيسي عليه السلام لو اتخذت بيتا يكنك قال يكفينا خلقان من كان قبلنا وقال نبينا صلي الله عليه وسلم احذروا الدنيا فانها أسحر من هاروت وماروت وعن الحسن قال خرج رسول الله صلي الله عليه وسلم ذات يوم على أصحابه فقال هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمي ويجعله بصيرا ألا انه من رغب في الدنيا وطال أمله فيها أعمي الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد في الدنيا وقصر فيها أمله أعطاه الله علما بغير تعلم وهدي بغير هداية ألا انه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك الا بالقتل والتجبر ولا الغني الا بالفخر والبخل ولا المحبة الا باتباع الهوى ألا فمن أدرك ذلك الزمان منكم فصبر على الفقر وهو يقدر على الغني وصبر على البغضاء وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك الا وجه الله تعالى أعطاه الله ثواب خمسين صديقا وروي أن عيسي عليه السلام اشتد عليه المطر والرعد والبرق يوما فجعل يطلب شيأ يلجأ اليه فوقعت عينه على خيمة من بعيد فأتاها فاذا فيها امرأة فحاد عنها فاذا هو بكهف في جبل فأتاه فاذا فيه أسد فوضع يده عليه وقال الهي جعلت لكل شئ مأوى ولم تجعل لي مأوي فأوحي الله تعالي اليه مأواك في مستقر رحمتي لازوجنك يوم القيامة مائة حوراء خلقتها بيدي ولاطعمن في عرسك أربعة آلاف عام يوم منها كعمر الدنيا ولآمرن مناديا ينادي أين الزهاد في الدنيا زوروا عرس الزاهد

في الدنيا عيسى بن مريم وقال عيسى بن مريم عليه السلام ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها وما فيها وتغره ويأمنها ويثق بها وتخذله وويل للمغترين كيف أرتهم مايكرهون وفارقهم مايحبون وجاءهم مايوعدون وويل لمن الدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غدا بذنبه (وقيل) أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام يا موسى مالك ولدار الظالمين انها ليست لك بدار أخرج منها همك وفارقها بعقلك فبئست الدار هي الا لعامل يعمل فيها فنعمت الدار هي ياموسى انى مرصد للظالم حتى آخذ منه للمظلوم وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة ابن الجراح فجاءه بمال من البحرين فسمعت الانصار بقدوم أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم ثم قال أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشئ قالوا أجل يارسول الله قال فأبشروا وأملوا مايسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم وقال أبو سعيد الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أكثر ما أخاف عليكم مايخرج الله لكم من بركات الارض فقيل ما بركات الارض قال زهرة الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا فنهى عن ذكرها فضلا عن اصابة عينها وقال عمار بن سعيد مر عيسى عليه السلام بقرية فاذا أهلها موتى في الافنية والطرق فقال يامعشر

الحواريين ان هؤلاء ماتوا عن سخطة ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا فقالوا ياروح الله وددنا أنا لو علمنا خبرهم فسأل الله تعالى فأوحى اليه اذا كان الليل فنادهم يجيبوك فلما كان الليل أشرف على نشز ثم نادي يا أهل القرية فأجابه مجيب لبيك ياروح الله فقال ما حالكم وما قصتكم قالوا بتنا في عافية وأصبحنا في الهاوية قال وكيف ذاك قالوا بحبنا الدنيا وطاعتنا أهل المعاصي قال وكيف كان حبكم للدنيا قالوا حب الصبي لامه اذا أقبلت فرحنا بها واذا أدبرت حزنا وبكينا عليها قال فما بال أصحابك لم يجيبوني قال لانهم ملجمون بلجم من نار بأيدي ملائكة غلاظ شداد قال فكيف أجبتني أنت من بينهم قال لانى كنت فيهم ولم أكن منهم فلما نزل بهم العذاب أصابني معهم فأنا معلق على شفير جهنم لاأدرى أنجو منها أم أكبكب فيها فقال المسيح للحواريين لأكل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة وقال أنس كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء لاتسبق فجاء أعرابي بناقة له فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال صلى الله عليه وسلم انه حق على الله أن لايرفع شيأ من الدنيا الا وضعه وقال عيسى عليه السلام من الذى يبني على موج البحر دارا تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا وقيل لعيسى عليه السلام علمنا علما واحدا يحبنا الله عليه قال ابغضوا الدنيا يحببكم الله تعالى (وقال أبو الدرداء) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوتعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة ثم قال أبو الدرداء من

قبل نفسه لو تعلمون ما أعلم لخرجتم الى الصعدات تجأرون وتبكون على أنفسكم ولتركتم أموالكم لا حارس لها ولا راجع اليها الا مالا بد لكم منه ولكن غيب عن قلوبكم ذكر الآخرة الامل فصارت الدنيا أملك بأعمالكم وصرتم كالذين لا يعلمون فبعضكم شر من البهائم التي لا تدع هواها مخافة مما في عاقبته مالكم لا تحابون ولا تناصحون وأنتم اخوان على دين الله ما فرق بين أهوائكم الا خبث سرائركم ولو اجتمعتم على البر لتحاببتم مالكم تناصحون في أمر الدنيا ولا تناصحون في أمر الآخرة ولا يملك أحدكم النصيحة لمن يحبه ويعينه على أمر آخرته ما هذا الا من قلة الايمان في قلوبكم لو كنتم توقنون بخير الآخرة وشرها كما توقنون بالدنيا لآثرتم طلب الآخرة لانها أملك لامور كم فان قلتم حب العاجلة غالب فانا نراكم تدعون العاجل من الدنيا للآجل منها تكدون أنفسكم بالمشقة والاحتراف في طلب أمر لعلكم لا تدركونه فبئس القوم أنتم ما حققتم ايمانكم بما يعرف به الايمان البالغ فيكم فان كنتم في شك مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فأتونا لنبين لكم ولنريكم من النور ما تطمئن اليه قلوبكم والله ما أنتم بالمنقوصة عقولكم فنعذركم انكم تستبينون صواب الرأي في دنياكم وتأخذون بالحزم في أموركم مالكم تفرحون باليسير من الدنيا تصيبونه وتحزنون على اليسير منها يفوتكم حتى يتبين ذلك في وجوهكم ويظهر على ألسنتكم وتسمونها المصائب وتقيمون فيها المآتم وعامتكم قد تركوا كثيرا من دينهم ثم لا يتبين ذلك في وجوهكم ولا يتغير حالكم اني لا أرى الله قد تبرأ منكم يلقى بعضكم بعضا بالسرور

وكان يكره أن يستقبل صاحبه بما يكره مخافة أن يستقبله صاحبه بمثله فأصبحتم على الغل ونبتت مراعيكم على الامل وتصافيتم على رفض الاجل ولوددت أن الله تعالى أراحني منكم وألحقني بمن أحب رؤيته ولو كان حيا لم يصابركم فان كان فيكم خير فقد أسمعتكم وان تطلبوا ماعند الله تجدوه يسيرا وبالله أستعين على نفسي وعليكم (وقال عيسى) عليه السلام يامعشر الحواريين ارضوا بدنيء الدنيا مع سلامة الدين كما رضي أهل الدنيا بدنيء الدين مع سلامة الدنيا وفي معناه قيل

أرى رجالا بأدنى الدين قد قنعوا * وما أراهم رضوا في العيش بالدون
فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما * استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر تركك الدنيا أبر وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لتأتينكم بعدي دنيا تأكل ايمانكم كما تأكل النار الحطب (وأوحى) الله تعالى الى موسى عليه السلام ياموسى لاتركنن الى حب الدنيا فلن تأتيني بكبيرة هي أشد منها ومر موسى عليه السلام برجل وهو يبكي ورجع وهو يبكي فقال موسى يارب عبدك يبكي من مخافتك فقال يا ابن عمران لو سال دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى يسقطا لم أغفر له وهو يحب الدنيا (الآثار) قال علي رضي الله عنه من جمع فيه ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا أولها من عرف الله فأطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فطلبها (وقال الحسن) رحم الله أقواما كانت الدنيا عندهم وديعة فأدوها الى

من انتمنهم عليها ثم راحوا خفافا وقال أيضا رحمه الله من نافسك فى دينك فنافسه ومن نافسك في دنياك فألقها في نحره (وقال لقمان عليه عليه السلام) لابنه يابني ان الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوي الله عز وجل وحشوها الايمان بالله تعالي وشراعها التوكل على الله عز وجل لعلك تنجو وما أراك ناجيا وقال الفضيل طالت فكرتي في هذه الآية انا جعلنا ماعلى الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وانا لجاعلون ماعليها صعيدا جرزا (وقال بعض الحكماء) انك ان تصبح في شئ من الدنيا الا وقد كان له أهل قبلك وسيكون له أهل بعدك وليس لك من الدنيا الا عشاء ليلة وغداء يوم فلا تهلك فى أكلة وصم عن الدنيا وأفطر على الآخرة وان رأس مال الدنيا الهوي وربحها النار وقيل لبعض الرهبان كيف ترى الدهر قال يخلق الابدان ويجدد الآمال ويقرب المنية ويبعد الامنية قيل فما حال أهله قال من ظفر به تعب ومن فاته نصب وفى ذلك قيل

ومن يحمد الدنيا لعيش يسره * فسوف لعمري عن قليل يلومها
اذا أدبرت كانت علي المرء حسرة * وان أقبلت كانت كثيرا همومها

وقال بعض الحكماء كانت الدنيا ولم أكن فيها وتذهب الدنيا ولا أكون فيها فلا أسكن اليها فان عيشها نكد وصفوها كدر وأهلها منها علي وجل اما بنعمة زائلة أو بلية نازلة أو منية قاضية وقال بعضهم من عيب الدنيا أنها لاتعطي أحدا مايستحق لكنها اما أن تزيد واما أن تنقص (وقال سفيان) أما تري النعم كأنها مغضوب عليها قد وضعت

في غير أهلها وقال أبو سليمان الداراني من طلب الدنيا على المحبة لها لم يعط منها شيأ الا أراد أكثر ومن طلب الآخرة على المحبة لها لم يعط منها شيأ الا أراد أكثر وليس لهذا غاية ولا لهذا غاية وقال رجل لابي حازم أشكو اليك حب الدنيا وليست لى بدار فقال انظر ما آتاكه الله عز وجل منها فلا تأخذه الا من حله ولا تضعه الا فى حقه ولا يضرك حب الدنيا وانما قال هذا لانه لو آخذ نفسه بذلك لاتبعه حتى يتبرم بالدنيا ويطلب الخروج منها (وقال يحيي بن معاذ) الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيأ فيجيء في طلبه فيأخذك وقال الفضيل لو كانت الدنيا من ذهب يفني والآخرة من خزف يبقى لكان ينبغى لنا أن نختار خزفا يبقى على ذهب يفني فكيف وقد اخترنا خزفا يفني على ذهب يبقي (وقال أبو حازم) اياكم والدنيا فانه بلغني أنه يوقف العبد يوم القيامة اذا كان معظما للدنيا فيقال هذا عظم ماحقره الله وقال ابن مسعود ماأصبح أحد من الناس الا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مردودة وفى ذلك قيل

وما المال والاهلون الا وديعة * ولا بد يوما أن ترد الودائع

وزار رابعة أصحابها فذكروا الدنيا فأقبلوا على ذمها فقالت اسكتوا عن ذكرها فلولا موقعها من قلوبكم ماأكثرتم من ذكرها ألا من أحب شيأ أكثر من ذكره وقيل لابراهيم بن أدهم كيف أنت فقال

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا * فلاديننا يبقى ولا مانرقع

فطوبي لعبد آثر الله ربه * وجاد بدنياه لما يتوقع

﴿ وقيل أيضا في ذلك ﴾

أري طالب الدنيا وان طال عمره * ونال من الدنيا سرورا وأنعما
كبان بني بنيانه فأقامه * فلما استوي ماقد بناه تهدما

﴿ وقيل أيضا في ذلك ﴾

هب الدنيا تساق اليك عفوا * أليس مصير ذاك الى انتقال
وما دنياك الا مثل فيء * أظلك ثم آذن بالزوال

وقال لقمان لابنه يابني بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا ولاتبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعا (وقال مطرف بن الشخير) لاتنظر الى خفض عيش الملوك ولين رياشهم ولكن انظر الى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم وقال ابن عباس ان الله تعالي جعل الدنيا ثلاثة أجزاء جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء للكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وقال بعضهم الدنيا جيفة فمن أراد منها شيأ فليصبر على معاشرة الكلاب وفي ذلك قيل

ياخاطب الدنيا الى نفسها * تنح عن خطبتها تسلم
ان التي تخطب غدارة * قريبة العرس من المأتم

وقال أبو الدرداء من هوان الدنيا علي الله أنه لايعصي الا فيها ولا ينال ماعنده الا بتركها وفي ذلك قيل

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له من عدو في ثياب صديق

﴿ وقيل أيضا ﴾

ياراقد الليل مسرورا بأوله * ان الحوادث قد يطرقن أسحارا

أفي القرون التي كانت منعمة * كر الجديدين اقبالا وادبارا
كم قد أبادت صروف الدهر من ملك * قد كان في الدهر نفاعا وضرارا
يامن يعانق دنيا لابقاء له * يمسي ويصبح في دنيا سفارا
هلا تركت من الدنيا معانقة * حتى تعانق في الفردوس أبكارا
ان كنت تبغي جنان الخلد تسكنها * فينبغي لك أن لاتأمن النارا

وقال أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه لما بعث محمد صلى الله عليه وسلم أتت ابليس جنوده فقالوا قد بعث نبي وأخرجت أمة قال يحبون الدنيا قالوا نعم قال لئن كانوا يحبون الدنيا ماأبالي أن لا يعبدوا الاوثان وانما أغدو عليهم وأروح بثلاث أخذ المال من غير حقه وانفاقه في غير حقه وامساكه عن حقه والشر كله من هذا نبع وقال رجل لعلي كرم الله وجهه ياأمير المؤمنين صف لنا الدنيا قال وما أصف لك من دار من صح فيها سقم ومن أمن فيها ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها افتتن في حلالها الحساب وفي حرامها العقاب وفي متشابهها العتاب وقيل له ذلك مرة أخرى فقال أطول أم أقصر فقيل قصر فقال حلالها حساب وحرامها عذاب وقال مالك بن دينار اتقوا السحارة فانها تسحر قلوب العلماء يعني الدنيا وقال أبو سليمان الداراني اذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا تزاحمها فاذا كانت الدنيا في القلب لم تزاحمها الآخرة لان الآخرة كريمة والدنيا لئيمة وهذا تشديد عظيم ونرجو أن يكون ماذكره سيار بن الحكم أصح اذ قال الدنيا والآخرة يجتمعان في القلب فأيهما غلب كان الآخر تبعا له وقال مالك بن دينار بقدر ماتحزن للدنيا

يخرج هم الآخرة من قلبك وبقدر ماتحزن للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك وهذا اقتباس مما قاله علي كرم الله وجهه حيث قال الدنيا والآخرة ضرتان فبقدر ما ترضي احداها تسخط الاخرى (وقال الحسن) والله لقد أدركت أقواما كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذي تمشون عليه ما يبالون أشرقت الدنيا أم غربت ذهبت الى ذا أو ذهبت الى ذا وقال رجل للحسن ماتقول في رجل آتاه الله مالا فهو يتصدق منه و يصل منه أيحسن له أن يتعيش فيه يعني يتنعم فقال لا لو كانت له الدنيا كلها ما كان له منها الا الكفاف ويقدم ذلك ليوم فقره (وقال الفضيل) لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت على حلالا لاأحاسب عليها في الآخرة لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة اذا مر بها أن تصيب ثوبه (وقيل) لما قدم عمر رضي الله عنه الشام فاستقبله أبو عبيدة بن الجراح على ناقة مخطومة بحبل فسلم وسأله ثم أتى منزله فلم ير فيه الا سيفه وترسه ورحله فقال له عمر رضي الله عنه لو اتخذت متاعا فقال ياأمير المؤمنين ان هذا يبلغنا المقيل وقال سفيان خذ من الدنيا لبدنك وخذ من الآخرة لقلبك وقال الحسن والله لقد عبدت بنو اسرائيل الاصنام بعد عبادتهم الرحمن بحبهم للدنيا وقال وهب قرأت في بعض الكتب الدنيا غنيمة الاكياس وغفلة الجهال لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسألوا الرجعة فلم يرجعوا وقال لقمان لابنه يابني انك استدبرت الدنيا من يوم نزلتها واستقبلت الآخرة فأنت الى دار تقرب منها أقرب من دار تباعدت عنها (وقال سعيد بن مسعود) اذا رأيت

العبد تزداد دنياه وتنقص آخرته وهو به راض فذلك المغبون الذي يلعب بوجهه وهو لايشعر وقال عمرو بن العاص على المنبر والله مارأيت قوما قط أرغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزهد فيه منكم والله مامر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث الا والذي عليه أكثر من الذي له وقال الحسن بعد أن تلا قوله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا من قال ذا قاله من خلقها ومن هو أعلم بها اياكم وماشغل من الدنيا فان الدنيا كثيرة الاشغال لايفتح رجل على نفسه باب شغل الا أو شك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب وقال أيضا مسكين ابن آدم رضى بدار حلالها حساب وحرامها عذاب ان أخذه من حله حوسب به وان أخذه من حرام عذب به ابن آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله يفرح بمصيبته في دينه ويجزع من مصيبته في دنياه (وكتب الحسن) الى عمر بن عبد العزيز سلام عليك أما بعد فكأنك بآخر من كتب عليه الموت قدمات فأجابه عمر سلام عليك كأنك بالدنيا ولم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل (وقال الفضيل بن عياض) الدخول فى الدنيا هين ولكن الخروج منها شديد وقال بعضهم عجبا لمن يعرف أن الموت حق كيف يفرح وعجبا لمن يعرف أن النار حق كيف يضحك وعجبا لمن رأي تقلب الدنيا بأهلها كيف يطمئن اليها وعجبا لمن يعلم أن القدر حق كيف ينصب وقدم على معاوية رضى الله عنه رجل من نجران عمره مائتا سنة فسأله عن الدنيا كيف وجدها فقال سنيات بلاء وسنيات رخاء يوم فيوم وليلة فليلة يولد ولد ويهلك هالك فلولا المولود لباد الخلق ولولا

الهالك ضاقت الدنيا بين يديها فقال له سل ماشئت قال عمر رضي فتردها أو أجل حضر فتدفعه قال لا أملك ذلك قال لاحاجة لي اليك وقال داود الطائي رحمه الله يا ابن آدم فرحت ببلوغ أملك وانما بلغته بانقضاء أجلك ثم سوفت بعملك كأن منفعته لغيرك وقال بشر من سأل الله الدنيا فانما يسأله طول الوقوف بين يديه وقال أبو حازم ما في الدنيا شيء يسرك الا وقد ألصق الله اليه شيأ يسوءك (وقال الحسن) لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا الا بحسرات ثلاث انه لم يشبع مما جمع ولم يدرك ما أمل ولم يحسن الزاد لما قدم عليه (وقيل لبعض العباد) قد نلت الغني فقال انما نال الغني من عتق من رق الدنيا وقال أبو سليمان لا يصبر عن شهوات الدنيا الا من كان في قلبه مايشغله بالآخرة وقال مالك بن دينار اصطلحنا على حب الدنيا فلا يأمر بعضنا بعضا ولا ينهى بعضنا بعضا ولا يدعنا الله على هذا فليت شعري أي عذاب الله ينزل علينا وقال أبو حازم يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة وقال الحسن أهينوا الدنيا فوالله ماهي لاحد بأهنأ منها لمن أهانها وقال أيضا اذا أراد الله بعبد خيراً أعطاه من الدنيا عطية ثم يمسك فاذا نفد أعاد عليه واذاهان عليه عبد بسط له الدنيا بسطا وكان بعضهم يقول في دعائه يا ممسك السماء أن تقع على الارض الا باذنك أمسك الدنيا عني وقال محمد بن المنكدر أرأيت لو أن رجلا صام الدهر لا يفطر وقام الليل لا ينام وتصدق بماله وجاهد في سبيل الله واجتنب محارم الله غير انه يؤتى به يوم القيامة فيقال ان هذا عظم في عينه ماصغره الله وصغر في عينه ماعظمه الله كيف ترى يكون حاله فمن منا ليس

هكذا الدنيا عظيمة عنده مع ما اقترفنا من الذنوب والخطايا وقال أبو حازم اشتدت مؤنة الدنيا والآخرة فأما مؤنة الآخرة فانك لاتجد عليها أعوانا وأما مؤنة الدنيا فانك لاتضرب بيدك الى شيء منها الا وجدت فاجرا قد سبقك اليه وقال أبو هريرة الدنيا موقوفة بين السماء والارض كالشن البالي تنادي ربها منذ خلقها الى يوم يفنيها يارب يارب لم تبغضني فيقول لها اسكتي يالاشيء وقال عبد الله بن المبارك حب الدنيا والذنوب في القلب قد احتوشته فمتى يصل الخير اليه وقال وهب بن منبه من فرح قلبه بشيء من الدنيا فقد أخطأ الحكمة ومن جعل شهوته تحت قدميه فرق الشيطان من ظله ومن غلب علمه هواه فهو الغالب وقيل لبشر مات فلان فقال جمع الدنيا وذهب الى الآخرة وضيع نفسه قيل له انه كان يفعل ويفعل وذكروا أبوابا من البر فقال وماينفع هذا وهو يجمع الدنيا وقال بعضهم الدنيا تبغض الينا نفسها ونحن نحبها فكيف لو تحببت الينا وقال لحكيم الدنيا لمن هي قال لمن تركها فقيل الآخرة لمن هي قال لمن طلبها وقال حكيم الدنيا دار خراب وأخرب منها قلب من يعمرها والجنة دار عمران وأعمر منها قلب من يطلبها (وقال الجنيد) كان الشافعي رحمه الله من المريدين الناطقين بلسان الحق في الدنيا وعظ أخاله في الله وخوفه بالله فقال ياأخي ان الدنيا دحض مزلة ودار مذلة عمرانها الى الخراب صائر وساكنها الى القبور زائر شملها على الفرقة موقوف وغناها الى الفقر مصروف الا كثار فيها اعسار والاعسار فيها يسار فافزع الى الله وارض برزق الله لاتستلف

من دار فنائك الى دار بقائك فان عيشك فىء زائل وجدار مائل أكثر من عملك وأقصر من أملك (وقال ابراهيم بن أدهم لرجل) أدرهم في المنام أحب اليك أم دينار في اليقظة فقال دينار في اليقظة فقال كذبت لان الذي تحبه في الدنيا كانك تحبه في المنام والذي لاتحبه في الآخرة كانك لاتحبه في اليقظة وعن اسماعيل ابن عياش قال كان أصحابنا يسمون الدنيا خنزيرة فيقولون اليك عنا ياخنزيرة فلو وجدوا لها اسما أقبح من هذا لسموها به وقال كعب لتحببن اليكم الدنيا حتى تعبدوها وأهلها وقال يحيي بن معاذ الرازي رحمه الله العقلاء ثلاثة من ترك الدنيا قبل أن تتركه وبنى قبره قبل أن يدخله وأرضى خالقه قبل أن يلقاه وقال أيضا الدنيا بلغ من شؤمها أن تمنيك لها يلهيك عن طاعة الله فكيف الوقوع فيها وقال بكر بن عبد الله من أراد أن يستغني عن الدنيا بالدنيا كان كمطفىء النار بالتبن (وقال بندار) اذا رأيت أبناء الدنيا يتكلمون في الزهد فاعلم أنهم في سخرة الشيطان وقال أيضا من أقبل على الدنيا أحرقته نيرانها يعني الحرص حتى يصير رمادا ومن أقبل على الآخرة صفته بنيرانها فصار سبيكة ذهب ينتفع به ومن أقبل على الله عز وجل أحرقته نيران التوحيد فصار جوهرا لاحد لقيمته وقال علي كرم الله وجهه انما الدنيا ستة أشياء مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم فأشرف المطعومات العسل وهو مذقة ذباب وأشرف المشروبات الماء ويستوي فيه البر والفاجر وأشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة وأشرف المركوبات الفرس وعليه

يقتل الرجال وأشرف المنكوحات المرأة وهي مبال في مبال وان المرأة
لتزين أحسن شيء منها ويراد أقبح شيء منها وأشرف المشمومات المسك
وهو دم

﴿ الباب الثاني والثلاثون في ذم الدنيا أيضا ﴾

قال بعضهم ياأيها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله على وجل
ولا تغتروا بالامل ونسيان الاجل ولا تركنوا الي الدنيا فانها غدارة
خداعـة قد تزخرفت لكم بغرورها وفتنتكم بأمانيها وتزينت لخطابها
فأصبحت كالعروس المجليـة العيون اليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة
والنفوس لهـا عاشقة فكم من عاشق لها قتلت ومطمئن اليها خذلت
فانظروا اليها بعين الحقيقة فانها دار كثير بوائقها وذمها خالقها جديدها
يبلى وملكها يفني وعزيزها يذل وكثيرها يقل ودها يموت وخـيرها
يفوت فاستيقظوا رحمكم الله من غفلتكم وانتبهوا من رقدتكم قبل أن
يقال فلان عليل أومدنف ثقيل فهل على الدواء من دليل أوهل الى
الطبيب من سبيل فتدعى لك الاطباء ولا يرجى لك الشفاء ثم يقال فلان
أوصى ولماله أحصى ثم يقال قد ثقل لسانه فما يكلم اخوانه ولا يعرف
جيرانه وعرق عند ذلك جبينك وتتابع أنينك وثبت يقينك وطمحت
جفونك وصدقت ظنونك وتلجلج لسانك وبكي اخوانك وقيل لك
هذا ابنك فلان وهذا أخوك فلان ومنعت من الكلام فلا تنطق وختم
على لسانك فلا ينطلق ثم حل بك القضاء وانتزعت نفسك من الاعضاء
ثم عرج بها الى السماء فاجتمع عند ذلك اخوانك وأحضرت اكفانك

فسلوك وكفنوك فانقطع عوادك واستراح حسادك وانصرف أهلك الى مالك وبقيت مرتهنا بأعمالك (وقال بعضهم) لبعض الملوك أن أحق الناس بذم الدنيا وقلاها من بسط له فيها وأعطى حاجته منها لانه يتوقع آفة تعدو على ماله فتجتاحه أو على جمعه فتفرقه أو تأتي سلطانه فتهدمه من القواعد أو تدب الى جسمه فتسقمه أو تفجعه بشيء هو ضنين به بين أحبابه فالدنيا أحق بالذم هي الآخذة ما تعطي الراجعة فيما تهب بينا هي تضحك صاحبها اذ أضحكت منه غيره وبينا هي تبكي له اذ أبكت عليه وبينا هي تبسط كفه بالاعطاء اذ بسطتها بالاسترداد فتعقد التاج على رأس صاحبها اليوم وتعفره في التراب غدا سواء عليها ذهاب ماذهب وبقاء مابقي تجد في الباقي من الذاهب خلفا وترضى بكل من كل بدلا (وكتب) الحسن البصري الى عمر بن عبد العزيز أما بعد فان الدنيا دار ظعن ليست بدار اقامة وانما أنزل آدم عليه السلام من الجنة اليها عقوبة فاحذرها ياأمير المؤمنين فان الزاد منها تركها والغني منها فقرها لها في كل حين قتيل تذل من أعزها وتفقر من جمعها هي كالسم يأكله من لايعرفه وفيه حتفه فكن فيها كالمداوى جراحه يحتمي قليلا مخافة مايكره طويلا ويصبر على شدة الدواء مخافة طول الداء فاحذر هذه الدار الغدارة الختالة الخداعة التي قد تزينت بخدعها وفتنت بغرورها وحلت بآمالها وسوفت بخطابها فأصبحت كالعروس المجلية العيون اليها ناظرة والقلوب عليها والهة والنفوس لها عاشقة وهي لازواجها كلهم قالية فلا الباقي بالماضي معتبر ولا الآخر بالاول مزدجر ولا العارف بالله

عز وجل حين أخبره عنها مذكر نماشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطغى ونسى المعاد فشغل فيها لبه حتى زلت به قدمه نعظمت ندامته وكثرت حسرته واجتمعت عليه سكرات الموت وتألمه وحسرات الفوت بغصته وراغب فيها لم يدرك منها ماطلب ولم يروح نفسه من التعب فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد فاحذرها ياأمير المؤمنين وكن أسر ماتكون فيها أحذر ماتكون لها فان صاحب الدنيا كلما اطمأن منها الى سرور أشخصته الى مكروه الضار في أهلها غار والنافع فيها غدار ضار وقد وصل الرخاء منها بالبلاء وجعل البقاء فيها الى فناء نسرورها مشوب بالاحزان لايرجع منها ماولى وأدبر ولا يدرى ماهو آت فينتظر أمانيها كاذبة وآمالها باطلة وصفوها كدر وعيشها نكد وابن آدم فيها على خطر ان عقل ونظر فهو من النعماء على خطر ومن البلاء على حذر فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا لكانت الدنيا قد أيقظت النائم ونبهت الغافل فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ فمالها عند الله جل ثناؤه قدر وما نظر اليها منذ خلقها ولقد عرضت على نبيك صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزائنها لا ينقصه ذلك عند الله جناح بعوضة فأبي أن يقبلها أذ كره أن يخالف على الله أمره أويحب ماأبغضه خالقه أو يرفع ماوضعه مليكه فزواها عن الصالحين اختيارا وبسطها لاعدائه اغترارا فيظن المغرور بها المقتدر عليها انه أكرم بها ونسى ماصنع الله عز وجل بمحمد صلى الله عليه وسلم حين شد الحجر على بطنه ولقد جاءت الرواية عنه عن ربه جل وعز أنه قال

لموسى عليه السلام اذا رأيت الغني مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته واذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وان شئت اقتديت بصاحب الروح والكلمة عيسى بن مريم عليه السلام فانه كان يقول ادامي الجوع وشعاري الخوف ولباسي الصوف وصلاتي في الشتاء مشارق الشمس وسراجي القمر ودابتي رجلاى وطعامى وفاكهتي ماأنبتت الارض أبيت وليس لى شئ وأصبح وليس لى شئ وليس على الارض أحد أغنى منى " (وقال وهب بن منبه) لما بعث الله عز وجل موسى وهرون عليهما السلام الى فرعون قال لايرو عنكما لباسه الذى لبس من الدنيا فان ناصيته بيدي ليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس الا باذني ولا يعجبنكما ماتمتع به منها فانما هو زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين فلو شئت أن أزينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها أن قدرته تعجز عما أوتيتما لفعلت ولكني أرغب بكما عن ذلك فأزوى ذلك عنكما وكذلك أفعل بأوليائى انى لأذودهم عن نعيمها كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة وانى لاجنبهم ملاذها كما يجنب الراعي الشفيق ابله عن منازل الغرة وما ذاك لهوانهم على ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما موفرا انما يتزين لي أوليائي بالذل والخوف والخضوع والتقوى تنبت في قلوبهم وتظهر على أجسادهم فهي ثيابهم التي يلبسون ودثارهم الذي يظهرون وضميرهم الذى يستشعرون ونجاتهم التي بها يفوزون ورجاؤهم الذي اياه يأملون ومجدهم الذي به يفخرون وسيماهم التي بها يعرفون فاذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل لهم قلبك ولسانك واعلم

انه من أخاف لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة ثم أنا الثائر له يوم القيامة
*وخطب على كرم الله وجهه يوما خطبة فقال فيها اعلموا انكم ميتون
ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على أعمالكم ومجزيون بها فلا
تغرنكم الحياة الدنيا فانها بالبلاء محفوفة وبالفناء معروفة وبالغدر
موصوفة وكل مافيها الى زوال وهي بين أهلها دول وسجال لاتدوم
أحوالها ولا يسلم من شرها نزالها بينا أهلها منها في رخاء وسرور اذاهم
منها في بلاء وغرور أحوال مختلفه وتارات منصرفة العيش فيها مذموم
والرخاء فيها لايدوم وانما أهلها فيها أغراض مستهدفة ترميهم بسهامها
وتقصيهم بحمامها وكل حتفه فيها مقدور وحظه فيها موفور واعلموا
عباد الله انكم وماأنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى من كان
أطول منكم أعمارا وأشد منكم بطشا وأعمر ديارا وأبعد آثارا
فأصبحت أصواتهم هامدة خامدة من بعد طول تقلبها وأجسادهم بالية
وديارهم على عروشها خاوية وآثارهم عافية واستبدلوا بالقصور المشيدة
والسرر والنمارق الممهدة الصخور والاحجار المسندة في القبور
اللاطية الملحدة فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين أهل عمارة
موحشين وأهل محلة متشاغلين لايستأنسون بالعمران ولايتواصلون
تواصل الجيران والاخوان علي مابينهم من قرب المكان والجوار ودنو
الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنتهم بكلكله البلي وأكلتهم
الجنادل والثرى وأصبحوا بعد الحياة أمواتا وبعد نضارة العيش رفاتا
فجع بهم الاحباب وسكنوا تحت التراب وظعنوا فليس لهم اياب

هيهات هيهات كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فكأن قد صرتم الى ماصاروا اليه من البلى والوحدة في دار المثوى وارتهنتم في ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لو عاينتم الامور وبعثرت القبور وحصل مافي الصدور وأوقفتم للتحصيل بين يدي الملك الجليل فطارت القلوب لاشفاقها من سالف الذنوب وهتكت عنكم الحجب والاستار وظهرت منكم العيوب والاسرار هنالك تجزى كل نفس بما كسبت ان الله عز وجل يقول ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى وقال تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه الآية جعلنا الله واياكم عاملين بكتابه متبعين لاوليائه حتى يحلنا واياكم دار المقامة من فضله انه حميد مجيد (وقال بعض الحكماء) الايام سهام والناس أغراض والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويخترمك بلياليه وأيامه حتى يستغرق جميع أجزائك فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الايام بك وسرعة الليالى في بدنك لو كشف لك عما أحدثت الايام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم يأتي عليك واستثقلت مر الساعات بك ولكن تدبير الله فوق تدبير الاعتبار و بالسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها وانها لامر من العلقم اذا عجنها الحكيم وقد أعيت الواصف لعيوبها بظاهر أفعالها وما تأتي به من العجائب أكثر مما يحيط به الواعظ اللهم ارشدنا الى الصواب وقال بعض الحكماء وقد استوصف الدنيا وقدر بقاءها فقال الدنيا وقتك الذي يرجع اليه فيه طرفك لان مامضي عنك فقد فاتك ادراكه ومالم

يأت فلا علم لك به والدهر يوم مقبل تنعاه ليلته وتطويه ساعاته وأحداثه تتوالى على الانسان بالتغيير والنقصان والدهر موكل بتشتيت الجماعات وانخرام الشمل وتنقل الدول والامل طويل والعمر قصير والى الله تصير الامور * وخطب عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه فقال يا أيها الناس انكم خلقتم لامر ان كنتم تصدقون به فانكم حمقى وان كنتم تكذبون به فانكم هلكى فما خلقتم للابد ولكنكم من دار الى دار تنقلون عباد الله انكم في دار لكم فيها من طعامكم غصص ومن شرابكم شرق لا تصفو لكم نعمة تسرون بها الا بفراق أخرى تكرهون فراقها فاعملوا لما أنتم صائرون اليه وخالدون فيه ثم غلبه البكاء ونزل * وقال علي كرم الله وجهه في خطبته أوصيكم بتقوى الله والترك للدنيا التاركة لكم وان كنتم لا تحبون تركها المبلية أجسامكم وأنتم تريدون تجديدها فانما مثلكم ومثلها كمثل قوم في سفر سلكوا طريقا وكأنهم قد قطعوه وأفضوا الى علم فكأنهم بلغوه وكم عسى أن يجري المجرى حتى ينتهي الى الغاية وكم عسى أن يبقى من له يوم في الدنيا وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها فلا تجزعوا لبؤسها وضرائها فانه الى انقطاع ولا تفرحوا بمتاعها ونعمائها فانه الى زوال عجبت لطالب الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه وقال محمد بن الحسين لما علم أهل الفضل والعلم والمعرفة والادب أن الله عز وجل قد أهان الدنيا وأنه لم يرضها لاوليائه وانها عنده حقيرة ذليلة وأن رسول صلى الله عليه وسلم زهد فيها وحذر أصحابه من فتنتها أكلوا منها قصدا وقدموا فضلا وأخذوا منها ما يكفي وتركوا ما يلهي لبسوا من

الثياب ماستر العورة وأكلوا من الطعام أدناه ما سد الجوعة ونظروا الى الدنيا بعين انها فانية والى الآخرة أنها باقية فتزودوا من الدنيا كزاد الراكب فخربوا الدنيا وعمروا بها الآخرة وانظروا الى الآخرة بقلوبهم لعلموا أنهم سينظرون اليها بأعينهم فارتحلوا اليها بقلوبهم لما علموا أنهم سيرتحلون اليها بأبدانهم تعبوا قليلا وتنعموا طويلا كل ذلك بتوفيق مولاهم الكريم أحبوا ما أحب لهم وكرهوا ما كره لهم

﴿ الباب الثالث والثلاثون في فضل القناعة ﴾

اعلم أنه ينبغي أن يكون الفقير قانعا منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت الى ما في أيديهم ولا حريصا على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك الا بأن يقنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس والمسكن ويقتصر على أقله قدرا وأخسه نوعا ويرد أمله الى يومه أو الى شهره ولا يشغل قلبه بما بعد شهر فان تشوق الى الكثير أو طول أمله فاته عز القناعة وتدنس لامحالة بالطمع وذل الحرص وجره الحرص والطمع الى مساوي الاخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروآت وقد جبل الآدمي على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا ولايملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وعن أبي واقد الليثي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أوحي اليه أتيناه يعلمنا مما أوحي اليه فجئته ذات يوم فقال ان الله عز وجل يقول انا أنزلنا المال لاقام الصلاة وايتاء الزكاة ولو كان لابن آدم واد من ذهب لاحب أن

يكون له ثان وان كان له الثانى لا أحب أن يكون لهما ثالث ولا يملأ
جوف ابن آدم الا التراب و يتوب الله على من تاب وقال أبو موسى
الاشعرى نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها ان الله يؤيد هذا
الدين بأقوام لاخلاق لهم ولو أن لابن آدم واديين من مال لتمنى
واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب
وقال صلى الله عليه وسلم منهومان لايشبعان منهوم العلم ومنهوم المال
وقال صلى الله عليه وسلم يهرم ابن آدم و يشب معه اثنتان الامل وحب
المال أو كما قال ولما كانت هذه جبلة للآدمى مضلة وغريزة مهلكة أثنى
الله تعالى و رسوله على القناعة فقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدى
للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال صلى الله عليه وسلم مامن أحد
فقير ولا غني الا ود يوم القيامة انه كان أوتى قوتا في الدنيا وقال صلى
الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس ونهى عن
شدة الحرص والمبالغة في الطلب فقال ألا أيها الناس أجملوا في الطلب
فانه ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه
ما كتب له من الدنيا وهي راغمة وروى أن موسى عليه السلام سأل
ربه تعالى فقال أى عبادك أغنى قال أقنعهم بما أعطيته قال فايهم أعدل
قال من أنصف من نفسه وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل
رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب وقال أبو هريرة قال لى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ياأبا هريرة اذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف

وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن ورعاتكن أعبد الناس وكن قنعاتكن أشكر الناس وأحب للناس ماتحب لنفسك تكن مؤمنا ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطمع فيما رواه أبو أيوب الانصاري أن أعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله عظني وأوجز فقال اذا صليت فصل صلاة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه غدا واجمع اليأس مما في أيدي الناس وقال عوف بن مالك الاشجعي كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أوثمانية أوسبعة فقال ألا تبايعون رسول الله قلنا أوليس قد بايعناك يارسول الله ثم قال ألاتبايعون رسول الله فبسطنا أيدينا فبايعناه فقال قائل منا قد بايعناك فعلى ماذا نبايعك قال أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وتصلوا الخمس وأن تسمعوا وتطيعوا وأسر كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيئا قال فلقد كان بعض أولئك النفر يسقط سوطه فلا يسأل أحدا أن يناوله اياه وقال عمر رضي الله عنه ان الطمع فقر وان اليأس غني وانه من ييأس عما في أيدي الناس استغني عنهم وقيل لبعض الحكماء ما الغني قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك وفي ذلك قيل

العيش ساعات تمر * وخطوب أيام تكر
اقنع بعيشك ترضه * واترك هواك تعيش حر
فلرب حتف ساقه * ذهب وياقوت ودر

وكان محمد بن واسع يبل الخبز اليابس بالماء ويأكله ويقول من قنع

بهذا لم يحتج الى أحد وقال سفيان خير دنياكم مالم تبتلوا به وخير ماابتليتم به ماخرج من أيديكم وقال ابن مسعود مامن يوم الا وملك ينادي يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال سميط ابن عجلان انما بطنك يا ابن آدم شبر في شبر فلم يدخلك النار وقيل لحكيم ما مالك قال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في أيدى الناس ويروى أن الله عز وجل قال يا ابن آدم لو كانت الدنيا لك كلها لم يكن لك منها الا القوت واذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأنا اليك محسن وقال ابن مسعود اذا طلب أحدكم الحاجة فليطلبها طلبا يسيرا ولا يأتي الرجل فيقول انك وانك فيقطع ظهره فانما يأتيه ماقسم له من الرزق أو مارزق (وكتب بعض بني أمية) الى أبي حازم يعزم عليه الا رفع اليه حوائجه فكتب اليه قد رفعت حوائجي الى مولاي فما أعطاني منها قبلت وما أمسك عني قنعت وقيل لبعض الحكماء أى شئ أسر للعاقل وأيما شئ أعون على دفع الحزن فقال أسرها اليه ماقدم من صالح العمل وأعونها له على دفع الحزن الرضا بمحتوم القضاء وقال بعض الحكماء وجدت أطول الناس غما الحسود وأهنأهم عيشا القنوع وأصبرهم على الاذى الحريص اذا طمع وأخفضهم عيشا أرفضهم للدنيا وأعظمهم ندامة العالم المفرط وفي ذلك قيل

أرفه ببال فتى أمسى على ثقة * أن الذي قسم الارزاق يرزقه

فالعرض منه مصون لايدنسه * والوجه منه جديد ليس يخلقه

ان القناعة من يحلل بساحتها * لم يلق في دهره شيئاً يؤرقه

(وقد قيل أيضاً)

حتى متى أنافي حل وترحال * وطول سعي وادبار واقبال

ونازح الدار لا أنفك مغتربا * عن الاحبة لايدرون ماحالى

بمشرق الارض طورا ثم مغربها * لايخطر الموت من حرصي على بالى

ولو قنعت أتاني الرزق في دعة * ان القنوع الغني لا كثرة المال

وقال عمر رضي الله عنه ألا أخبركم بما استحل من مال الله تعالى حلتان لشتائي وقيظي وما يسعني من الظهر لحجي وعمرتي وقوتي بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بأرفعهم ولا بأوضعهم فوالله ماأدري أيحل ذلك أم لا كأنه شك في أن هذا القدر هل هو زيادة على الكفاية التي تجب القناعة بها وعاتب أعرابي أخاه على الحرص فقال ياأخي أنت طالب ومطلوب يطلبك من لاتفوته وتطلب أنت ماقد كفيته وكان ماغاب عنك قد كشف لك وما أنت فيه قد نقلت عنه كأنك ياأخي لم تر حريصا محروما وزاهدا مرزوقا وفي ذلك قيل

أراك يزيدك الاثراء حرصا * على الدنيا كأنك لاتموت

فهل لك غاية ان صرت يوما * اليها قلت حسبي قد رضيت

وقال الشعبي حكي أن رجلا صاد قنبرة فقالت ماتريد أن تصنع بي قال أذبحك وآكلك قالت والله ماأشفي من قرم ولا أشبع من جوع ولكن أعلمك ثلاث خصال هن خير لك من أكلي أما واحدة فأعلمك وأنا في يدك وأما الثانية فاذا صرت على الشجرة وأما الثالثة فاذا صرت على

الجبل قال هات الاولى قالت لاتلهفن على مافاتك فخلاها فلما صارت على الشجرة قال هات الثانيـة قالت لاتصدقن بما لايكون أنه يكون ثم طارت فصارت على الجبل تقول ياشقي لو ذبحتني لاخرجت من حوصلتي درتين زنة كل درة عشرون مثقالا قال فعض على شفته وتلهف وقال هات الثالثة قالت أنت قد نسيت اثنتين فكيف أخبرك بالثالثة ألم أقل لك لاتلهفن على مافاتك ولا تصدقن بما لا يكون أنا لحمي ودمي وريشي لايكون عشرين مثقالا فكيف يكون فى حوصلتي درتان كل واحـدة عشرون مثقالا ثم طارت فذهبت وهذا مثال لفرط طمع الآدمي فانه يعميه عن درك الحق حتى يقدر مالا يكون أنه يكون وقال ابن السماك ان الرجاء حبل في قلبك وقيد فى رجلك فاخرج الرجاء من قلبك يخرج القيد من رجلك وقال أبو محمد اليزيدي دخلت على الرشيد فوجدته ينظر في ورقة مكتوب فيها بالذهب فلما رآني تبسم فقلت فائدة أصلح الله أمير المؤمنين قال نعم وجدت هذين البيتين في بعض خزائن بني أمية فاستحسنتهما وقد أضفت اليهما ثالثا وأنشدني

اذا سد باب عنك من دون حاجة * فدعه لاخرى ينفتح لك بابها

فان قراب البطن يكفيك ملؤه * ويكفيك سوآت الامور اجتنابها

ولا تك مبذالاعرضك واجتنب * ركوب المعاصي يجتنبك عقابها

وقال عبد الله بن سلام لكعب مايذهب العلوم من قلوب العلماء بعـد اذ وعوها وعقلوها قال الطمع وشره النفس وطلب الحوائج وقال رجل للفضيل فسر لى قول كعب قال يطمع الرجل في الشيء يطلبه فيذهب عليه

دينه وأما الشره فشره النفس في هذا وفي هذا حتى لا تحب أن يفوتها شئ ويكون لك الى هذا حاجة ولي هذا حاجة فاذا قضاها لك خزم أنفك وقادك حيث شاء واستمكن منك وخضعت له فمن أحبك الدنيا سلمت عليه اذا مررت به وعدته اذا مرض لم تسلم عليه لله عز وجل ولم تعده لله فلو لم يكن لك اليه حاجة كان خيرا لك

﴿الباب الرابع والثلاثون في فضل الفقراء﴾

قال صلى الله عليه وسلم خير هذه الامة فقراءها وأسرعها تضجعا في الجنة ضعفاؤها وقال صلى الله عليه وسلم ان لي حرفتين اثنتين فمن أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني الفقر والجهاد وروي أن جبريل عليه السلام نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول أتحب أن أجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك أينما كنت فأطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له فقال له جبريل يا محمد ثبتك الله بالقول الثابت وروى أن المسيح صلى الله عليه وسلم مر في سياحته برجل نائم ملتف في عباءة فأيقظه وقال يا نائم قم فاذكر الله تعالى فقال ما تريد مني اني قد تركت الدنيا لاهلها فقال له نم اذا يا حبيبي ومر موسى صلى الله عليه وسلم برجل نائم على التراب وتحت رأسه لبنة ووجهه ولحيته في التراب وهو متزر بعباءة فقال يارب عبدك هذا في الدنيا ضائع فأوحى الله تعالى اليه يا موسى أما علمت أني اذا نظرت الى عبد بوجهي كله زويت عنه الدنيا كلها

وعن أبي رافع أنه قال ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عنده مايصلحه فأرسلني الى رجل من يهود خيبر وقال قل له يقول لك محمد أسلفني أو بعني دقيقا الى هلال رجب قال فأتيته فقال لا والله الا برهن فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال أما والله اني لامين في أهل السماء أمين في أهل الارض ولو باعني أو أسلفني لاديت اليه اذهب بدرعي هذا اليه فارهنه فلما خرجت نزلت هذه الآية ولا تمدن عينيك الى مامتعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا الآية وهذه الآية تعزية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم الفقر أزين بالمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس وقال صلى الله عليه وسلم من أصبح منكم معافى في جسمه آمنا في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها وقال كعب الاحبار قال الله تعالى لموسى عليه السلام ياموسى اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وقال عطاء الخراساني مر نبي من الانبياء بساحل فاذا هو برجل يصطاد حيتانا فقال باسم الله وألقى الشبكة فلم يخرج فيها شيء ثم مر بآخر فقال باسم الشيطان وألقى شبكته فخرج فيها من الحيتان ماكان يتقاعس من كثرتها فقال النبي صلى الله عليه وسلم يارب ماهذا وقد علمت ان كل ذلك بيدك فقال الله تعالى للملائكة اكشفوا لعبدي عن منزلتيهما فلما رأى ماأعد الله تعالى لهذا من الكرامة ولذاك من الهوان قال رضيت يارب وقال نبينا صلى الله عليه وسلم اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها الاغنياء

والنساء وفي لفظ آخر فقالت أين الاغنياء فقيل حبسهم الجد وفي حديث آخر فرأيت أكثر أهل النار النساء فقلت ما شأنهن فقيل شغلهن الاحمران الذهب والزعفران وقال صلى الله عليه وسلم تحفة المؤمن في الدنيا الفقر وفي الخبر آخر الانبياء دخولا الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لمكان ملكه وآخر أصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لاجل غناه وفي حديث آخر رأيته دخل الجنة زحفا وقال المسيح صلى الله عليه وسلم بشدة يدخل الغني الجنة وفي خبر آخر عن أهل البيت رضي الله عنهم أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا أحب الله عبدا ابتلاه فاذا أحبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له أهلا ولا مالا وفي الخبر اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رأيت الغني مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته وقال موسى عليه السلام يارب من أحباؤك من خلقك حتى أحبهم لاجلك فقال كل فقير فقير فيمكن أن يكون الثاني للتوكيد ويمكن أن يراد به الشديد الضر وقال المسيح صلوات الله عليه وسلامه اني لاحب المسكنة وأبغض النعماء وكان أحب الاسامي اليه صلوات الله عليه أن يقال له يامسكين ولما قالت سادات العرب وأغنياؤهم للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل لنا يوما ولهم يوما يجيؤن اليك ولانجيء ونجيء اليك ولايجيؤن يعنون بذلك الفقراء مثل بلال وسلمان وصهيب وأبي ذر وخباب بن الارت وعمار بن ياسر وأبي هريرة وأصحاب الصفة من الفقراء رضي الله عنهم أجمعين أجابهم النبي صلى الله عليه وسلم الى ذلك وذلك لانهم شكوا اليه التأذي

برائحتهم وكان لباس القوم الصوف فى شدة الحر فاذا عرقوا فاحت الروائح من ثيابهم فاشتد ذلك على الاغنياء منهم الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وعباس بن مرداس السلمي وغيرهم فاجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لايجمعهم واياهم مجلس واحد فنزل عليه قوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولاتعد عيناك عنهم يعني الفقراء تريد زينة الحياة الدنيا يعني الاغنياء ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا يعني الاغنياء وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر الآية واستأذن ابن أم مكتوم على النبي صلي الله عليه وسلم وعنده رجل من أشراف قريش فشق ذلك على النبي صلي الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى عبس وتولى أن جاءه الاعمى ومايدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى يعني ابن أم مكتوم أمامن استغنى فأنت له تصدي يعنى هـذا الشريف وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يؤتى بالعبد يوم القيامة فيعتذر الله تعالى اليه كما يعتذر الرجل للرجل في الدنيا فيقول وعزتي وجلالي ماز ويت الدنيا عنك لهوانك علي ولكن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة اخرج ياعبدي الي هذه الصفوف فمن أطعمك فيّ أو كساك فيّ يريد بذلك وجهي فخذ بيده فهو لك والناس يومئذ قد ألجمهم العرق فيتخلل الصفوف وينظر من فعل ذلك به فيأخذ بيده ويدخله الجنة وقال عليه السلام أكثروا معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الايادى فان لهم دولة قالوا يارسول الله ومادولتهم قال اذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا من

أطعمكم كسرة أو سقا كم شربة أو كسا كم ثوبا فخذوا بيده ثم امضوا به الى الجنة وقال صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فسمعت حركة أمامي فنظرت فاذا بلال ونظرت في أعلاها فاذا فقراء أمتي وأولادهم ونظرت في أسفلها فاذا فيه من الاغنياء والنساء قليل فقلت يارب ماشأنهم قال أما النساء فاضربهن الاحمران الذهب والحرير وأما الاغنياء فاشتغلوا بطول الحساب وتفقدت أصحابي فلم أر عبد الرحمن بن عوف ثم جاءني بعد ذلك وهو يبكي فقلت ماخلفك عني قال يارسول الله والله ماوصلت اليك حتى لقيت المشيبات وظننت اني لا أراك فقلت ولم قال كنت أحاسب بمالي فانظر الى هذا وعبد الرحمن صاحب السابقة العظيمة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من العشرة المخصوصين بأنهم من أهل الجنة وهو من الاغنياء الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الامن قال بالمال هكذا وهكذا ومع هذ فقد استضر بالغنى الى هذا الحد ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم علي رجل فقير فلم يرله شيأ فقال لو قسم نور هذا على أهل الارض لوسعهم وقال صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بملوك أهل الجنة قالوا بلى يارسول الله قال كل ضعيف مستضعف أغبر أشعث ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم علي الله لابره وقال عمران بن حصين كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاه فقال ياعمران ان لك عندنا منزلة وجاها فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم بأبي أنت وأمي يارسول الله فقام وقمت معه حتى وقف بباب فاطمة فقرع الباب وقال السلام عليكم أأدخل فقالت

ادخل يارسول الله قال أنا ومن معي قالت ومن معك يارسول الله قال عمران فقالت فاطمة والذي بعثك بالحق نبيا ماعلى الاعباءة قال اصنعي بها هكذا وهكذا وأشار بيده فقالت هذا جسدي قد واريته فكيف برأسي فألقى اليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال شدي بها على رأسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليكم يا ابنتاه كيف أصبحت قالت أصبحت والله وجعة وزادني وجعا على ما بي أني لست أقدر على طعام آكله فقد أضر بي الجوع فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تجزعي يا ابنتاه فوالله ماذقت طعاما منذ ثلاث واني لاكرم على الله منك ولو سألت ربي لاطعمني ولكن آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها ابشري فوالله انك لسيدة نساء أهل الجنة قالت فأين آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران قال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك انكن في بيوت من قصب لاأذى فيها ولا صخب ولا نصب ثم قال لها اقنعي بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا في الدنيا سيدا في الآخرة وروي عن علي كرم الله وجهه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أبغض الناس فقراءهم وأظهروا عمارة الدنيا وتكالبوا على جمع الدراهم رماهم الله بأربع خصال بالقحط من الزمان والجور من السلطان والخيانة من ولاة الاحكام والشوكة من الاعداء وقال أبو الدرداء رضي الله عنه ذو الدرهمين أشد حبسا أو قال أشد حسابا من ذي الدرهم وأرسل عمر رضي الله عنه الى سعيد بن عامر بألف دينار فجاء حزينا كئيبا فقالت امرأته أحدث أمر

قال أشد من ذلك ثم قال أريني درعك الخلق فشقه وجعله صررا وفرقه ثم قام يصلي ويبكي الى الغداة ثم قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول يدخل فقراء أمتي الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام حتي ان الرجل من الاغنياء يدخل في غمارهم ٣ فيؤخذ بيده فيستخرج وقال أبو هريرة ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل يريد أن يغسل ثوبه فلم يكن له خلق يلبسه ورجل لم ينصب علي مستوقد قدرين ورجل دعا بشرابه فلا يقال له أيها تريد (وقيل) جاء فقير الي مجلس الثوري رحمه الله فقال له تخط لو كنت غنيا لما قربتك وكان الاغنياء من أصحابه يودون أنهم فقراء لكثرة تقريبه للفقراء واعراضه عن الاغنياء وقال المؤمل مارأيت الغني أذل منه في مجلس الثوري ولا رأيت الفقير أعز منه في مجلس الثوري رحمه الله وقال بعض الحكماء مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعا ولو رغب في الجنة كما يرغب في الغني لفاز بهما جميعا ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسعد في الدارين جميعا وقال ابن عباس ملعون من أكرم بالغني وأهان بالفقر وقال لقمان عليه السلام لابنه لاتحقرن أحدا لخلقان ثيابه فان ربك وربه واحد وقال يحيي بن معاذ حبك للفقراء من أخلاق المرسلين وايثارك مجالستهم من علامة الصالحين وفرارك من صحبتهم من علامة المنافقين وفي الاخبار عن الكتب السالفة ان الله تعالي أوحي الي بعض أنبيائه عليهم السلام احذر أن أمقتك فتسقط

٣ قوله في غمارهم بضم الغين المعجمة وفتحها أي في زحمتهم وجماعتهم الكثيرة كما في القاموس اه مصححه

من عيني فأصب عليك الدنيا صبا ولقد كانت عائشة رضى الله تعالى عنها تفرق مائة ألف درهم في يوم واحد يوجهها اليها معاوية وابن عامر وغيرهما وان درعها لمرقوع وتقول لها الجارية لو اشتريت لك بدرهم لحما تفطرين عليه وكانت صائمة فقالت لو ذكرتيني لفعلت وكان قد أوصاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان أردت اللحوق بي فعليك بعيش الفقراء واياك ومجالسة الاغنياء ولا تنزعي درعك حتى ترقعيه وجاء رجل الى ابراهيم بن أدهم بعشرة آلاف درهم فأبي عليه أن يقبلها فالح عليه الرجل فقال له ابراهيم أتريد أن أمحو اسمى من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم لا أفعل ذلك أبدا رضي الله عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبي لمن هدي الى الاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال صلى الله عليه وسلم يامعشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا فالاول القانع وهذا الراضي ويكاد يشعر هذا بمفهومه أن الحريص لاثواب له على فقره ولكن العمومات الواردة في فضل الفقر تدل على أن له ثوابا كما سيأتي تحقيقه فلعل المراد بعدم الرضا هو الكراهة لفعل الله في حبس الدنيا عنه ورب راغب في المال لايخطر بقلبه انكار على الله تعالى ولا كراهة في فعله فتلك الكراهة هي التي تحبط ثواب الفقر وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان لكل شيء مفتاحا ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء لصبرهم هم جلساء الله تعالى يوم القيامة وروى عن على كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أحب العباد الى الله تعالى الفقير القانع برزقه الراضي عن الله تعالى وقال صلى الله

عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا وقال مامن أحد غنى ولا فقير الا ود يوم القيامة انه كان أوتى قوتا في لدنيا وأوحى الله تعالى الى اسمعيل عليه السلام اطلبني عند المنكسرة قلوبهم قال ومن هم قال الفقراء الصادقون وقال صلى الله عليه وسلم لاأحد أفضل من الفقير اذا كان راضيا وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يوم القيامة أين صفوتي من خلقي فتقول الملائكة ومن هم ياربنا فيقول فقراء المسلمين القانعون اعطائي الراضون بقدري أدخلوهم الجنة فيدخلونها ويأكلون ويشربون والناس في الحساب يترددون فهذا في القانع والراضي وأما الزاهد فسنذكر فضله ان شاء الله تعالى وأما الآثار في الرضا والقناعة فكثيرة ولا يخفى أن القناعة يضادها الطمع وقد قال عمر رضي الله عنه ان الطمع فقر واليأس غني وانه من يئس عما في أيدي الناس وقنع استغنى عنهم وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه مامن يوم الا وملك ينادي من تحت العرش يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه مامن أحد والا وفي عقله نقص وذلك أنه اذا أتته الدنيا بالزيادة ظل فرحا مسرورا والليل والنهار دائبان في هدم عمره ثم لايحزنه ذلك ويح ابن آدم ماينفع مال يزيد وعمر ينقص وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك وقيل كان ابراهيم بن أدهم من أهل النعم بخراسان فبينما هو يشرف من قصر له ذات يوم اذ نظر الى رجل في فناء القصر وفي يده رغيف يأكله فلما أكل نام فقال لبعض غلمانه اذا قام فجئني به فلما قام جاء به اليه فقال ابراهيم

أيها الرجــل أكلت الرغيف وأنت جائع قال نعم قال فشبعت قال نعم قال ثم نمت طيبا قال نعم فقال ابراهيم فى نفسه فما أصنع أنا بالدنيا والنفس تقنع بهذا القدر ومر رجل بعامر بن عبدالقيس وهو يأكل ملحا وبقلا فقال له ياعبد الله أرضيت من الدنيا بهذا فقال ألا أدلك على من رضى بشر من هذا قال بلى قال من رضى بالدنيا عوضا عن الآخرة وكان محمد ابن واسع رحمة الله عليه يخرج خبزا يابسا فيبله بالماء ويأكله بالملح ويقول من رضى من الدنيا بهذا لم يحتج الى أحد وقال الحسن رحمه الله لعن الله أقواما أقسم لهم الله تعالي ثم لم يصدقوه ثم قرأ وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق الآية وكان أبوذر رضى الله عنه يوما جالسا في الناس فأتته امرأته فقالت له أتجلس بين هؤلاء والله مافي البيت هفة ولا سفة فقال ياهذه ان بين أيدينا عقبة كؤودا لا ينجو منها الا كل مخف فرجعت وهى راضية وقال ذو النون رحمه الله أقرب الناس الى الكفر ذو فاقة لاصبر له وقيــل لبعض الحكماء مامالك فقال التجمل فى الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما فى أيدي الناس ويروى أن الله عز وجل قال في بعض الكتب السالفة المنزلة يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا محسن اليــك وقد قيل في القناعة

اضرع الي الله لاتضرع الي الناس * واقنع بيأس فان العز في اليأس
واستغن عن ذى قربي وذى رحم * ان الغني من استغني عن الناس

وقد قيل فى هذا المعنى أيضا

ياجامعا مانعا والدهر يرمقه * مقدرا أي باب منه يغلقه
مفكرا كيف تأتيه منيته * أغاديا أم بها يسري فتطرقه
جمعت مالا فقل لى هل جمعت له * ياجامع المال أياما تفرقه
المال عندك مخزون لوارثه * ما المال مالك الا يوم تنفقه
أرفه ببال فتى يغدو على ثقة * أن الذى قسم الارزاق يرزقه
فالعرض منه مصون مايدنسه * والوجه منه جديد ليس يخلقه
ان القناعة من يحلل بساحتها * لم يلق في ظلها هما يؤرقه

﴿ الباب الخامس والثلاثون في اتخاذ ولى من دون الله سبحانه وتعالي وفى بيان الرخصات ﴾

قال الله تعالي ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار الآية قال بعض المفسرين أجمع أهل اللغة على أن الركون مطلق الميل والسكون يسيرا أو كثيرا وقال عبد الرحمن بن زيد الركون هنا الادهان وذلك أن لا ينكر عليهم كفرهم وعن عكرمة لا تصطنعوهم والظاهر من الآية عموم النهي عن الركون الي المشركين وفسقة المسلمين وقال النيسابورى في تفسيره قال المحققون الركون المنهي عنه هو الرضا بما عليه الظلمة أو تزيين طريقتهم وتحسينها عند غيرهم ومشاركتهم في شئ من أبواب المظالم فاما مداخلتهم لدفع شئ من الضرر واجتلاب منفعة عاجلة فغير داخلة فى الركون قال وأقول هذا من طريق المعاش والرخصة ومقتضى التقوى هو الاجتناب عنهم بالكلية أليس الله بكاف عبده * قلت ولقد صدق

لحسم مادة الركون اليهم أولى سيما فى هذه الازمان التى لا يمكن فيها انكار المنكر والامر بالمعروف مع مافي الركون اليهم من الضرر والغرور واذا كان حال الميل في الجملة الى من وجد منه ظلم مافي الافضاء الى مساس النار هكذا فما ظنك بمن يميل الى الراسخين في الظلم والعدوان ميلا عظيما ويتهالك على صحبتهم ومنادمتهم ويلقى شراشره على مؤانستهم ومعاشرتهم ويبتهج بالتزين بزيهم ويمد عينيه الى زهرتهم الفانية ويغبطهم بما أتوا من القطوف الدانية وهو في الحقيقة من الحبة طفيف ومن جناح البعوضة خفيف بمعزل عن أن تميل اليه القلوب ضعف الطالب والمطلوب قال صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل وروى مثل الجليس الصالح مثل حامل المسك ان لم يعطك أصابك من ريحه ومثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير ان لم يحرقك أصابك من دخانه قال الله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا الآية وقال صلى الله عليه وسلم من عظم غنيا لغناه فقد ذهب ثلثا دينه وقال صلى الله عليه وسلم اذا مدح الفاسق غضب الرب واهتز لذلك العرش وقال الله تعالى يوم ندعوا كل أناس بامامهم يعني في عرصات القيامة وقد اختلف المفسرون في تعيين الامام الذي يدعى كل أناس به فقال ابن عباس وغيره انه كتاب كل انسان الذي فيه عمله أى يدعى كل انسان بكتاب عمله ويؤيد هذا قوله تعالى فأما من أوتي كتابه بيمينه الآية وقال ابن زيد الامام هو الكتاب المنزل فيقال يا أهل الانجيل يا أهل القرآن وقال مجاهد وقتادة امامهم

نبيهم فيقال هاتوا متبعي ابراهيم هاتوا متبعي موسى هاتوا متبعي عيسى هاتوا متبعي محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم وقال على بن أبي طالب رضى الله عنه المراد بالامام امام عصرهم فيدعي أهل كل عصر بامامهم الذى كانوا يأتمرون بأمره و ينتهون بنهيه وفي الحديث الصحيح عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والآخرين يوم القيامة رفع لكل غادر لواء فيقال هذه غدرة فلان بن فلان وروي الترمذى وغيره عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسير هذه الآية يدعي أحدهم فيعطى كتابه بيمينه و يمد له في جسمه ستين ذراعا و يبيض وجهه ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤ يتلألأ فينطلق الى أصحابه فيرونه من بعيد فيقولون اللهم ائتنا بهذا وبارك لنا في هذا حتى يأتيهم فيقول أبشروا لكل رجل منكم مثل هذا وأما الكافر فيسود وجهه ويمد له في جسمه ستين ذراعا على صورة آدم ويلبس تاجا فيراه أصحابه فيقولون نعوذ بالله من شر هذا اللهم لا تأتنا بهذا قال فيأتيهم فيقولون اللهم أخزه فيقول أبعدكم الله فان لكل رجل منكم مثل هذا وقال الله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها وأخرجت الارض أثقالها الى آخر السورة قال ابن عباس رضى الله عنهما أي تحركت من أسفلها وأخرجت ما في جوفها من الاموات والدفائن وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ تحدث أخبارها قال أتدرون ما أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال فان أخبارها أن تشهد على كل

عبد وأمة بكل عمل عمل علي ظهرها وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال تحفظوا من الارض فانها أمكم وانه ليس من أحد عامل عليها خيرا أو شرا الا وهي مخبرة أخرجه الطبراني

﴿ الباب السادس والثلاثون في النفخ والنزع والحشر من المقابر ﴾

قال رسول الله صلي الله عليه وسلم كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحني الجبهة وأصغي بالاذن ينتظر متى يؤمر فينفخ قال مقاتل الصور هو القرن وذلك أن اسرافيل عليه السلام واضع فاه على القرن كهيئة البوق ودائرة رأس القرن كعرض السموات والارض وهو شاخص ببصره نحو العرش ينتظر متي يؤمر فينفخ النفخة الاولى فاذا نفخ صعق من في السموات ومن في الارض أي مات كل حيوان من شدة النزع الا من شاء الله وهو جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ثم يأمر ملك الموت أن يقبض روح جبريل ثم روح ميكائيل ثم روح اسرافيل ثم يأمر ملك الموت فيموت ثم يلبث الخلق بعد النفخة الاولي في البرزخ أربعين سنة ثم يحيي الله اسرافيل فيأمره أن ينفخ الثانية فذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه أخري فاذاهم قيام ينظرون على أرجلهم ينظرون الي البعث وقال صلي الله عليه وسلم حين بعث أتي صاحب الصور فأهوي به الى فيه وقدم رجلا وأخر أخري ينتظر متي يؤمر بالنفخ ألا فاتقوا النفخة فتفكر في الخلائق وذلهم وانكسارهم واستكانتهم عند الانبعاث خوفا من هذه الصعقة وانتظارا لما يقضي عليهم من سعادة أو شقاوة وأنت فيما بينهم منكسر كانكسارهم متحير كتحيرهم

بل ان كنت فى الدنيا من المترفهين والاغنياء المتنعمين فملوك الارض في ذلك اليوم أذل أهل أرض الجمع وأصغرهم وأحقرهم يوطؤن بالاقدام مثل الذر وعند ذلك تقبل الوحوش من البرارى والجبال منكسة رؤسها مختلطة بالخلائق بعد توحشها ذليلة ليوم النشور من غير خطيئة تدنست بها ولكن حشرتهم شدة الصعقة وهول النفخة وشغلهم ذلك عن الهرب من الخلق والتوحش منهم وذلك قوله تعالى واذا الوحوش حشرت ثم أقبلت الشياطين والمردة بعد تمردها وعتوها وأذعنت خاشعة من هيبة العرض على الله تعالى تصديقا لقوله تعالى فو ربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا فتفكر فى حالك وحال قلبك هنالك * ثم انظر كيف يساقون بعد البعث والنشور حفاة عراة غرلا الى أرض المحشر أرض بيضاء قاع صفصف لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ولا ترى عليها ربوة يختفى الانسان وراءها ولا وهدة ينخفض عن الاعين فيها بل هو صعيد واحد بسيط لا تفاوت فيه يساقون اليه زمرا فسبحان من جمع الخلائق على اختلاف أصنافهم من أقطار الارض اذ ساقهم بالراجفة تتبعها الرادفة والراجفة هي النفخة الاولى والرادفة هي الثانية وحقيق لتلك القلوب أن تكون يومئذ واجفة ولتلك الابصار أن تكون خاشعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص النقي ليس فيها معلم لاحد قال الراوي والعفرة بياض ليس بالناصع والنقي هو النقي عن القشر والنخالة ومعلم أي لا بناء يستر ولا تفاوت يرد البصر ولا تظنن

أن تلك الارض مثل أرض الدنيا بل لا تساويها الا في الاسم قال تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات قال ابن عباس يزاد فيها وينقص وتذهب أشجارها وجبالها وأوديتها وما فيها وتمد مد الاديم العكاظي أرض بيضاء مثل الفضة لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة والسموات تذهب شمسها وقمرها ونجومها فانظر يامسكين في هول ذلك اليوم وشدته فانه اذا اجتمع الخلائق على هذا الصعيد تناثرت من فوقهم نجوم السماء وطمس الشمس والقمر وأظلمت الارض لخمود سراجها فبينماهم كذلك اذ دارت السماء من فوق رؤسهم وانشقت مع غلظها وشدتها خمسمائة عام والملائكة قيام على حافتها وأرجائها فياهول صوت انشقاقها في سمعك ويا هيبة ليوم تنشق فيه السماء مع صلابتها وشدتها ثم تنهار وتسيل كالفضة المذابة تخالطها صفرة فصارت وردة كالدهان وصارت السماء كالمهل وصارت الجبال كالعهن وانتشر الناس كالفراش المبثوث وهم حفاة عراة مشاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الاذن قالت سودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم رواية الحديث قلت يارسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا الى بعض فقال شغل الناس عن ذلك بهم لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه فأعظم بيوم تنكشف فيه العورات ويؤمن فيه مع ذلك النظر والالتفات كيف وبعضهم يمشون على بطونهم ووجوههم فلا قدرة لهم على الالتفات الى غيرهم قال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس

يوم القيامة ثلاثة أصناف ركبانا ومشاة وعلى وجوههم فقال رجل يارسول الله وكيف يمشون على وجوههم قال الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم * في طبع الآدمي انكار كل مالم يأنس به ولولم يشاهد الانسان الحية وهي تمشي على بطنها كالبرق الخاطف لانكر تصور المشي على غير رجل والمشي بالرجل أيضا مستبعد عند من لم يشاهد ذلك فإياك أن تنكر شيأ من عجائب يوم القيامة لمخالفته قياس مافي الدنيا فانك لولم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت أشد انكارا لها فاحضر في قلبك صور تك وأنت واقف عاريا مكشوفا ذليلا مدحورا متحيرا مبهوتا منتظرا لما يجري عليك من القضاء بالسعادة أو بالشقاء وأعظم هذه الحال فانها عظيمة * ثم تفكر في ازدحام الخلائق واجتماعهم حتى ازدحم على الموقف أهل السموات السبع والارضين السبع من ملك وجن وانس وشيطان ووحش وسبع وطير فأشرقت عليهم الشمس وقد تضاعف حرها وتبدلت عما كانت عليه من خفة أمرها ثم أدنيت من رؤس العالمين كقاب قوسين فلم يبق على الارض ظل الا ظل عرش رب العالمين ولم يمكن من الاستظلال به الا المقربون فمن بين مستظل بالعرش وبين مضحي لحر الشمس قد صهرته بحرها واشتد كربه وغمه من وهجها ثم تدافعت الخلائق ودفع بعضهم بعضا لشدة الزحام واختلاف الاقدام وانضاف اليه شدة الخجلة والحياء من الافتضاح والاختزاء عند العرض على جبار السماء فاجتمع وهج الشمس وحر الانفاس واحتراق القلوب بنار الحياء والخوف ففاض

العرق من أصل كل شعرة حتى سال على صعيد القيامة ثم ارتفع على أبدانهم على قدر منازلهم عند الله فبعضهم بلغ العرق ركبتيه وبعضهم حقويه وبعضهم الي شحمة أذنيه وبعضهم كاد يغيب فيه قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم يقوم الناس لرب العالمين حتي يغيب أحدهم في رشحه الى أنصاف أذنيه وقال أبوهريرة قال رسول الله صلي الله عليه وسلم يعرق الناس يوم القيامة حتي يذهب عرقهم في الارض سبعين باعا ويلجمهم ويبلغ آذانهم كذا رواه البخاري ومسلم في الصحيح وفي حديث آخر قياما شاخصة أبصارهم أربعين سنة الى السماء فيلجمهم العرق من شدة الكرب وقال عقبة ابن عامر قال رسول الله صلي الله عليه وسلم تدنو الشمس من الارض يوم القيامة فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ عرقه عقبه ومنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ ركبته ومنهم من يبلغ فخذه ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ فاه وأشار بيده فألجمها فاه ومنهم من يغطيه العرق وضرب بيده على رأسه هكذا فتأمل يامسكين في عرق أهل المحشر وشدة كربهم وفيهم من ينادي فيقول رب أرحني من هذا الكرب والانتظار ولو الى النار وكل ذلك ولم يلقوا بعد حسابا ولا عقابا فانك واحد منهم ولا تدري الي أين يبلغ بك العرق واعلم أن كل عرق لم يخرجه التعب في سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد في قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة في أمر بمعروف ونهي عن منكر فسيخرجه الحياء والخوف في صعيد القيامة ويطول فيه الكرب ولو سلم ابن آدم من الجهل والغرور لعلم أن تعب العرق في تحمل مصاعب

الطاعات أهون أمرا وأقصر زمانا من عرق الكرب والانتظار في القيامة فانه يوم عظيمة شدته طويلة مدته

﴿ الباب السابع والثلاثون في بيان القضاء بين الخلائق ﴾

قال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون من المفلس قلنا المفلس فينا يارسول الله من لا درهم له ولا دينار ولا متاع قال المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته وان فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار فانظر الى مصيبتك في مثل هذا اليوم اذ ليس يسلم لك حسنة من آفات الرياء ومكايد الشيطان فان سلمت حسنة واحدة فى كل مدة طويلة ابتدرها خصماؤك وأخذوها ولعلك لو حاسبت نفسك وأنت مواظب على صيام النهار وقيام الليل لعلمت انه لاينقضي عنك يوم الا ويجري على لسانك من غيبة المسلمين مايستوفي جميع حسناتك فكيف ببقية السيئات من أكل الحرام والشبهات والتقصير في الطاعات وكيف ترجو الخلاص من المظالم فى يوم يقتص فيه للجماء من القرناء فقد روى أبوذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى شاتين ينتطحان فقال ياأبا ذر أتدرى فيم ينتطحان قلت لاقال ولكن الله يدري وسيقضى بينهما يوم القيامة وقال أبو هريرة في قوله عزوجل وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم انه يحشر الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب

والطير وكل شيء فيبلغ من عدل الله تعالى أن يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا فذلك حين يقول الكافر ياليتني كنت ترابا فكيف أنت يامسكين في يوم ترى صحيفتك خالية عن حسنات طال فيها تعبك فتقول أين حسناتي فيقال نقلت الى صحيفة خصمائك وتري صحيفتك مشحونة بسيئات طال في الصبر عنها نصبك واشتد بسبب الكف عنها عناؤك فتقول يارب هذه سيئات ماقارفتها قط فيقال هذه سيئات القوم الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم في المبايعة والمجاورة والمخاطبة والمناظرة والمذاكرة والمدارسة وسائر أصناف المعاملة قال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قد يئس أن تعبد الاصنام بأرض العرب ولكن سيرضى منكم بما هو دون ذلك بالمحقرات وهى الموبقات فاتقوا الظلم مااستطعتم فان العبد ليجيء يوم القيامة بأمثال الجبال من الطاعات فيرى انهن سينجينه فمايزال عبد يجيء فيقول رب ان فلانا ظلمنى بمظلمة فيقول امح من حسناته فمايزال كذلك حتى لايبقى له من حسناته شيء وان مثل ذلك مثل سفر نزلوا بفلاة من الارض ليس معهم حطب فتفرق القوم فحطبوا فلم يلبثوا أن أعظموا نارهم وصنعوا ماأرادوا وكذلك الذنوب ولما نزل قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير يارسول الله أيكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب قال نعم ليكررن عليكم حتى تؤدوا الى كل ذى حق حقه قال الزبير والله ان الامر لشديد فأعظم بشدة يوم لايسامح فيه بخطوة ولايتجاوز فيه عن لطمة ولا

عن كلة حتى ينتقم للمظلوم من الظالم قال أنس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله العباد عراة غبرا بهما قال قلنا مابهما قال ليس معهم شيء ثم يناديهم ربهم تعالى بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الديان لاينبغي لاحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولا أحد من أهل النار عليه مظلمة حتى أقتصه منه ولالاحد من أهل النار أن يدخل النار ولاحد من أهل الجنة عنده مظلمة حتى أقتصه منه حتى اللطمة قلنا وكيف وانما نأتي الله عز وجل عراة غبرا بهما فقال بالحسنات والسيئات فاتقوا الله عباد الله ومظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرض لاعراضهم وتضييق قلوبهم واساءة الخلق في معاشرتهم فان مابين العبد وبين الله خاصة فالمغفرة اليه أسرع ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال أرباب المظالم فليكثر من حسناته ليوم القصاص وليسر ببعض الحسنات بينه وبين الله بكمال الاخلاص بحيث لايطلع عليه الا الله فعساه يقربه ذلك الى الله تعالى فينال بلطفه الذي ادخره لاحبابه المؤمنين في دفع مظالم العباد عنهم كما روى عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اذ رأيناه يضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر مايضحكك يارسول الله بأبي أنت وأمي قال رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة فقال أحدهما يارب خذلي مظلمتي من أخي فقال الله تعالى أعط أخاك مظلمته فقال يارب لم يبق من حسناتي شيء فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع ولم يبق من حسناته شيء قال يارب يتحمل عني من أوزاري قال

وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم قال ان ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس الى أن يحمل عنهم من أوزاهم قال فقال الله للطالب ارفع رأسك وانظر في الجنان فرفع رأسه فقال يارب أرى مدائن من فضة مرتفعة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لاى نبي هذا أولاى صديق هذا أولاي شهيد هذا قال لمن أعطانى الثمن قال يارب ومن يملك ثمنه قال أنت تملكه قال وماهو قال عفوك عن أخيك قال يارب انى قد عفوت عنه قال الله تعالى خذ بيد أخيك فأدخله الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فان الله يصلح بين المؤمنين وهذا تنبيه على أن ذلك انما ينال بالتخلق بأخلاق الله وهو اصلاح ذات البين وسائر الاخلاق فتفكر الآن في نفسك ان خلت صحيفتك عن المظالم أو تلطف لك حتى عفا عنك وأيقنت بسعادة الابد كيف يكون سرورك في منصرفك من مفصل القضاء وقد خلع عليك خلعة الرضاء وعدت بسعادة ليس بعدها شقاء وبنعيم لايدور بحواشيه الفناء وعند ذلك طار قلبك سرورا وفرحا وابيض وجهك واستنار وأشرق كما يشرق القمر ليلة البدر فتوهم تبخترك بين الخلائق رافعا رأسك خاليا عن الاوزار ظهرك ونضرة نسيم النعيم وبرد الرضا يتلألأ من جبينك وخلق الاولين والآخرين ينظرون اليك والى حالك ويغبطونك في حسنك وجمالك والملائكة يمشون بين يديك ومن خلفك وينادون على رؤس الاشهاد هذا فلان ابن فلان رضى الله عنه وأرضاه وقد سعد سعادة لايشقى بعدها أبدا

أفترى ان هذا المنصب ليس بأعظم من المكانة التي تنالها في قلوب الخلق في الدنيا برياثك ومداهنتك وتصنعك وتزينك فان كنت تعلم انه خير منه بل لا نسبة له اليه فتوسل الى ادراك هذه الرتبة بالاخلاص الصافي والنية الصادقة في معاملتك مع الله فلن تدرك ذلك الابه وان تكن الاخرى والعياذ بالله بأن تخرج من صحيفتك جريمة كنت تحسبها هينة وهي عند الله عظيمة فمقتك لاجلها فقال عليك لعنتي ياعبد السوء لا أتقبل منك عبادتك فلا تسمع هذا النداء الا ويسود وجهك ثم تغضب الملائكة لغضب الله تعالى فيقولون وعليك لعنتنا ولعنة الخلائق أجمعين وعند ذلك تتسارع اليك الزبانية وقد غضبت لغضب خالقها فاقدمت عليك بفظاظتها وزعارتها (٣) وصورها المنكرة فأخذوا بناصيتك يسحبونك على وجهك على ملا الخلائق وهم ينظرون الى اسوداد وجهك والى ظهور خزيك وأنت تنادي بالويل والثبور وهم يقولون لك لاتدع اليوم ثبورا واحدا وادع ثبورا كثيرا وتنادي الملائكة ويقولون هذا فلان بن فلان كشف الله عن فضائحه وخاز به ولعنه بقبائح مساويه فشقي شقاوة لايسعد بعدها أبدا وربما يكون ذلك بذنب أذنبته خفية من عباد الله أو طلبا للمكانة في قلوبهم أو خوفا من الافتضاح عندهم فما أعظم جهلك اذ تحترز عن الافتضاح عند طائفة يسيرة من عباد الله في الدنيا المنقرضة ثم لا تخشى من الافتضاح العظيم في ذلك الملا العظيم مع التعرض لسخط الله وعقابه الاليم والسياق بأيدى الزبانية الى سواء

٣ قوله وزعارتها بالزاى المفتوحة أي شراستها اه

الجحيم لهذه أحوالك وأنت لم تشعر بالخطر

﴿ الباب الثامن والثلاثون في بيان ذم المال ﴾

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون وقال تعالى انما أموالكم واولادكم فتنة والله عنده اجر عظيم فمن اختار ماله وولده على ما عند الله فقد خسر وغبن خسرانا عظيما وقال عز وجل من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها الآية وقال ان الانسان ليطغى ان رآه استغني فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقال تعالى الهاكم التكاثر * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب المال والشرف ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وسلم ماذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم بأكثر افسادا فيها من حب الشرف والمال والجاه في دين الرجل المسلم وقال صلى الله عليه وسلم هلك المكثرون الا من قال به في عباد الله هكذا وهكذا وقليل ماهم وقيل يارسول الله أي أمتك شر قال الاغنياء وقال صلى الله عليه وسلم سيأتي بعدكم قوم يأكلون أطايب الدنيا وألوانها ويركبون فره الخيل وألوانها وينكحون أجمل النساء وألوانها ويلبسون أجمل الثياب وألوانها لهم بطون من القليل لاتشبع وأنفس بالكثير لاتقنع ما كفين على الدنيا يغدون ويروحون اليها اتخذوها آلهة من دون الههم وربا دون ربهم الى أمرها ينتهون ولهواهم يتبعون فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن أدركه ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم أن لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم

ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد أعان على هدم الاسلام وقال صلى الله عليه وسلم دعوا الدنيا لاهلها من أخذ من الدنيا فوق مايكفيه أخذ حتفه وهو لا يشعر وقال صلى الله عليه وسلم يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما أكلت فافنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت وقال رجل يارسول الله مالي لاأحب الموت فقال هل معك من مال قال نعم يارسول الله قال قدم مالك فان قلب المؤمن مع ماله ان قدمه أحب أن يلحقه وان خلفه أحب أن يتخلف معه وقال صلى الله عليه وسلم أخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه الى قبض روحه والثاني الى قبره والثالث الى محشره فالذى يتبعه الى قبض روحه فهو ماله والذي يتبعه الى قبره فهو أهله والذى يتبعه الي محشره فهو عمله وقال الحواريون لعيسى عليه السلام مالك تمشي على الماء ولا نقدر على ذلك فقال لهم مامنزلة الدينار والدرهم عندكم قالوا حسنة قال لكنهما والمدر عندي سواء وكتب سلمان الفارسى الى أبي الدرداء رضي الله عنهما ياأخي اياك أن تجمع من الدنيا مالا تؤدي شكره فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بصاحب الدنيا الذى أطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له امض فقد أديت حق الله في ثم يجاء بصاحب الدنيا الذى لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله ويلك ألا أديت حق الله في فما يزال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور وقال صلى الله عليه وسلم اذا مات العبد قالت الملائكة ماقدم وقال الناس

ماخاف وقال صلى الله عليه وسلم لاتتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا وروي أن رجلا نال من أبي الدرداء وأراه سوأ فقال اللهم من فعل بي سوأ فاصح جسمه وأطل عمره وأكثر ماله فانظر كيف رأى كثرة المال غاية البلاء مع صحة الجسم وطول العمر لانه لابد وأن يفضي الى الطغيان ووضع على كرم الله وجهه درهما على كفه ثم قال أما انك مالم تخرج عني لاتنفعني وروى أن عمر رضي الله عنه أرسل الى زينب بنت جحش بعطائها فقالت ماهذا قالوا أرسله اليك عمر بن الخطاب قالت غفر الله له ثم حلت سترا كان لها فقطعته وجعلته صررا وقسمته في أهل بيتها ورحمها وأيتامها ثم رفعت يديها وقالت اللهم لايدركني عطاء عمر بعد عامي هذا فكانت أول نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوقا به وقال الحسن والله ماأعز الدرهم أحد الا أذله الله وقيل ان أول ماضرب الدينار والدرهم رفعهما ابليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال من أحبكما فهو عبدي حقا وقال سميط بن عجلان ان الدراهم والدنانير أزمة المنافقين يقادون بها الى النار وقال يحي بن معاذ الدرهم عقرب فان لم تحسن رقيته فلا تأخذه فانه ان لدغك قتلك سمه قيل وما رقيته قال أخذه من حله ووضعه في حقه وقال العلاء ابن زياد تمثلت لي الدنيا وعليها من كل زينة فقلت أعوذ بالله من شرك فقالت ان سرك أن يعيذك الله مني فابغض الدرهم والدينار وذلك لأن الدرهم والدينار هما الدنيا كلها اذ يتوصل بهما الى جميع أصنافها فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا وفي ذلك قيل

اني وجدت فلا تظنوا غيره * أن التورع عند هذا الدرهم
فاذا قدرت عليه ثم تركته * فاعلم بأن تقاك تقوى المسلم

﴿ وفي ذلك قيل أيضا ﴾

لايغرنك من المرء قميص رقعه * أو ازار فوق عظم الساق منه رفعه
أو جبين لاح فيه أثر قد خلعه * أره الدرهم تعرف حبه أو ورعه

ويروي عن مسلمة بن عبد الملك انه دخل علي عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند موته فقال ياأمير المؤمنين صنعت صنيعا لم يصنعه أحد قبلك تركت ولدك ليس لهم درهم ولا دينار وكان له ثلاثة عشر من الولد فقال عمر أقعدوني فاقعدوه فقال أما قولك لم أدع لهم دينارا ولا درهما فاني لم أمنعهم حقا لهم ولم أعطهم حقا لغيرهم وانما ولدي أحد رجلين اما مطيع لله فالله كافيه والله يتولى الصالحين وأما عاص لله فلا أبالي على ماوقع و روى أن محمد بن كعب القرظى أصاب مالا كثيرا فقيل له لو ادخرته لولدك من بعدك قال لا ولكني أدخره لنفسي عند ربي وأدخر ربي لولدي ويروي أن رجلا قال لابي عبد ربه ياأخي لاتذهب بشر وتترك أولادك بخير فاخرج أبو عبد ربه من ماله مائة ألف درهم وقال يحيي بن معاذ مصيبتان لم يسمع الاولون والآخرون بمثلهما للعبد فى ماله عند موته قيل وما هما قال يؤخذ منه كله ويسأل عنه كله

﴿ الباب التاسع والثلاثون فى الاعمال والميزان وعذاب النار ﴾

ياأخي لاتغفل عن الفكر في الميزان وتطاير الكتب الى الايمان

والشمائل فان الناس بعد السؤال ثلاث فرق فرقة ليس لهم حسنة فيخرج من النار عنق أسود فيلقطهم لقط الطير الحب وينطوي عليهم ويلقيهم في النار فتبتلعهم النار وينادى عليهم شقاوة لا سعادة بعدها وقسم آخر لاسيئة لهم فينادى مناد ليقم الحامدون لله على كل حال فيقومون ويسرحون الى الجنة ثم يفعل ذلك بأهل قيام الليل ثم بمن لم تشغله تجارة الدنيا ولا بيعها عن ذكر الله تعالى وينادي عليهم سعادة لاشقاوة بعدها ويبقى قسم ثالث وهم الاكثرون خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وقد يخفى عليهم ولا يخفى على الله تعالى أن الغالب حسناتهم أو سيآتهم ولكن يأبي الله الا أن يعرفهم ذلك ليبين فضله عند العفو وعدله عند العقاب فتتطاير الصحف والكتب منطوية على الحسنات والسيئات وينصب الميزان وتشخص الابصار الى الكتب أتقع في اليمين أو في الشمال ثم الى لسان الميزان أيميل الى جانب السيآت أو الى جانب الحسنات وهذه حالة هائلة تطيش فيها عقول الخلائق وروى الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رأسه في حجر عائشة رضى الله عنها فنعس فذكرت الآخرة فبكت حتى سال دمعها فسقط على خد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتبه فقال مايبكيك ياعائشة قالت ذكرت الآخرة هل تذكرون أهليكم يوم القيامه قال والذي نفسي بيده في ثلاث مواطن فان أحدا لايذكر الا نفسه اذا وضعت الموازين ووزنت الاعمال حتى ينظر ابن آدم أيخف ميزانه أم يثقل وعند الصحف حتى ينظر أيمينه يأخذ كتابه أو بشماله وعند

الصراط وعن أنس قال يؤتى بابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتين الميزان ويوكل به ملك فان ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق سعد فلان سعادة لايشقى بعدها أبدا وان خف ميزانه نادي بصوت يسمع الخلائق شقي فلان شقاوة لايسعد بعدها أبدا وعند خفة كفة الحسنات تقبل الزبانية وبأيديهم مقامع من حديد عليهم ثياب من نار فيأخذون نصيب النار الى النار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم القيامة انه يوم ينادي الله تعالى فيه آدم عليه السلام فيقول له قم ياآدم فابعث بعث النار فيقول وكم بعث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فلما سمع الصحابة ذلك أبلسوا حتى ماأوضحوا بضاحكة فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماعند أصحابه قال اعملوا وأبشروا فوالذي نفس محمد بيده ان معكم لخليقتين ما كانتا مع أحد قط الا كثرتاه مع من هلك من بني آدم وبني ابليس قالوا وماهما يارسول الله قال يأجوج ومأجوج قال فسرى عن القوم فقال اعملوا وأبشروا فوالذي نفس محمد بيده ما أنتم في الناس يوم القيامة الا كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الدابة ياأيها الغافل عن نفسه المغرور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة على الانقضاء والزوال دع التفكر فيما أنت مرتحل عنه واصرف الفكر الي موردك فانك أخبرت بأن النار مورد للجميع اذ قيل وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فانت من الورود على يقين ومن النجاة في شك فاستشعر في قلبك هول

ذلك المورد فهنالك تستعد للنجاة منه وتأمل في حال الخلائق وقد قاسوا من دواهي القيامة ماقاسوا فبينما هم في كربها وأهوالها وقوفا ينتظرون حقيقة أنبائها وتشفيع شفعائها اذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب وأظلت عليهم نار ذات لهب وسمعوا لها زفيرا وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب وجثت الامم على الركب حتى أشفق البرآء من سوء المنقلب وخرج المنادي من الزبانية قائلا أين فلان بن فلان المسوف نفسه في الدنيا بطول الامل المضيع عمره في سوء العمل فيبادرونه بمقامع من حديد ويستقبلونه بعظائم التهديد ويسوقونه الى العذاب الشديد وينكسونه في قعر الجحيم ويقولون له ذق انك أنت العزيز الكريم فاسكنوا دارا ضيقة الارجاء مظلمة المسالك مبهمة المهالك يخلد فيها الاسير ويوقد فيها السعير شرابهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم الزبانية تقمعهم والهاوية تجمعهم أمانيهم فيها الهلاك وما لهم فيها فكاك قد شدت أقدامهم الى النواصي واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي ينادون من أكنافها ويصيحون في نواحيها وأطرافها يا مالك قد حق علينا الوعيد يامالك قد أثقلنا الحديد يامالك قد نضجت منا الجلود يامالك أخرجنا منها فانا لا نعود فتقول الزبانية هيهات لات حين أمان ولا خروج لكم من دار الهوان فاخسؤا فيها ولا تكلمون ولو أخرجتم منها لكنتم الى مانهيتم عنه تعودون فعند ذلك يقنطون وعلى مافرطوا في جنب الله يتأسفون ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الاسف بل يكبون على وجوههم مغلولين

النار من فوقهم والنار من تحتهم والنار عن أيمانهم والنار عن شمائلهم فهم غرقي في النار طعامهم نار وشرابهم نار ولباسهم نار ومهادهم نار فهم بين مقطعات النيران وسرابيل القطران وضرب المقامع وثقل السلاسل فهم يتجلجلون في مضايقها و يتحطمون في دركاتها ويضطربون بين غواشيها تغلي بهم النار كغلي القدور ويهتفون بالويل والعويل ومهما دعوا بالثبور صب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به مافي بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد تهشم بها جباههم فيتفجر الصديد من أفواههم وتتقطع من العطش أكبادهم وتسيل على الخدود أحداقهم ويسقط من الوجنات لحومها ويتمعط من الاطراف شعورها بل جلودها وكلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها قد عريت من اللحم عظامهم ابقيت الارواح منوطة بالعروق وعلائق العصب وهى تنش في لفح تلك النيران وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون فكيف بك لو نظرت اليهم وقد سودت وجوههم أشد سواد من الحميم وأعميت أبصارهم وأبكمت ألسنتهم وقصمت ظهورهم وكسرت عظامهم وجدعت آذانهم ومزقت جلودهم وغلت أيديهم الي أعناقهم وجمع بين نواصيهم وأقدامهم وهم يمشون على النار بوجوههم ويطؤن حسك الحديد باحداقهم فلهيب النار سار في بواطن أجزائهم وحيات الهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر أعضائهم هذا بعض جملة أحوالهم وانظر الآن في تفصيل أهوالهم وتفكر أيضا في أودية جهنم وشعابها فقد قال النبي صلي الله عليه وسلم ان في جهنم سبعين ألف واد في كل واد سبعون ألف شعب في كل

شعب سبعون ألف ثعبان وسبعون ألف عقرب لاينتهي الكافر والمنافق حتي يواقع ذلك كله وقال علي كرم الله وجهه قال رسول الله صلي الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن أو وادى الحزن قيل يارسول الله وما وادى أوجب الحزن قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعده الله تعالى للقراء المرائين فهذه سعة جهنم والشعاب أوديتها وهي بحسب عدد أودية الدنيا وشهواتها وعدد أبوابها بعدد الاعضاء السبعة التي بها يعصي العبد بعضها فوق بعض الاعلى جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية فانظر الآن في عمق الهاوية فانه لاحد لعمقها كما لاحد لعمق شهوات الدنيا فكما لا ينتهي أرب من الدنيا الا الى أرب أعظم منه فلا تنتهي هاوية من جهنم الا الى هاوية أعمق منها قال أبو هريرة كنا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم فسمعنا وجبة فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم أتدرون ماهذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا حجر أرسل في جهنم منذ سبعين عاما الآن انتهى الى قعرها ثم انظر الى تفاوت الدركات فان الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا فكما أن اكباب الناس علي الدنيا يتفاوت فمن منهمك مستكثر كالغريق فيها ومن خائض فيها الى حد محدود فكذلك تناول النار لهم متفاوتة فان الله لايظلم مثقال ذرة فلاتترادف أنواع العذاب على كل من في النار كيفما كان بل لكل واحد حد معلوم على قدر عصيانه وذنبه الا أن أقلهم عذابا لو عرضت عليه الدنيا بحذافيرها لافتدي بها من شدة ماهو فيه قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان أدنى أهل النار عذابا يوم القيامة

يشتمل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه فانظر الآن الى من خفف عليه واعتبر به من شدد عليه ومهما تشككت في شدة عذاب النار فقرب أصبعك من النار وقس ذلك به ثم أعلم انك أخطأت في القياس فان نار الدنيا لاتناسب نار جهنم ولكن لما كان أشد عذاب في الدنيا عذاب هذه النار عرف عذاب جهنم بها وهيهات لو وجد أهل الجحيم مثل هذه النار لخاضوها طائعين هربا مما هم فيه وعن هذا عبر في بعض الاخبار حيث قيل ان نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه الرحمة حتى أطاقها أهل الدنيا بل صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفة نار جهنم فقال أمر الله تعالى أن يوقد على النار ألف عام حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة وقال صلى الله عليه وسلم اشتكت النار الى ربها فقالت يارب أكل بعضي بعضا فأذن لها في نفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فأشد ماتجدونه في الصيف من حرها وأشد ماتجدونه في الشتاء من زمهريرها وقال أنس بن مالك يؤتى بأنعم الناس في الدنيا من الكفار فيقال اغمسوه في النار غمسة ثم يقال له هل رأيت نعيما قط فيقول لا ويؤتى باشد الناس ضرا في الدنيا فيقال اغمسوه في الجنة غمسة ثم يقال له هل رأيت ضرا قط فيقول لا وقال أبو هريرة لو كان في المسجد مائة ألف أو يزيدون ثم تنفس رجل من أهل النار لماتوا وقد قال بعض العلماء في قوله تلفح وجوههم النار انها لفحتهم لفحة واحدة فما أبقت لحما على عظم الا ألقته عند أعقابهم ثم انظر بعد هذا في نتن الصديد الذي يسيل من أبدانهم

حتى يغرقون فيه وهو الغساق قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن دلوا من غساق جهنم ألقي في الدنيا لانتن أهل الارض فهذا شرابهم اذا استغاثوا من العطش فيسقى أحدهم من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ثم انظر الى طعامهم وهو الزقوم كما قال الله تعالى ثم انكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم وقال تعالى انها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنه رؤس الشياطين فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم وقال تعالى تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية وقال تعالى ان لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا أفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف من يكون طعامه ذلك وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارغبوا فيما رغبكم الله واحذروا وخافوا ما خوفكم الله به من عذابه وعقابه ومن جهنم فانه لو كانت قطرة من الجنة معكم في دنياكم التي أنتم فيها طيبتها لكم ولو كانت قطرة من النار معكم في دنياكم التي أنتم فيها خبثتها عليكم وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا

يغني من جوع ويستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون
انهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بشراب فيستغيثون بشراب فيرفع اليهم
الحميم بكلاليب الحديد فاذا دنت من وجوههم شوت وجوههم فاذا دخل
الشراب بطونهم قطع ما في بطونهم فيقولون ادعوا خزنة جهنم قال فيدعون
خزنة جهنم أن ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فيقولون أولم تك تأتيكم
رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال قال
فيقولون ادعوا مالكا فيدعون فيقولون يامالك ليقض علينا ربك قال فيجيبهم
انكم ماكثون قال الاعمش أنبئت أن بين دعائهم وبين اجابة مالك اياهم
ألف عام قال فيقولون ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم فيقولون ربنا
غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا
ظالمون قال فيجيبهم اخسؤا فيها ولا تكلمون قال فعند ذلك يئسوا من
كل خير وعند ذلك أخذوا في الزفير والحسرة والويل (وقال أبو امامة)
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ويسقى من ماء صديد
يتجرعه ولا يكاد يسيغه قال يقرب اليه فيتكرهه فاذا أدني منه شوى
وجهه فوقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره
يقول الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم وقال تعالى وان يستغيثوا
يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه فهذا طعامهم وشرابهم عند جوعهم
وعطشهم فانظر الآن الى حيات جهنم وعقاربها والى شدة سمومها
وعظم أشخاصها وفظاعة منظرها وقد سلطت على أهلها وأغريت بهم
فهي لا تفتر عن النهش واللدغ ساعة واحدة قال أبو هريرة قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة
شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهازمه يعني أشداقه
فيقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا قوله تعالى ولا تحسبن الذين يبخلون
بما آتاهم الله من فضله الآية وقال الرسول صلى الله عليه وسلم ان فى النار
لحيات مثل أعناق البخت يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفا وان
فيها لعقارب كالبغال الموكفة يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفا
وهذه الحيات والعقارب انما تسلط على من سلط عليه في الدنيا البخل
وسوء الخلق وايذاء الناس ومن وقى ذلك وقى هذه الحيات فلم تمثل له ثم
تفكر بعد هذا كله في تعظيم أجسام أهل النار فان الله تعالى يزيد في أجسامهم
طولا وعرضا حتى يتزايد عذابهم بسببه فيحسون بلفح النار ولدغ العقارب
والحيات من جميع أجزائها دفعة واحدة علي التوالى قال أبو هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر في النار مثل أحد وغلظ
جلده مسيرة ثلاث وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شفته السفلى
ساقطة علي صدره والعليا قالصة قد غطت وجهه وقال عليه السلام ان
الكافر ليجر لسانه فى سجين يوم القيامة يتواطأه الناس ومع عظم الاجسام
كذلك تحرقهم النار مرات فتجدد جلودهم ولحومهم قال الحسن في قوله
تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها قال تأكلهم النار كل
يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا ثم تفكر
الآن في بكاء أهل النار وشهيقهم ودعائهم بالويل والثبور فان ذلك يسلط
عليهم في أول القائهم في النار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتي

بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل على أهل النار البكاء فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يرى في وجوههم كهيئة الاخدود لو أرسلت فيها السفن لجرت وما دام يؤذن لهم في البكاء والشهيق والزفير والدعوة بالويل والثبور فلهم فيه مستروح ولكنهم يمنعون أيضا من ذلك (قال محمد بن كعب) لاهل النار خمس دعوات يجيبهم الله عز وجل في أربعة فاذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبدا يقولون ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل فيقول الله تعالى مجيبا لهم ذلكم بأنه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ثم يقولون ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا فيجيبهم الله تعالى أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال فيقولون ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فيجيبهم الله تعالى أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ثم يقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فيجيبهم الله تعالى اخسؤا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها أبدا وذلك غاية شدة العذاب قال مالك بن أنس رضى الله عنه قال زيد بن أسلم في قوله تعالى سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص قال صبروا مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة ثم صبروا مائة سنة ثم قالوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا وقال صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت يوم القيامة كانه كبش

أملح فيذبح بين الجنة والنار ويقال ياأهل الجنة خلود بلا موت وياأهل النار خلود بلا موت وعن الحسن قال يخرج من النار رجل بعد ألف عام وليتني كنت ذلك الرجل ورؤي الحسن رضي الله عنه جالسا في زاوية وهو يبكي فقيل له لم تبكي فقال أخشى أن يطرحني في النار ولا يبالي فهذه أصناف عذاب جهنم على الجملة وتفصيل غمومها وأحزانها ومحنها وحسراتها لانهاية له فأعظم الامور عليهم مع مايلاقونه من شدة العذاب حسرة فوت نعيم الجنة وفوت لقاء الله تعالى وفوت رضاه مع علمهم بأنهم باعوا كل ذلك بثمن بخس دراهم معدودة اذ لم يبيعوا ذلك الا بشهوات حقيرة في الدنيا أياما قصيرة وكانت غير صافية بل كانت مكدرة منغصة فيقولون في أنفسهم واحسرتاه كيف أهلكنا أنفسنا بعصيان ربنا وكيف لم نكلف أنفسنا الصبر أياما قلائل ولو صبرنا لكانت قد انقضت عنا أيامه وبقينا الآن في جوار رب العالمين متنعمين بالرضا والرضوان فياحسرة هؤلاء وقد فاتهم مافاتهم وباؤا بما بلوا به ولم يبق معهم شيء من نعيم الدنيا ولذاتها ثم انهم لولم يشاهدوا نعيم الجنة لم تعظم حسرتهم لكنها تعرض عليهم فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى يوم القيامة بناس من النار الى الجنة حتى اذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا الى قصورها والى ماأعد الله لاهلها فيها نودوا أن اصرفوهم عنها لانصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة مارجع الاولون والآخرون بمثلها فيقولون ياربنا لو أدخلتنا النار قبل أن تريناماأريتنا من ثوابك وما أعددت فيها لاوليائك كان أهون علينا فيقول الله تعالى

ذاك أردت بكم كنتم اذا خلوتم بارزتموني بالعظائم واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراؤن الناس بخلاف ماتعطوني من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني وأجللتم الناس ولم تجلوني وتركتم للناس ولم تتركوا الى فاليوم أذيقكم العذاب الاليم مع ماحرمتكم من الثواب المقيم قال أحمد بن حرب ان أحدنا يؤثر الظل على الشمس ثم لايؤثر الجنة على النار وقال عيسى عليه السلام كم من جسد صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح غدا بين أطباق النار يصيح وقال داود الهى لاصبر لى على حر شمسك فكيف صبرى على حر نارك ولا صبر لي على صوت رحمتك فكيف على صوت عذابك فانظر يامسكين في هذه الاهوال واعلم أن الله تعالى خلق النار بأهوالها وخلق لها أهلا لايزيدون ولا ينقصون وان هذا أمر قد قضى وفرغ منه قال الله تعالى وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر وهم فى غفلة وهم لايؤمنون ولعمرى الاشارة به الى يوم القيامة بل فى أزل الازل ولكن أظهر يوم القيامة ماسبق به القضاء فالعجب منك حيث تضحك وتلهو وتشتغل بمحقرات الدنيا ولست تدري أن القضاء بماذا سبق في حقك فان قلت فليت شعرى ماذا موردي والى ماذا مآلى ومرجعي وما الذى سبق به القضاء فى حقى فلك علامة تستأنس بها وتصدق رجاءك بسببها وهو أن تنظر الي أحوالك وأعمالك فان كلا ميسر لما خلق له فان كان قد يسر لك سبيل الخير فأبشر فانك مبعد عن النار وان كنت لاتقصد خيرا الا وتحيط بك العوائق فتدفعه ولا تقصد شرا الا ويتيسر لك أسبابه فاعلم أنك

مقضى عليك فان دلالة هذا على العاقبة كدلالة المطر على النبات ودلالة الدخان على النار فقد قال الله تعالى ان الابرار في نعيم وان الفجار في جحيم فاعرض نفسك على الآيتين وقد عرفت مستقرك من الدارين والله أعلم

﴿ الباب الاربعون في فضل الطاعة ﴾

اعلم ان طاعة الله سبحانه وتعالى جماع الخير كله وقد حث الله تعالى عليها في كتابه في آيات متعددة وبها أرسل الرسل ليخرج الناس من ظلمات النفوس الى أنوار معرفة القدوس وليتمتعوا في دار النعيم التي أعدت للمتقين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فانهم لم يخلقوا عبثا بل ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى وهو الغني عن طاعتهم ولا تضره معصيتهم ولا تنقص من كمالاته شيأ فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها والله الغني وأنتم الفقراء يا عجبا أحدنا يشترى الرقيق ويحب أن يكون قائما بما يلزم من الخدمة ناصحا فيها منقادا لمولاه الذي استولى عليه بالعرض اليسير الفاني ويمقته بزلة واحدة ويغضب عليه وربما منعه مرتبه أو طرده أو باعه فمالنا لا نطيع مولانا الحقيقي الذى خلقنا وسوانا ونقع في زلات عدد المطار ومع ذلك لا يمنع نعمه عنا وامداداته التي لولاها لهلكنا وهو قادر على البطش بنا بمجرد ارتكاب زلة واحدة لكنه يمهلنا لعلنا نتوب فيقبلنا و يغفر زلتنا ويستر عورتنا فالعاقل يعرف من

هو الاحق بالطاعة فيقبل عليه ويتوجه بكليته اليه وكلما أذنب تاب والى خالقه أناب ولا ييأس من رحمته ويتحبب اليه بشكر نعمته ويواظب على ذلك عسى أن يكتب من المحبين فيأتيه الموت وهو مشتاق الى مولاه ومولاه أشدشوقا الى لقائه (قال أبوالدرداء) لكعب رضى الله عنهما أخبرني عن أخص آية يعني في التوراة فقال يقول الله تعالي طال شوق الابرار الى لقائي واني الي لقائهم لاشد شوقا قال ومكتوب الي جانبها من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فقال أبو الدرداء أشهد أنى لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا وفي أخبار داود عليه السلام ان الله تعالى قال ياداود أبلغ أهل أرضي أنى حبيب لمن حبني وجليس لمن جالسني ومؤنس لمن أنس بذكرى وصاحب لمن صاحبني ومختار لمن اختارنى ومطيع لمن أطاعنى ما أحبني عبد أعلم ذلك يقينا من قلبه الا قبلته لنفسى وأحببته حبا لا يتقدمه أحد من خلقي من طلبني بالحق وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فارفضوا ياأهل الارض ماأنتم عليه من غرورها وهلموا الى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي وآنسوا بي أؤانسكم وأسارع الى محبتكم فانى خلقت طينة أحبائى من طينة ابراهيم خليلي وموسى نجيي ومحمد صفيي وخلقت قلوب المشتاقين من نورى ونعمتها بجلالي (وروى) عن بعض السلف ان الله تعالي أوحي الي بعض الصديقين ان لي عبادا من عبادي يحبونى وأحبهم ويشتاقون الي وأشتاق اليهم ويذكروني وأذكرهم وينظرون الي وأنظر اليهم فان حذوت طريقهم أحببتك

وان عدلت عنهم مقتك قال يارب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي الشفيق غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما يحن الطائر الى وكره عند الغروب فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الاسرة وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الى أقدامهم وافترشوا لي وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوا الي بانعامي فبين صارخ وباك وبين متأوه وشاك وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد بعيني مايتحملون من أجلي وبسمعي مايشتكون من حبي أول ماأعطيهم ثلاث أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم والثانية لو كانت السموات والارض وما فيها في موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة أقبل بوجهي عليهم فترى من أقبلت بوجهي عليه يعلم أحد ماأريد أن أعطيه (وفي أخبار داود عليه السلام) ان الله تعالى أوحى اليه ياداود الى كم تذكر الجنة ولا تسألني الشوق الي قال يارب من المشتاقون اليك قال ان المشتاقين الي الذين صفيتهم من كل كدر ونبهتهم بالحذر وخرقت من قلوبهم الي خرقا ينظرون الي وانى لاحمل قلوبهم بيدي فاضعها على سمائي ثم أدعو نجباء ملائكتي فاذا اجتمعوا سجدوا لي فأقول اني لم أدعكم لتسجدوا لي ولكني دعوتكم لأعرض عليكم قلوب المشتاقين الى وأباهي بكم أهل الشوق الي فان قلوبهم لتضيء في سمائي لملائكتي كما تضيء الشمس لاهل الارض ياداود انى خلقت قلوب المشتاقين من رضواني ونعمتها بنور وجهي فاتخذتهم لنفسي محدثي وجعلت أبدانهم موضع نظري الى الارض وقطعت من قلوبهم طريقا ينظرون به الي يزدادون في كل يوم

شوقا قال داود يارب أرنى أهل محبتك فقال ياداود أنت جبل لبنان فان فيه أربعة عشر نفسا فيهم شبان وفيهم شيوخ وفيهم كهول فاذا أتيتهم فأقرئهم مني السلام وقل لهم ان ربكم يقرئكم السلام ويقول لكم ألا تسألون حاجة فانكم أحبائى وأصفيائى وأوليائى أفرح لفرحكم وأسارع الي محبتكم فأتاهم داود عليه السلام فوجدهم عند عين من العيون يتفكرون فى عظمة الله عز وجل فلما نظروا الى داود عليه السلام نهضوا ليتفرقوا عنه فقال داود انى رسول الله اليكم جئتكم لابلغكم رسالة ربكم فأقبلوا نحوه وألقوا أسماعهم نحو قوله وألقوا أبصارهم الى الارض فقال داود اني رسول الله اليكم يقرئكم السلام ويقول لكم ألا تسألون حاجة ألا تنادوني أسمع صوتكم وكلامكم فانكم أحبائى وأصفيائي وأوليائى أفرح لفرحكم وأسارع الى محبتكم وأنظر اليكم في كل ساعة نظر الوالدة الشفيقة الرفيقة قال فجرت الدموع على خدودهم فقال شيخهم سبحانك سبحانك نحن عبيدك و بنو عبيدك فاغفر لنا ماقطع قلوبنا عن ذكرك فيما مضي من أعمارنا وقال الآخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك و بنو عبيدك فامنن علينا بحسن النظر فيما بيننا و بينك وقال الآخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك و بنو عبيدك أفنجترئ على الدعاء وقد علمت أنه لاحاجة لنا في شئ من أمورنا فأدم لنا لزوم الطريق اليك وأتمم بذلك المنة علينا وقال الآخر نحن مقصرون في طلب رضاك فأعنا عليه بجودك وقال الآخر من نطفة خلقتنا ومننت علينا بالتفكر فى عظمتك أفيجترئ على الكلام من هو مشتغل بعظمتك متفكر في

جلالك وطلبتنا الدنو من نورك وقال الآخر كلت ألسنتنا عن دعائك لعظم شأنك وقربك من أوليائك وكثرة منتك على أهل محبتك وقال الآخر أنت هديت قلوبنا لذكرك وفرغتنا الاشتغال بك فاغفر لنا تقصيرنا في شكرك وقال الآخر قد عرفت حاجتنا انما هي النظر الى وجهك وقال الآخر كيف يجترئ العبد على سيده اذ أمرتنا بالدعاء بجودك فهب لنا نورا نهتدي به في الظلمات من أطباق السموات وقال الآخر ندعوك أن تقبل علينا وتديمه عندنا وقال الآخر نسألك تمام نعمتك فيما وهبت لنا وتفضلت به علينا وقال الآخر لاحاجة لنا في شيء من خلقك فامنن علينا بالنظر الي جمال وجهك وقال الآخر أسألك من بينهم أن تعمي عيني عن النظر الي الدنيا وأهلها وقلبي عن الاشتغال بالآخرة وقال الآخر قد عرفت تباركت وتعاليت أنك تحب أوليائك فامنن علينا باشتغال القلب بك عن كل شيء دونك فأوحى الله تعالى الي داود عليه السلام قل لهم قد سمعت كلامكم وأجبتكم الي ما أحببتم فليفارق كل واحد منكم صاحبه وليتخذ لنفسه سربا فاني كاشف الحجاب فيما بيني وبينكم حتي تنظروا الي نوري وجلالي فقال داود يارب بم نالوا هذه منك قال بحسن الظن والكف عن الدنيا وأهلها والخلوات بي ومناجاتهم لي وان هذا منزل لاينااله الا من رفض الدنيا وأهلها ولم يشتغل بشيء من ذكرها وفرغ قلبه لي واختارني على جميع خلقي فعند ذلك أعطف عليه وأفرغ نفسه وأكشف الحجاب فيما بيني وبينه حتى ينظر الي نظر الناظر بعينه الي الشيء وأريه كرامتي في كل ساعة

وأقربه إمن نور وجهي ان مرض مرضته كما تمرض الوالدة الشفيقة ولدها وان عطش أرويته وأذيقه طعم ذكري فاذا فعلت ذلك به ياداود عميت نفسه عن الدنيا وأهلها ولم أحببها اليه لا يفتر عن الاشتغال بي يستعجلني القدوم وأنا أكره أن أميته لانه موضع نظري من بين خلقي لايري غيري ولا أري غيره فلو رأيته ياداود وقد ذابت نفسه ونحل جسمه وتهشمت أعضاؤه وانخلع قلبه اذا سمع بذكري أباهي به ملائكتي وأهل سمواتي يزداد خوفا وعبادة وعزتي وجلالي ياداود لاقعدنه في الفردوس ولا شفين صدره من النظر الى حتى يرضي وفوق الرضا (وفي أخبار داود أيضا) قل لعبادي المتوجهين الى محبتي ماضركم اذا احتجبت عن خلقي ورفعت الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا الى بعيون قلوبكم وماضركم مازويت عنكم من الدنيا اذا بسطت ديني لكم وما ضركم مسخطة الخلق اذا التمستم رضائي (وفي أخبار داود أيضا) ان الله تعالى أوحى اليه تزعم انك تحبني فان كنت تحبني فأخرج حب الدنيا من قلبك فان حبي وحبها لايجتمعان في قلب ياداود خالص حبيبي مخالصة وخالط أهل الدنيا مخالطة ودينك فقلدنيه ولا تقلد دينك الرجال أما مااستبان لك مما وافق محبتي فتمسك به وأما ماأشكل عليك فقلدنيه حقا علي أني أسارع الى سياستك وتقويمك وأكون قائدك ودليلك أعطيك من غير أن تسألني وأعينك علي الشدائد واني قد حلفت علي نفسي اني لاأثيب الا عبدا قد عرفت من طلبته وارادته القاء كنفه بين يدي وانه لاغني به عني فاذا كنت كذلك نزعت الذلة والوحشة عنك وأسكن

الغني قلبك فاني قد حلفت علي نفسي انه لا يطمئن عبد لي الى نفسه ينظر الى فعالها الا وكلته اليها أضف الاشياء الي لا اضاد عمالك فتكون متعنيا ولا ينتفع بك من يصحبك ولا تجد لمرفقي حدا فليس لها غاية ومتي طلبت مني الزيادة أعطك ولا تجد للزيادة مني حدا ثم أعلم بني اسرائيل انه ليس بيني وبين أحد من خلقي نسب فلتعظم رغبتهم وارادتهم عندي أبح لهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ضعني بين عينيك وانظر الي ببصر قلبك ولا تنظر بعينك التي في رأسك الى الذين حجبت عقولهم عني فاس جوها فوسخت بانقطاع ثوابي عنها فاني حلفت بعزتي وجلالي لا أفتح ثوابي لعبد دخل في طاعتي للتجربة والتسويف تواضع لمن تعلمه ولا تطاول على المريدين فلو علم أهل محبتي منزلة المريدين عندي لكانوا لهم أرضا يمشون عليها ياداود لان تخرج مريدا من سكرة هو فيها تستنقذه فأكتبك عندي جهيدا ومن كتبته عندي جهيدا لا تكون عليه وحشة ولا فاقة الى المخلوقين ياداود تمسك بكلامي وخذ من نفسك لنفسك لا تؤتين منها فأحجب عنك محبتي لا تؤيس عبادى من رحمتي اقطع شهوتك لي فانما أبحت الشهوات لضعفة خلقي مابال الاقوياء أن ينالوا الشهوات فانها تنقص حلاوة مناجاتي وانما عقوبة الاقوياء عندي في موضع التناول أدني ما يصل اليهم أن أحجب عقولهم عني فاني لم أرض الدنيا لحبيبي ونزهته عنها ياداود لاتجعل بيني وبينك عالما يحجبك بسكره عن محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادي المريدين استعن على ترك الشهوات بادمان الصوم واياك والتجربة في الافطار فان

محبتي للصوم ادمانه

﴿ الباب الحادى والاربعون في الشكر ﴾

اعلم أن الله تعالى قرن الشكر بالذكر في كتابه مع انه قال ولذكر الله أكبر فقال تعالى فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون وقال الله تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وقال الله تعالى وسنجزي الشاكرين وقال عز وجل اخبارا عن ابليس اللعين لاقعدن لهم صراطك المستقيم قيل هو طريق الشكر طعن اللعين في الخلق فقال ولا تجد أكثرهم شاكرين وقال تعالى وقليل من عبادي الشكور وقد قطع الله تعالى بالمزيد مع الشكر ولم يستثن فقال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم واستثنى في خمسة أشياء في الاغناء والاجابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال تعالى فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء وقال فيكشف ماتدعون اليه ان شاء وقال ويرزق من يشاء بغير حساب وقال ويغفر مادون ذلك لمن يشاء وقال ويتوب الله على من يشاء وهو خلق من أخلاق الربوبية اذ قال تعالى والله شكور حليم وقد جعل الله الشكر مفتاح كلام أهل الجنة فقال تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وقال وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين (وأما الاخبار) فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وروي عن عطاء انه قال دخلت على عائشة رضى الله عنها فقلت أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت وأي شأنه لم يكن عجبا أتاني ليلة فدخل معي في فراشي أوقالت في لحافي حتي مس

جلدي جلده ثم قال يا ابنة أبي بكر ذريني أتعبد لربي قالت قلت اني أحب قربك لكني أوثر هواك فأذنت له فقام الى قربة ماء فتوضأ فلم يكثر صب الماء ثم قام يصلي فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكي ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك يبكي حتى جاء بلال فآذنه بالصلاة فقلت يارسول الله مايبكيك وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا ولم لا أفعل ذلك وقد أنزل الله تعالى علي ان في خلق السموات والارض الآية وهذا يدل على أن البكاء ينبغي أن لاينقطع أبدا والي هذا السر يشير ماروى أنه مر بعض الانبياء بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب منه فأنطقه الله تعالي فقال منذ سمعت قوله تعالى وقودها الناس والحجارة فأنا أبكي من خوفه فسأل الله له أن يجيره من النار فأجاره ثم رآه بمدة على مثل ذلك فقال لم تبكي الآن فقال ذاك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور وقلب العبد كالحجارة أو أشد قسوة ولا تزول قسوته الا بالبكاء في حال الخوف والشكر جميعا وروي عنه صلي الله عليه وسلم انه قال ينادي يوم القيامة ليقم الحمادون فتقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قيل ومن الحمادون قال الذين يشكرون الله تعالي على كل حال وفي لفظ آخر الذين يشكرون الله علي السراء والضراء وقال صلى الله عليه وسلم الحمد رداء الرحمن وأوحي الله تعالى الى أيوب عليه السلام اني رضيت بالشكر مكافأة من أوليائي في كلام طويل وأوحى الله تعالي اليه أيضا في صفة الصابرين ان دارهم دار السلام اذا دخلوها

ألهمتهم الشكر وهو خير الكلام وعند الشكر أستزيدهم وبالنظر الى أزيدهم والمنزل في الكنوز ما نزل قال عمر رضي الله عنه أى المال نتخذ فقال عليه السلام ليتخذ أحدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا فأمر باقتناء القلب الشاكر بدلا عن المال وقال ابن مسعود الشكر نصف الايمان (واعلم) أن الشكر يتعلق بالقلب وباللسان وبالجوارح أما بالقلب فقصد الخير واضماره لكافة الخلق وأما باللسان فاظهار الشكر لله تعالى بالتحميدات الدالة عليه وأما بالجوارح فاستعمال نعم الله تعالى في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معصيته حتى ان شكر العينين أن تستر كل عيب تسمعه فيه فيدخل هذا في جملة شكر نعم الله تعالى بهذه الاعضاء والشكر باللسان لاظهار الرضا عن الله تعالى وهو مأمور به فقد قال صلى الله عليه وسلم لرجل كيف أصبحت قال بخير فأعاد صلى الله عليه وسلم السؤال حتى قال فى الثالثة بخير أحمد الله وأشكره فقال صلى الله عليه وسلم هذا الذي أردت منك وكان السلف يتساءلون ونيتهم استخراج الشكر لله تعالى ليكون الشاكر مطيعا والمستنطق له به مطيعا وما كان قصدهم الرياء باظهار الشوق وكل عبد سئل عن حال فهو بين أن يشكر أو يشكو أو يسكت فالشكر طاعة والشكوى معصية قبيحة من أهل الدين وكيف لا تقبح الشكوي من ملك الملوك وبيده كل شئ الي عبد مملوك لا يقدر على شئ فالاحري بالعبد ان لم يحسن الصبر على البلاء والقضاء وأفضى به الضعف الى الشكوي أن تكون شكواه الي الله تعالي فهو المبلي والقادر علي ازالة البلاء وذل العبد

مولاه عز والشكوى الى غيره ذل واظهار الذل للعبد مع كونه عبداً مثله ذل قبيح قال الله تعالى ان الذين تعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له وقال تعالى ان الذين تدعون من دون الله عبادا أمثالكم فالشكر باللسان من جملة الشكر وقد روى ان وفدا قدموا على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقام شاب ليتكلم فقال عمر الكبر الكبر فقال يا أمير المؤمنين لو كان الامر بالسن لكان في المسلمين من هو أسن منك فقال تكلم فقال لسنا وفدا لرغبة ولا وفدا لرهبة أما الرغبة فقد أوصلها الينا فضلك وأما الرهبة فقد آمننا منها عدلك وانما نحن وفد الشكر جئناك نشكرك باللسان وننصرف

﴿ الباب الثاني والاربعون في بيان ذم الكبر ﴾

قد ذم الله الكبر في مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وقال عز وجل كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد وقال تعالى انه لايحب المستكبرين وقال تعالى لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا وقال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وذم الكبر في القرآن كثير وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولايدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى الكبرياء

ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في جهنم ولا أبالي وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال التقى عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر على الصفا فتوافقا فمضى ابن عمرو وأقام ابن عمر يبكي فقالوا ما يبكيك يا أبا عبد الرحمن فقال هذا يعني عبد الله بن عمرو زعم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أكبه الله في النار على وجهه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما أصابهم من العذاب وقال سليمان بن داود عليهما السلام يوما للطير وللانس والجن والبهائم أخرجوا فخرجوا في مائتي ألف من الانس ومائتي ألف من الجن فرفع حتى سمع زجل الملائكة بالتسبيح في السموات ثم خفض حتى مست أقدامه البحر فسمع صوتا لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لخسفت به أبعد مما رفعته وقال صلى الله عليه وسلم يخرج من النار عنق له أذنان تسمعان وعينان تبصران ولسان ينطق يقول وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله الها آخر وبالمصورين وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة بخيل ولا جبار ولا سيء الملكة وقال صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة مالي لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقاطهم وعجزتهم فقال الله للجنة انما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار انما أنت عذابي أعذب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها وقال صلى الله عليه وسلم بئس العبد عبد تجبر واعتدي ونسي الجبار الاعلى بئس

العبد عبد تجبر واختال ونسي الكبير المتعال بئس العبد عبد غفل وسها ونسي المقابر والبلى بئس العبد عبد عتي وبغى ونسي المبدأ والمنتهى وعن ثابت أنه قال بلغنا أنه قيل يا رسول الله ما أعظم كبر فلان فقال أليس بعده الموت وقال عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال ان نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال انى آمركما باثنين وأنهاكما عن اثنتين أنهاكما عن الشرك والكبر وآمركما بلا اله الا الله فان السموات والارضين وما فيهن لو وضعت في كفة الميزان ووضعت لا اله الا الله في الكفة الاخرى كانت أرجح منها ولو أن السموات والارضين وما فيهن كانت حلقة فوضعت لا اله الا الله عليها لقصمتها وآمركما بسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شئ وبها يرزق كل شئ وقال المسيح عليه السلام طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يمت جبارا وقال صلى الله عليه وسلم أهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع وأهل الجنة الضعفاء المقلون وقال صلى الله عليه وسلم ان أحبكم الينا وأقربكم منا في الآخرة أحاسنكم أخلاقا وان أبغضكم الينا وأبعدكم منا الثرثارون المتشدقون المتفيهقون قالوا يارسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون وقال صلى الله عليه وسلم يحشر المتكبرون يوم القيامة في مثل صورة الذر تطأهم الناس ذرا في مثل صور الرجال يعلوهم كل شئ من الصغار ثم يساقون الي سجن في جهنم يقال له ٣ بولس تعلوهم نار الانيار يسقون من

٣ قوله بولس بموحدة مضمومة ولام مفتوحة وسين مهملة كما في القاموس اه

طين الخبال عصارة أهل النار وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة في صور الذر تطأهم الناس لهوانهم على الله تعالى وعن محمد بن واسع قال دخلت على بلال ابن أبي بردة فقلت له يابلال ان أباك حدثني عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان في جهنم وادٍ يقال له هبهب حق على الله أن يسكنه كل جبار فاياك يابلال ان تكون ممن يسكنه وقال صلى الله عليه وسلم ان في النار قصرا يجعل فيه المتكبرون ويطبق عليهم وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اني أعوذ بك من نفخة الكبرياء وقال من فارق روحه جسده وهو بريء من ثلاث دخل الجنة الكبر والدين والغلول وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لايحقرن أحد أحدا من المسلمين فان صغير المسلمين عند الله كبير وقال وهب لما خلق الله جنة عدن نظر اليها فقال أنت حرام على كل متكبر وكان الاحنف ابن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره فجاء يوما ومصعب ماد رجليه فلم يقبضهما وقعد الاحنف فزاحمه بعض الزحمة فرأي أثر ذلك في وجهه فقال عجبا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجري البول مرتين وقال الحسن العجب من ابن آدم يغسل الخرء بيده كل يوم مرة أو مرتين ثم يعارض جبار السموات وقد قيل في وفي أنفسكم أفلا تبصرون هو سبيل الغائط والبول وقال محمد بن الحسين بن علي مادخل قلب امرئ شيء من الكبر قط الا نقص من عقله بقدر مادخل من ذلك قل أو كثر وسئل سليمان عن السيئة التي لاتنفع معها حسنة فقال الكبر وقال النعمان بن بشير على المنبر ان للشيطان مصائد وفخوخا

وان من مصائد الشيطان وفخوخه البطر بأنعم الله والفخر باعطاء الله والكبر على عباد الله واتباع الهوى فى غير ذات الله نسأل الله تعالى العفو والعافية فى الدنيا والآخرة بمنه وكرمه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله الى رجل يجر ازاره بطرا وقال صلى الله عليه وسلم بينما رجل يتبختر في بردته اذ أعجبته نفسه فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وقال صلي الله عليه وسلم من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله اليه يوم القيامة وقال زيد بن أسلم دخلت على ابن عمر فمر به عبد الله بن واقد وعليه ثوب جديد فسمعته يقول أي بني ارفع ازارك فاني سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول لا ينظر الله الي من جر ازاره خيلاء وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق يوما على كفه ووضع أصبعه عليه وقال يقول الله تعالى ابن آدم أتعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتي اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وئيد جمعت ومنعت حتي اذا بلغت التراقي قلت أتصدق وأني أوان الصدقة وقال صلى الله عليه وسلم اذا مشت أمتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم سلط الله بعضهم على بعض قال ابن الاعرابي هي مشية فيها اختيال وقال صلى الله عليه وسلم من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان وعن أبي بكر الهذلي قال بينما نحن مع الحسن اذ مر علينا ابن الاهتم يريد المقصورة وعليه جباب خز قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه وانفرج عنها قباؤه وهو يمشي يتبختر اذ نظر اليه الحسن نظرة فقال أف أف شامخ بأنفه

ثاني عطفه مدمر خده ينظر في عطفيه أي حميق أنت تنظر في عطفيك في نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير مأخوذ بأمر الله فيها ولا مؤدي حق الله منها في كل عضو من أعضائه لله نعمة وللشيطان به لفتة والله أن يمشي أحد طبيعته أو يتخلج تخلج المجنون خير له من هذا فسمع ابن الاهتم فرجع يعتذر اليه فقال لا تعتذر الي وتب الى ربك أما سمعت قول الله تعالى ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا ومر بالحسن شاب عليه بزة له حسنة فدعاه فقال له ابن آدم معجب بشبابك محب لشمائلك كأن القبر قد وارى بدنك وكأنك قد لاقيت عملك ويحك دا وقلبك فان حاجة الله الى العباد صلاح قلوبهم * وروى أن عمر بن عبد العزيز حج قبل أن يستخلف فنظر اليه طاوس وهو يختال في مشيته فغمز جنبه بأصبعه ثم قال ليست هذه مشية من في بطنه خرء فقال عمر كالمعتذر ياعم لقد ضرب كل عضو مني على هذه المشية حتى تعلمتها ورأى محمد بن واسع ولده يختال فدعاه وقال أتدري من أنت أما أمك فاشتريتها بمائة درهم وأما أبوك فلا أكثر الله في المسلمين مثله ورأى ابن عمر رجلا يجر ازاره فقال ان للشيطان اخوانا كررها مرتين أو ثلاثا (ويروي) ان مطرف بن عبد الله بن الشخير رأي المهلب وهو يتبختر في جبة خز فقال ياعبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله فقال له المهلب أما تعرفني فقال بلي أعرفك أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت بين ذلك تحمل العذرة فمضى المهلب وترك مشيته تلك وأنشدوا في هذا المعنى

عجبت من معجب بصورته * وكان بالامس نطفة مذره
وفي غد بعد حسن هيئته * يصير في القبر جيفة قذره

وأنشد خلف الاحمر

انا صاحب مولع بالخلاف * كثير الخطا قليل الصواب
أشد لجاجا من الخنفساء * وأزهي اذا ماشى من غراب

﴿ وقال آخر ﴾

قلت للمعجب لما * قال مثلى لايراجع
ياقريب العهد بالمخرج لم لاتتواضع

﴿ ومثله الذي النون المصرى ﴾

أيها الشامخ الذى لايرام * نحن من طينة عليك السلام
انما هذه الحياة متاع * ومع الموت تستوي الاقدام

وقال مجاهد في قوله تعالى ثم ذهب الي أهله يتمطى أي يتبختر والله تعالى أعلم

﴿ الباب الثالث والاربعون في التفكر فى الايام وغيرها ﴾

قد أمر الله تعالى بالتفكر والتدبر في كتابه العزيز فى مواضع لاتحصى فقال تعالى ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار الآية أي تعاقبهما في المجيء والذهاب يخلف أحدهما صاحبه اذا ذهب أحدهما جاء الآخر خلفه أي بعده قال تعالي وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة قال عطاء أراد اختلافهما في النور والظلمة والزيادة والنقصان وما أحسن قول القائل

ياراقد الليل مسرورا بأوله * ان الحوادث قد تطرقن أسحارا
لا تفرحن بليل طاب أوله * فرب آخر ليل أجج النارا

وقول آخر

ان الليالي للانام مناهل * تطوي وتنشر دونها الاعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة * وطوالهن مع السرور قصار

وأثنى الله على المتفكرين فقال تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ماخلقت هذا باطلا وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما ان قوما تفكروا في الله عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله فانكم لن تقدروا قدره وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال مالكم لا تتكلمون فقالوا أنتفكر في خلق الله عز وجل قال فكذلك فافعلوا تفكروا في خلقه ولا تتفكروا فيه فان بهذا المغرب أرضا بيضاء نورها بياضها وبياضها نورها مسيرة الشمس أربعين يوما بها خلق من خلق الله عز وجل لم يعصوا الله طرفة عين قالوا يارسول الله فأين الشيطان منهم قال مايدرون خلق الشيطان أم لا قالوا من ولد آدم قال لايدرون خلق آدم أم لا وعن عطاء قال انطلقت يوما أنا وعبيد بن عمير الي عائشة رضي الله عنها فكلمتنا وبيننا وبينها حجاب فقالت ياعبيد مايمنعك من زيارتنا قال قول رسول الله صلى الله عليه وسلم زرغبا تزدد حبا قال ابن عمير فأخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال فبكت وقالت كل شئ من أمره كان عجبا أتاني مرة في ليلتي حتي مس جلده جلدى ثم قال ذريني أتعبد لربي عز وجل فقام الى القربة فتوضأ منها ثم قام يصلي فبكي حتي بل لحيته ثم سجد حتى بل الارض ثم اضطجع علي جنبه حتي أتي بلال يؤذنه بصلاة الصبح فقال يارسول الله مايبكيك وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر فقال ويحك يابلال ومايمنعني أن أبكي وقد أنزل الله تعالى علي فى هذه الليلة إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب * ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها فقيل للأوزاعي ماغاية التفكر فيهن قال يقرؤهن ويعقلهن ﴿وعن﴾ محمد بن واسع أن رجلا من أهل البصرة ركب الى أم ذر بعدموت أبي ذر فسألها عن عبادة أبي ذر فقالت كان نهاره أجمع في ناحية البيت يتفكر ﴿وعن﴾ الحسن قال تفكر ساعة خير من قيام ليلة ﴿وعن﴾ الفضيل قال الفكر مرآة تريك حسناتك وسيآتك وقيل لابراهيم انك تطيل الفكرة فقال الفكرة مخ العقل وكان سفيان بن عيينة كثيرا مايتمثل بقول القائل

إذا المرء كانت له فكرة * ففي كل شئ له عبرة

وعن طاوس قال قال الحواريون لعيسى بن مريم ياروح الله هل على الارض اليوم مثلك فقال نعم من كان منطقه ذكرا وصمته فكرا ونظره عبرة فانه مثلي * وقال الحسن من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو ومن لم يكن نظره اعتبارا فهو لهو وفي قوله تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قال أمنع

قلوبهم التفكر في أمري * وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطوا أعينكم حظها من العبادة فقالوا يارسول الله وما حظها من العبادة قال النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه * وعن امرأة كانت تسكن البادية قريبا من مكة انها قالت لو تطالعت قلوب المتقين بفكرها الي ماقد ادخر لها في حجب الغيب من خير الآخرة لم يصف لهم في الدنيا عيش ولم تقر لهم في الدنيا عين * وكان لقمان يطيل الجلوس وحده فكان يمر به مولاه فيقول يالقمان انك تديم الجلوس وحدك فلو جالست مع الناس كان آنس لك فيقول لقمان ان طول الوحدة أدوم للفكر وطول الفكر دليل على طريق الجنة * وقال وهب بن منبه ماطالت فكرة امرئ قط الا علم وماعلم امرؤ قط الا عمل * وقال عمر بن عبد العزيز الفكرة في امم الله عز وجل من أفضل العبادة * وقال عبد الله بن المبارك يوما لسهل بن علي ورآه ساكتا متفكرا أين بلغت قال الصراط * وقال بشر لو تفكر الناس في عظمة الله ماعصوا الله عز وجل * وعن ابن عباس ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب * وبينا أبو شريح يمشي اذ جلس فتقنع بكسائه فجعل يبكي فقيل له مايبكيك قال تفكرت في ذهاب عمري وقلة عملي واقتراب أجلي * وقال أبو سليمان عودوا أعينكم البكاء وقلوبكم التفكر * وقال أبو سليمان أيضا الفكر في الدنيا حجاب عن الآخرة وعقوبة لاهل الولاية والفكر في الآخرة يورث الحكمة ويحيي القلوب * وقال حاتم من العبرة يزيد العلم ومن الذكر يزيد الحب ومن التفكر يزيد

الخوف وقال ابن عباس التفكر في الخير يدعو الى العمل به والندم على الشر يدعو الى تركه (ويروي) أن الله تعالى قال في بعض كتبه اني لست أقبل كلام كل حكيم ولكن أنظر الى همه وهواه فاذا كان همه وهواه لي جعلت صمته تفكرا وكلامه حمدا وان لم يتكلم *وقال الحسن ان أهل العقل لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر وبالفكر على الذكر حتى استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة *وقال أسحق بن خلف كان داود الطائي رحمه الله تعالى على سطح في ليلة قمراء فتفكر في ملكوت السموات والارض وهو ينظر الى السماء ويبكي حتى وقع في دار جار له قال فوثب صاحب الدار من فراشه عريانا وبيده سيف وظن أنه لص فلما نظر الى داود رجع ووضع السيف وقال من ذا الذي طرحك من السطح قال ماشعرت بذلك *وقال الجنيد أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد والتنسم بنسيم المعرفة والشرب بكاس المحبة من بحر الوداد والنظر بحسن الظن بالله عز وجل ثم قال يالها من مجالس ماأجلها ومن شراب ماألذه طوبى لمن رزقه *وقال الشافعي رحمه الله تعالى استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكر *وقال أيضا صحة النظر في الامور نجاة من الغرور والعزم في الرأي سلامة من التفريط والندم والرؤية والفكر يكشفان عن الحزم والفطنة ومشاورة الحكماء ثبات في النفس وقوة في البصيرة ففكر قبل أن تعزم وتدبر قبل أن تهجم وشاور قبل أن تقدم *وقال أيضا الفضائل أربع احداها الحكمة وقوامها الفكرة والثانية العفة وقوامها في الشهوة والثالثة القوة

وقوامها في الغضب والرابعة العدل وقوامه في اعتدال قوى النفس

﴿ الباب الرابع والاربعون في بيان شدة الموت ﴾

عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الموت وغصته وألمه فقال هو قدر ثلثمائة ضربة بالسيف * وسئل صلى الله عليه وسلم عن الموت وشدته فقال ان أهون الموت بمنزلة حسكة في صوف فهل تخرج الحسكة من الصوف الا ومعها صوف ودخل صلى الله عليه وسلم على مريض ثم قال اني أعلم مايلقى مامنه عرق الا ويألم للموت على حدته وكان علي كرم الله وجهه يحض على القتال ويقول ان لم تقتلوا تموتوا والذي نفسي بيده لالف ضربة بالسيف أهون على من موتي على فراش * وقال الاوزاعي بلغنا ان الميت يجد ألم الموت مالم يبعث من قبره وقال شداد بن أوس الموت أفظع هول في الدنيا والآخرة على المؤمن وهو أشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلي في القدور ولو أن الميت نشر فأخبر أهل الدنيا بالموت ماانتفعوا بعيش ولا لذوا بنوم * وعن زيد ابن أسلم عن أبيه قال اذا بقي على المؤمن من درجاته شئ لم يبلغها بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وكربه درجته في الجنة واذا كان للكافر معروف لم يجز به هون عليه في الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير الى النار * وعن بعضهم أنه كان يسأل كثيرا من المرضى كيف تجدون الموت فلما مرض قيل له فأنت كيف تجده فقال كان السموات مطبقة على الارض وكأن نفسي يخرج من ثقب ابرة * وقال صلى الله عليه وسلم موت الفجأة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر وروى عن

مكحول عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو أن شعرة من شعر الميت وضعت على أهل السموات و لارض لماتوا باذن الله تعالى لان في كل شعرة الموت ولايقع الموت بشيء الاماث ويروى لو أن قطرة من ألم الموت وضعت على جبال الدنيا كلها لذابت*وروى أن ابراهيم عليه السلام لما مات قال الله تعالى له كيف وجدت الموت ياخليلي قال كسفود جعل في صوف رطب ثم جذب فقال أما انا قد هونا عليك وروى عن موسى عليه السلام انه لما صارت روحه الى الله تعالى قال له ربه ياموسي كيف وجدت الموت قال وجدت نفسي كالعصفور حين يقلي على المقلى لايموت فيستريح ولاينجو فيطير*وروي عنه أنه قال وجدت نفسي كشاة حية تسلخ بيد القصاب*وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان عنده قدح من ماء عند الموت فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه و يقول اللهم هون على سكرات الموت وفاطمة رضى الله عنها تقول وا كرباه لكربك ياأبتاه وهو يقول لا كرب على أبيك بعد اليوم*وقال عمر رضى الله عنه لكعب الاحبار يا كعب حدثنا عن الموت فقال نعم ياأمير المؤمنين ان الموت كغصن كثير الشوك أدخل في جوف رجل وأخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فأخذ ماأخذ وأبقى ماأبقى وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعالج كرب الموت وسكراته وان مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول عليك السلام تفارقني وأفارقك الى يوم القيامة فهذه سكرات الموت على أولياء الله وأحبابه فما حالنا ونحن المنهمكون في المعاصي وتتوالى علينا مع

سكرات الموت بقية لدواهي فان دواهي الموت ثلاث الاولى شدة النزع كما ذكرناه الداهية الثانية مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروع والخوف منه على القلب فلو رأى صورته التي يقبض عليها روح العبد المذنب أعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته فقد روى عن ابراهيم الخليل عليه السلام أنه قال لملك الموت هل تستطيع أن تريني صورتك التي تقبض عليها روح الفاجر قال لا تطيق ذلك قال بلى قال فأعرض عني فأعرض عنه ثم التفت فاذا هو برجل أسود قائم الشعر منتن الريح أسود الثياب يخرج من فيه ومناخيره لهيب النار والدخان فغشى على ابراهيم عليه السلام ثم أفاق وقد عاد ملك الموت الى صورته الاولى فقال ياملك الموت لو لم يلق الفاجر عند الموت الا صورة وجهك لكان حسبه * وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان داود عليه السلام كان رجلا غيورا وكان اذا خرج غلق الابواب فغلقها ذات يوم وخرج فأشرفت امرأته فاذا هي برجل في الدار فقالت من أدخل هذا الرجل لئن جاء داود ليلقين منه عناء فجاء داود فرآه فقال من أنت فقال أنا الذي لا أهاب الملوك ولا يمنعهم مني الحجاب فقال فأنت والله اذا ملك الموت وزمل داود عليه السلام مكانه * وروى أن عيسى عليه السلام مر بجمجمة فضربها برجله فقال تكلمي باذن الله فقالت ياروح الله أنا ملك زمان كذا وكذا بينا أنا جالس في ملكي على تاجي وحولي جنودي وحشمي على سرير ملكي اذ بدالي ملك الموت فزال مني كل عضو على حياله ثم خرجت نفسي اليه فياليت ما كان من تلك الجموع كان فرقة ويا ليت ما كان من

ذلك الانس كان وحشة فهذه داهية يلقاها العصاة ويكفاها المطيعون فقد حكي الانبياء مجرّد سكرة النزع دون الروعة التي يدركها من يشاهد صورة ملك الموت كذلك ولو رآها في منامه ليلة لتنغص عليه بقية عمره فكيف برؤيته في مثل تلك الحال * وأما المطيع فانه يراه في أحسن صورة وأجملها فقد روى عكرمة عن ابن عباس أن ابراهيم عليه السلام كان رجلا غيورا وكان له بيت يتعبد فيه فاذا خرج أغلقه فرجع ذات يوم فاذا برجل في جوف البيت فقال من أدخلك داري فقال أدخلنيها ربها فقال أنا ربها فقال أدخلنيها من هو أملك بها مني ومنك فقال من أنت من الملائكة قال أنا ملك الموت قال هل تستطيع أن تريني الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن قال نعم فأعرض عني فأعرض ثم التفت فاذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه فقال يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت الا صورتك كان حسبه ومنها مشاهدة الملكين الحافظين قال وهيب بلغنا أنه ما من ميت يموت حتى يتراءى له ملكاه الكاتبان عمله فان كان مطيعا قالا له جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس صدق أجلستنا وعمل صالح أحضرتنا وان كان فاجرا قالا له لا جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس سوء أجلستنا وعمل غير صالح أحضرتنا وكلام قبيح أسمعتنا فلا جزاك الله عنا خيرا فذلك شخوص بصر الميت اليهما ولا يرجع الى الدنيا أبدا * الداهية الثالثة مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وخوفهم قبل المشاهدة فانهم في حال السكرات قد تخاذلت قواهم واستسلمت للخروج أرواحهم ولن تخرج أرواحهم ما لم يسمعوا نغمة ملك الموت باحدى

البشر يين اما أبشر ياوعدو الله بالنار أو أبشر ياولي الله بالجنة ومن هذا كان خوف أرباب الالباب وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يري مقعده من الجنة أو النار

﴿ الباب الخامس والاربعون في بيان القبر وسؤاله ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يابن آدم ماغرك بي ألم تعلم أني بيت الفتنة و بيت الظلمة و بيت الوحدة و بيت الدود ماغرك بي اذ كنت تمر بي فذاذا فان كان مصلحا أجاب عنه مجيب للقبر فيقول أرأيت ان كان يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر فيقول القبر اني اذا أتحول عليه خضرا ويعود جسده نورا وتصعد روحه الي الله تعالي والفذاذ هو الذي يقدم رجلا ويؤخر أخري هكذا فسره الراوي وقال عبيد بن عمير الليثي ليس من ميت يموت الا نادته حفرته التي يدفن فيها أنا بيت الظلمة والوحدة والانفراد فان كنت في حياتك لله مطيعا كنت عليك اليوم رحمة وان كنت عاصيا فأنا اليوم عليك نقمة أنا الذي من دخلني مطيعا خرج مسرورا ومن دخلني عاصيا خرج مثبورا وقال محمد بن صبيح بلغنا أن الرجل اذا وضع في قبره فعذب أو أصابه بعض مايكره ناداه جيرانه من الموتي أيها المتخلف في الدنيا بعد اخوانه وجيرانه أما كان لك فينا معتبر أما كان لك في متقدمنا اياك فكرة أما رأيت انقطاع أعمالنا عنا وأنت في المهلة فهلا استدركت مافات اخوانك وتناديه بقاع الارض أيها المغتر بظاهر الدنيا هلا

اعتبرت بمن غيب من أهلك في بطن الارض ممن غرته الدنيا قبلك ثم سبق بأجله الى القبور وأنت تراه محمولا تهاداه أحبته الى المنزل الذي لابد له منه * وقال يزيد الرقاشي بلغني أن الميت اذا وضع في قبره احتوشته أعماله ثم أنطقها الله فقالت أيها العبد المنفرد في حفرته انقطع عنك الاخلاء والاهلون فلا أنيس لك اليوم عندنا * وقال كعب اذا وضع العبد الصالح في القبر احتوشته أعماله الصالحة الصلاة والصيام والحج والجهاد والصدقة قال فتجيء ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة اليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد أطال بي القيام لله عليهما فيأتونه من قبل رأسه فيقول الصيام لا سبيل لكم عليه فقد أطال ظمأه لله في دار الدنيا فلا سبيل لكم عليه فيأتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد اليكم عنه فقد أنصب نفسه وأتعب بدنه وحج وجاهد لله فلا سبيل لكم عليه قال فيأتونه من قبل يديه فتقول الصدقة كفوا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت في يد الله تعالى ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه قال فيقال له هنيئا طبت حيا وطبت ميتا قال وتأتيه ملائكة الرحمة فتفرش له فراشا من الجنة ودثارا من الجنة ويفسح له في قبره مد بصره ويؤتي بقنديل من الجنة فيستضيء بنوره الى يوم يبعثه الله من قبره * وقال عبيد الله بن عبيد بن عمير في جنازة بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الميت يقعد وهو يسمع خطو مشيعيه فلا يكلمه شيء الا قبره يقول ويحك ابن آدم أليس قد حذرتني وحذرت ضيقي ونتني وهولي ودودي فماذا أعددت لي * وقال البراء بن عازب خرجنا مع

رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الانصار فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره منكسا رأسه ثم قال اللهم اني أعوذ بك من عذاب القبر ثلاثا ثم قال ان المؤمن اذا كان في قبل من الآخرة بعث الله ملائكة كأن وجوههم الشمس معهم حنوطه وكفنه فيجلسون مد بصره فاذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والارض وكل ملك في السماء وفتحت أبواب السماء فليس منها باب الايحب أن يدخل بروحه منه فاذا صعد بروحه قيل اى رب عبدك فلان فيقول ارجعوه فأروه ماأعددت له من الكرامة فاني وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم الآية وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال ياهذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم قال فينتهرانه انتهارا شديدا وهي آخر فتنة تعرض على الميت فاذا قال ذلك نادي مناد أن قد صدقت وهو معنى قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الآية ثم يأتيه آت حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول أبشر برحمة ربك وجنات فيها نعيم مقيم فيقول وأنت فبشرك الله بخير من أنت فيقول أنا عملك الصالح والله علمت ان كنت لسريعا الى طاعة الله تعالي بطيئا عن معصية الله فجزاك الله خيرا قال ثم ينادي مناد أن افرشوا له من فرش الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فيفرش له من فرش الجنة ويفتح له باب الى الجنة فيقول اللهم عجل قيام الساعة حتى أرجع الي أهلي ومالي قال وأما الكافر فانه اذا كان في قبل من الآخرة وانقطاع

من الدنيا أنزلت اليه ملائكة غلاظ شداد معهم ثياب من نار وسرابيل من قطران فيحتوشونه فاذا خرجت نفسه لعنه كل ملك بين السماء والارض وكل ملك في السماء وغلقت أبواب السماء فليس منها باب الا يكره أن يدخل بروحه منه فاذا صعد بروحه نبذ وقيل أى رب عبدك فلان لم تقبله سماء ولا أرض فيقول الله عز وجل ارجعوه فأروه ماأعددت له من الشر انى وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم الآية وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال له ياهذا من ربك ومن نبيك وما دينك فيقول لا أدري فيقال له لادريت ثم يأتيه آت قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب فيقول أبشر بسخط الله وبعذاب أليم مقيم فيقول بشرك الله بشر من أنت فيقول أنا عملك الخبيث والله ان كنت لسريعا في معصية الله بطيئا عن طاعة الله فجزاك الله شرا فيقول وأنت فجزاك الله شرا ثم يقيض له أصم أعمى أبكم معه مرزبة من حديد لو اجتمع عليها الثقلان على أن يقلوها لم يستطيعوا لو ضرب بها جبل صار ترابا فيضربه بها ضربة فيصير ترابا ثم تعود فيه الروح فيضربه بها بين عينيه ضربة يسمعها من على الارضين ليس الثقلين قال ثم ينادى مناد أن افرشوا له لوحين من نار وافتحوا له بابا الى النار فيفرش له لوحان من نار ويفتح له باب الى النار وقال محمد بن على مامن ميت يموت الا مثل له عند الموت أعماله الحسنة وأعماله السيئة قال فيشخص الى حسناته ويطرق عن سيئاته وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا احتضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر الريحان فتسل روحه

كما تسل الشعرة من العجين ويقال أيتها النفس المطمئنة اخرجي راضية ومرضيا عنك الي روح الله وكرامته فاذا أخرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت عليها الحريرة وبعث بها الى عليين وان الكافر اذا احتضر أتته الملائكة بمسح فيه جمرة فتنزع روحه انتزاعا شديدا ويقال أيتها النفس الخبيثة اخرجي ساخطة ومسخوطا عليك الى هوان الله وعذابه فاذا أخرجت روحه وضعت على تلك الجمرة وان لها لنشيشا و يطوى عليها المسح ويذهب بها الى سجين» وعن محمد بن كعب القرظي أنه كان يقرأ قوله تعالى حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت قال أي شئ تريد وفي أي شئ ترغب أتريد أن ترجع لتجمع المال وتغرس الغراس وتبني البنيان وتشقق الانهار قال لعلي أعمل صالحا فيما تركت قال فيقول الجبار كلا انها كلمة هو قائلها أي ليقولنها عند الموت وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب له في قبره سبعون ذراعا ويضئ حتى يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون فيما ذا أنزلت فان له معيشة ضنكا قالوا الله ورسوله أعلم قال في عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا هل تدرون ما التنين تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة رؤس يخدشونه ويلحسونه وينفخون في جسمه الى يوم يبعثون ولا ينبغي أن يتعجب من هذا العدد على الخصوص فان عدد هذه الحيات والعقارب بعدد الاخلاق المذمومة من الكبر والرياء والحسد والغل والحقد وسائر الصفات فان لها أصولا معدودة ثم تتشعب منها

فروع معدودة ثم تنقسم فروعها بأقسام وتلك الصفات باعيانها هي المهلكات وهي باعيانها تنقلب عقارب وحيات فالقوى منها يلدغ لدغ التنين والضعيف يلدغ لدغ العقرب وما بينهما يؤذي ايذاء الحية وأرباب القلوب والبصائر يشاهدون بنور البصيرة هذه المهلكات وانشعاب فروعها الا أن مقدار عددها لا يوقف عليه الا بنور النبوة فأمثال هذه الاخبار لها ظواهر صحيحة وأسرار خفية ولكنها عند أرباب البصائر واضحة فمن لم تنكشف له حقائقها فلا ينبغي أن ينكر ظواهرها بل أقل درجات الايمان التصديق والتسليم

﴿ الباب السادس والاربعون في بيان علم اليقين وعين اليقين والسؤال يوم العرض ﴾

قال الله تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين يعني لو تعلمون أمر القيامة باليقين لالهاكم عن ذلك أي عن التكاثر والتفاخر ولفعلتم ماينفعكم من الخير ولتركتم مالاينفعكم ويقال حقا لو تعلمون علم اليقين كما يعلمه الرسل ان المال والحساب في الفخر لاينفعكم يوم القيامة ماافتخرتم بالمال وكثرة العدد لترون الجحيم أقسم الرب انكم لترون النار وشدتها يوم القيامة عيانا ثم لترونها عين اليقين يعني لترون الجحيم الرؤية التي هي نفس اليقين وهي المشاهدة والمعاينة التي لاشك فيها *فان قيل ماالفرق بين علم اليقين وعين اليقين *قيل له علم اليقين كان للانبياء بنبوتهم وعين اليقين للملائكة لانهم لايعاينون الجنة والنار واللوح والقلم والعرش والكرسي فتكون لهم عين اليقين *وان شئت قلت علم اليقين علم الموت والقبور

الاحياء لانهم يعرفون بان الاموات في القبور ولكن لايدرون كيف حالهم فيها وعين اليقين الاموات لانهم عاينوا القبور اما روضة من رياض الجنة واما حفرة من حفر النار*وان شئت قلت علم اليقين علم القيامة وعين اليقين معاينة القيامة وأهوالها*وان شئت قلت علم اليقين علم الجنة والنار وعين اليقين الرؤية ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم يعني لتسئلن يوم القيامة عن نعيم الدنيا من صحة الابدان والاسماع والابصار والمكاسب وملاذ المآكل والمشارب وغير ذلك هل أديتم شكرها لموليها وعرفتموه بها أم كفرتم بها * أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن زيد بن أسلم عن أبيه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ألهاكم التكاثر يعني عن الطاعات حتى زرتم المقابر يقول حتى يأتيكم الموت كلا سوف تعلمون يعني لو قد دخلتم قبوركم ثم كلا سوف تعلمون يقول لو قد خرجتم من قبوركم الى محشركم كلا لو تعلمون علم اليقين قال لو قد وقفتم على أعمالكم بين يدي ربكم لترون الجحيم وذلك لان الصراط يوضع وسط جهنم فناج مسلم ومخدوش مسلم ومكدوش في نار جهنم ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم يعني شبع البطون وبارد الشراب وظلال المساكن واعتدال الخلق ولذة النوم*وعن علي رضي الله عنه قال النعيم العافية وعنه قال من أكل خبز البر وشرب من الفرات مبردا وكان له منزل يسكنه فذلك من النعيم الذي يسئل عنه*وعن أبي قلابة عن النبي صلى الله عليه وسلم في الآية قال ناس من أمتي يعقدون السمن والعسل النقي فيأكلونه وعن عكرمة قال لما نزلت هذه الآية قال الصحابة يارسول الله أي نعيم

نحن فيه وانما نأكل في أصاف بطوننا خبز الشعير فاوحى الله الي نبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم أليس تحتذون النعال وتشربون الماء البارد فهذا من النعيم* وروي الترمذي وغيره انه لما نزلت ألهاكم التكاثر فقرأ حتى بلغ النعيم قالوا يارسول الله أى نعيم نسئل عنه وانما هما الاسودان الماء والتمر وسيوفنا على رقابنا والعدو حاضر فمن أى نعيم نسئل قال أما ان ذلك سيكون* وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول مايسئل العبد عنه يوم القيامة من النعيم أن يقال له ألم اصح لك جسمك ونروك من الماء البارد* وروي مسلم وغيره عن ابي هريرة رضى الله عنه قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم فاذا هو بأبي بكر وعمر فقال ماأخرجكما من بيوتكما الساعة قالا الجوع يارسول الله قال والذي نفسي بيده لاخرجني الذي أخرجكما فقوما فقاما معه فأتى رجلا من الانصار فاذا هو ليس في بيته فلما رأته المرأة قالت مرحبا فقال النبي صلى الله عليه وسلم أين فلان فقالت انطلق يستعذب لنا الماء اذ جاء الانصارى فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فقال الحمد لله ماأحد اليوم أكرم أضيافا مني فانطلق فجاء بعذق فيه بسر وتمر فقال كلوا من هذا وأخذ المدية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك والحلوب فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما شبعوا ورووا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر رضي الله عنهما والذي نفسي بيده لتسئلن عن هذا النعيم يوم القيامة

﴿ الباب السابع والاربعون في فضل ذكر الله تعالى ﴾

قال الله تعالى فاذكروني أذكركم قال ثابت البناني رحمه الله اني اعلم متى يذكرني ربي عز وجل ففزعوا منه وقالوا كيف تعلم ذلك فقال اذا ذكرته ذكرني وقال تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا وقال تعالى فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وقال عز وجل فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا وقال تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وقال تعالى فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم قال ابن عباس رضى الله عنهما أي بالليل والنهار في البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية وقال تعالى في ذم المنافقين ولا يذكرون الله الا قليلا وقال عز وجل واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين وقال تعالى ولذكر الله أكبر قال ابن عباس رضى الله عنهما له وجهان أحدهما أن ذكر الله تعالى لكم أعظم من ذكركم اياه والآخر أن ذكر الله أعظم من كل عبادة سواه الى غير ذلك من الآيات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط الهشيم وقال صلى الله عليه وسلم ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل بين الفارين وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت شفتاه بي وقال صلى الله عليه وسلم ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل قالوا يارسول

الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله الا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع وقال صلى الله عليه وسلم من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل * وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الاعمال أفضل فقال أن تموت ولسانك رطب بذكر الله عز وجل * وقال صلى الله عليه وسلم أصبح وأمس ولسانك رطب بذكر الله تصبح وتمسي وليس عليك خطيئة * وقال صلى الله عليه وسلم لذكر الله عز وجل بالغداة والعشي أفضل من حطم السيوف في سبيل الله ومن اعطاء المال سحا * وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى اذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي واذا ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير من ملئه واذا تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا واذا تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا واذا مشى الى هرولت اليه يعني بالهرولة سرعة الاجابة * وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله عز وجل في ظله يوم لا ظل الا ظله من جملتهم رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من خشية الله وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من اعطاء الورق والذهب وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربون أعناقهم ويضربون أعناقكم قالوا وما ذاك يا رسول الله قال ذكر الله عز وجل دائما * وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل من شغله ذكري عن مسئلتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين * وقال الفضيل بلغنا أن الله عز وجل قال يا عبدي اذكرني بعد الصبح ساعة وبعد العصر

ساعة أكفك ما بينهما وقال بعض العلماء ان الله عز وجل يقول أيما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه *وقال الحسن الذكر ذكران ذكر الله عز وجل بين نفسك وبين الله عز وجل ما أحسنه وأعظم أجره وأفضل من ذلك ذكر الله سبحانه عند ما حرم الله عز وجل *ويروى أن كل نفس تخرج من الدنيا عطشى الا ذاكر الله عز وجل *وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه ليس يتحسر أهل الجنة على شئ الا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله سبحانه فيها *وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله عز وجل الا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده *وقال صلى الله عليه وسلم ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك الا وجهه الا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفورا لكم قد بدلت لكم سيآتكم حسنات *وقال صلى الله عليه وسلم ما قعد قوم مقعدا لم يذكروا الله سبحانه وتعالى فيه ولم يصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم حسرة يوم القيامة وقال داود صلى الله عليه وسلم الهى اذا رأيتني أجاوز مجالس الذاكرين الى مجالس الغافلين فاكسر رجلى دونهم فانها نعمة تنعم بها على *وقال صلى الله عليه وسلم المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفى ألف مجلس من مجالس السوء *وقال أبو هريرة رضى الله عنه ان أهل السماء ليتراءون بيوت أهل الارض التي يذكر فيها اسم الله تعالى كما تتراءى النجوم *وقال سفيان بن عيينة رحمه الله اذا اجتمع قوم يذكرون الله تعالى اعتزل الشيطان والدنيا فيقول

الشيطان للدنيا ألا ترين ما يصنعون فتقول الدنيا دعهم فانهم اذ تفرقوا أخذت باعناقهم اليك * وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه دخل السوق وقال أراكم ههنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم في المسجد فذهب الناس الى المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثا فقالوا يا أبا هريرة ما رأينا ميراثا يقسم في المسجد قال فماذا رأيتم قالوا رأينا قوما يذكرون الله عز وجل ويقرؤن القرآن قال فذلك ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم * وروى الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ان لله عز وجل ملائكة سياحين في الارض فضلا عن كتاب الناس فاذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تنادوا هلموا الى بغيتكم فيجيؤن فيحفون بهم الى السماء فيقول الله تبارك وتعالى أي شيء تركتم عبادي يصنعونه فيقولون تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويسبحونك فيقول الله تبارك وتعالى وهل رأوني فيقولون لا فيقول جل جلاله كيف لو رأوني فيقولون لو رأوك لكانوا أشد تسبيحا وتحميدا وتمجيدا فيقول لهم من أي شيء يتعوذون فيقولون من النار فيقول تعالى وهل رأوها فيقولون لا فيقول الله عز وجل فكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا أشد هربا منها وأشد نفورا فيقول الله عز وجل وأي شيء يطلبون فيقولون الجنة فيقول تعالى وهل رأوها فيقولون لا فيقول تعالى فكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا أشد عليها حرصا فيقول جل جلاله اني أشهدكم أني قد غفرت لهم فيقولون كان فيهم فلان لم يردهم انما جاء لحاجة فيقول الله عز وجل هم القوم لا يشقى جليسهم * وقال صلى الله عليه وسلم

أفضل ماقلت أنا والنبيون من قبلي لااله الا الله وحده لاشريك له
*وقال صلى الله عليه وسلم من قال لااله الا الله وحده لاشريك له له الملك
وله الحمد وهو على كل شيء قدير كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر
رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من
الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به الا أحد
عمل أكثر من ذلك * وقال صلى الله عليه وسلم مامن عبد توضأ
فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال أشهد أن لااله الا الله
وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الا فتحت له أبواب
الجنة يدخل من أيها شاء

(الباب الثامن والاربعون في فضائل الصلاة)

قال الله تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا *وقال صلى
الله عليه وسلم خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن ولم يضيع
منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم
يأت بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء أدخله الجنة *وقال
صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر بباب
أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك يبقى من درنه
قالوا لاشيء قال صلى الله عليه وسلم فان الصلوات الخمس تذهب الذنوب
كما يذهب الماء الدرن * وقال صلى الله عليه وسلم ان الصلوات كفارة
لما بينهن ما اجتنبت الكبائر كما قال الله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات
ومعني يذهبنها يكفرنها حتى كأنها لم تكن* وأخرج البخاري ومسلم وأهل

السنن وغيرهم عن ابن مسعود أن رجلا أصاب من امرأة قبلة فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له كأنه يسأل عن كفارتها فأنزلت عليه وأقم الصلاة طرفي النهار الآية فقال الرجل يارسول الله ألي هذا قال هي لمن عمل بها من أمتي * وأخرج أحمد ومسلم وغيرهما عن أبي أمامة أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أقم في حد الله مرة أو مرتين فأعرض عنه ثم أقيمت الصلاة فلما فرغ قال أين الرجل قال أنا ذا قال أتممت الوضوء وصليت معنا آنفا قال نعم قال فانك من خطيئتك كيوم ولدتك أمك فلا تعد وأنزل الله حينئذ على رسوله وأقم الصلاة طرفي النهار الآية وقال صلى الله عليه وسلم بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونهما * وقال صلى الله عليه وسلم من لقى الله وهو مضيع للصلاة لم يعبأ الله بشيء من حسناته * وقال صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين * وسئل صلى الله عليه وسلم أي الاعمال أفضل فقال الصلاة لمواقيتها * وقال صلى الله عليه وسلم من حافظ على الخمس باكمال طهورها ومواقيتها كانت له نورا وبرهانا يوم القيامة ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان * وقال صلى الله عليه وسلم مفتاح الجنة الصلاة وقال ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب اليه من الصلاة ولو كان شيء أحب اليه منها لتعبد به ملائكته فمنهم راكع ومنهم ساجد ومنهم قائم وقاعد * وقال النبي صلى الله عليه وسلم من ترك صلاة متعمدا فقد كفر أي قارب أن ينخلع عن الايمان باختلال عروته وسقوط عماده كما يقال لمن قارب البلدة انه بلغها ودخلها * وقال صلى الله عليه وسلم من ترك صلاة متعمدا

فقد برئ من ذمة محمد عليه السلام وقال أبو هريرة رضى الله عنه من توضأ فأحسن وضوءه ثم خرج عامدا الى الصلاة فانه في صلاة ماكان يعمد الى الصلاة وانه يكتب له باحدي خطوتيه حسنة وتمحي عنه بالاخرى سيئة فاذا سمع أحدكم الاقامة فلا ينبغي له أن يتأخر فان أعظمكم أجرا أبعدكم دارا قالوا لم ياأباهريرة قال من أجل كثرة الخطا *وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم ماتقرب العبد الى الله بشئ أفضل من سجود خفى *وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم مامن مسلم يسجد لله سجدة الا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها سيئة *وروى أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يجعلني من أهل شفاعتك وأن يرزقني مرافقتك في الجنة فقال صلى الله عليه وسلم أعنى بكثرة السجود وقيل أقرب مايكون العبد من الله تعالى أن يكون ساجدا وهو معني قوله عز وجل واسجد واقترب وقال عز وجل سيماهم في وجوههم من أثر السجود فقيل هو مايلتصق بوجوههم من الارض عند السجود وقيل هو نور الخشوع فانه يشرق من الباطن على الظاهر وهو الاصح وقيل هي الغرر التى تكون في وجوههم يوم القيامة من أثر الوضوء وقال صلي الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول ياويلاه أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت أنا بالسجود فعصيت فلي النار ويروي عن على بن عبد الله بن عباس انه كان يسجد في كل يوم ألف سجدة وكان يسمونه السجاد * ويروي أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كان لايسجد الا على التراب وكان يوسف بن أسباط يقول

يامعشر الشباب بادروا بالصحة قبل المرض فما بقي أحد أحسده الارجل يتم ركوعه وسجوده وقد حيل بيني و بين ذلك وقال سعيد بن جبير ماآسى على شئ من الدنيا الاعلى السجود وقال عقبة بن مسلم مامن خصلة في العبد أحب الى الله عز وجل من رجل يحب لقاء الله عز وجل ومامن ساعة العبد فيها أقرب الى الله عز وجل منه حيث يخر ساجدا وقال أبوهريرة رضى الله عنه أقرب مايكون العبد الى الله عز وجل اذا سجد فأكثروا الدعاء عند ذلك

﴿ الباب التاسع والاربعون في بيان عقوبة تارك الصلاة ﴾

قال تعالي مخبرا عن أصحاب الجحيم ماسلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وأخرج أحمد بين الرجل و بين الكفر ترك الصلاة ومسلم بين الرجل و بين الشرك أو الكفر ترك الصلاة وأبو داود والنسائي ليس بين العبد و بين الكفر الا ترك الصلاة والترمذي بين الكفر والايمان ترك الصلاة وابن ماجه بين العبد و بين الكفر ترك الصلاة * وصح كما رواه الترمذي وغيره أنه صلى الله عليه وسلم قال العهد الذى بيننا و بينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر والطبراني باسناد لابأس به من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر جهارا وفي رواية بين العبد والكفر أوالشرك ترك الصلاة فاذا ترك الصلاة فقد كفر وفي أخرى ليس بين العبد والشرك الاترك الصلاة فاذا تركها فقد أشرك وفي أخرى سندها حسن عرى الاسلام وقواعد الدين ثلاث عليهن أس

الاسلام من ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم شهادة أن لا اله الا الله والصلاة المكتوبة وصوم رمضان وفي أخرى سندها حسن أيضا من ترك منهن واحدة فهو بالله كافر ولا يقبل منه صرف ولا عدل وقد حل دمه وماله والطبراني وغيره باسنادين لا بأس بهما عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بسبع خلال قال لا تشركوا بالله شيأ وان قطعتم أو حرقتم أو صلبتم ولا تتركوا الصلاة تعمدا فمن تركها متعمدا فقد خرج من الملة ولا تركبوا المعصية فانها سخط الله ولا تشربوا الخمر فانها رأس الخطايا كلها الحديث والترمذي كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لا يرون شيأ من الاعمال تركه كفر غير الصلاة وصح خبر بين العبد وبين الكفر والايمان الصلاة فاذا تركها فقد أشرك والبزار لا سهم في الاسلام لمن لا صلاة له ولا صلاة لمن لا وضوء له والطبراني لا ايمان لمن لا أمانة له ولا صلاة لمن لا طهور له ولا دين لمن لا صلاة له انما موضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد وابن ماجه والبيهقي عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم أن لا تشرك بالله شيأ وان قطعت وان أحرقت ولا تترك صلاة مكتوبة متعمدا فمن تركها متعمدا فقد برئت منه الذمة ولا تشرب الخمر فانها مفتاح كل شر والبزار وغيره بسند حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما قام بصري أي ذهب مع بقاء صحة الحدقة قيل نداويك وتدع الصلاة أياما قلت لا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ترك الصلاة لقي الله وهو عليه غضبان والطبراني بسند

لا بأس به في المتابعات أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله علمني عملا اذا أنا عملته دخلت الجنة قال لا تشرك بالله شيأ وان عذبت وحرقت وأطع والديك وان أخرجاك من مالك ومن كل شئ هولك ولا تترك الصلاة متعمدا فان من ترك الصلاة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله الحديث * وفي رواية سندها صحيح لكن فيه انقطاع لا تشرك بالله شيأ وان قتلت وحرقت ولا تعقن والديك وان أمراك أن تخرج من أهلك ومالك ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمدا فان من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله ولا تشربن خمرا فانه أى شربها رأس كل فاحشة واياك والمعصية فان بالمعصية حل سخط الله واياك والفرار من الزحف وان هلك الناس وان أصاب الناس موت فاثبت وأنفق على أهلك من طولك ولا ترفع عصاك عنهم أدبا وأخفهم في الله وابن حبان في صحيحه بكروا بالصلاة في يوم الغيم فانه من ترك الصلاة فقد كفر والطبراني عن أميمة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كنت أصب على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وضوءه فدخل رجل فقال أوصني فقال لا تشرك بالله شيأ وان قطعت وحرقت بالنار ولا تعص والديك وان أمراك أن تخلى من أهلك ودنياك فتخله ولا تشربن خمرا فانها مفتاح كل شر ولا تتركن صلاة متعمدا فمن فعل ذلك فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله الحديث (وأبونعيم) من ترك الصلاة متعمدا كتب الله اسمه على باب النار ممن يدخلها والطبراني والبيهقي من ترك الصلاة فانما وتر أهله وماله والحاكم عن على انه صلى

الله عليه وسلم قال والله يامعشر قريش لتقيمن الصلاة ولتؤتن الزكاة أو لابعثن عليكم رجلا فيضرب أعناقكم على الدين الحديث والبزار لاسهم في الاسلام لمن لاصلاة له ولا صلاة لمن لاوضوء له وأحمد مرسلا أربع فرضهن الله في الاسلام فمن أتى بثلاث لم يغنين عنه شيأ حتى يأتي بهن جميعا الصلاة والزكاة وصيام رمضان وحج البيت والاصبهاني من ترك صلاة متعمدا أحبط الله عمله وبرئت منه ذمة الله حتى يراجع لله عز وجل توبة والطبراني من ترك الصلاة فقد كفر جهارا وأحمد باسناد صحيح لكن فيه انقطاع لاتترك الصلاة متعمدا فانه من ترك الصلاة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله ورسوله وابن أبي شيبة والبخاري في تاريخه موقوفا على علي رضي الله عنه قال من لم يصل فهو كافر ومحمد بن نصر وابن عبد البر موقوفا على ابن عباس من ترك الصلاة فقد كفر وابن نصر موقوفا على ابن مسعود قال من ترك الصلاة فلا دين له وابن عبد البر موقوفا على جابر من لم يصل فهو كافر وابن عبد البر وغيره موقوفا على أبي الدرداء قال لا ايمان لمن لاصلاة له ولا صلاة لمن لاوضوء له وقال ابن أبي شيبة قال النبي صلى الله عليه وسلم من ترك الصلاة فقد كفر وقال محمد بن نصر سمعت اسحق يقول صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن تارك الصلاة كافر وكذلك كان رأي أهل العلم من لدن النبي صلى الله عليه وسلم أن تارك الصلاة عمدا من غير عذر حتى يذهب وقتها كافر وقال أيوب ترك الصلاة كفر لايختلف فيه وقال تعالى فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا

الا من تاب قال ابن مسعود ليس معنى أضاعوها تركوها بالكلية ولكن أخروها عن أوقاتها وقال سعيد بن المسيب امام التابعين هو أن لا يصلى الظهر حتي تأتى العصر ولا يصلى العصر الى المغرب ولا يصلي المغرب الي العشاء ولا يصلى العشاء الي الفجر ولا يصلى الفجر الى طلوع الشمس فمن مات وهو مصر على هذه الحالة ولم يتب أوعده الله بغي وهو واد في جهنم بعيد قعره شديد عقابه وقال تعالى ياأيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون قال جماعة من المفسرين المراد بذكر الله هنا الصلوات الخمس فمن اشتغل عن الصلاة في وقتها بماله كبيعه أو صنعته أو ولده كان من الخاسرين ولهذا قال صلى الله عليه وسلم أول مايحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته فان صلحت فقد أفلح وأنجح وان نقصت فقد خاب وخسر وقال تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون قال صلي الله عليه وسلم هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها وأخرج أحمد بسند جيد والطبراني وابن حبان في صحيحه أنه صلي الله عليه وسلم ذكر الصلاة يوما فقال من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف قال بعض العلماء وانما حشر مع هؤلاء لانه ان اشتغل عن الصلاة بماله أشبه قارون فيحشر معه أو بملكه أشبه فرعون فيحشر معه أو بوزارته أشبه هامان فيحشر معه أو بتجارته أشبه أبي بن خلف تاجر كفار مكة فيحشر معه والبزار عن سعد بن أبي وقاص

قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل الذين هم عن صلاتهم ساهون قال هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها وأبو يعلى بسند حسن عن مصعب بن سعد قال قلت لابي ياأبتاه أرأيت قوله تعالى الذين هم عن صلاتهم ساهون أينا لا يسهو أينا لايحدث نفسه قال ليس ذاك انما هو اضاعة الوقت والويل شدة العذاب وقيل واد فى جهنم لوسير فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره فهو مسكن من يتهاون بالصلاة ويؤخرها عن وقتها الا أن يتوب الى الله تعالى ويندم على مافرط وابن حبان فى صحيحه من فاتته صلاة فكانما وتر أهله وماله والحاكم بسند فيه من اختلف فى توثيقه والاكثر على عدمه من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى بابا من أبواب الكبائر والشيخان والاربعة الذي تفوته صلاة العصر كانما وتر أهله وماله زاد ابن خزيمة فى صحيحه قال مالك تفسيره ذهاب الوقت والنسائي من الصلاة صلاة من فاتته فكانما وتر أهله وماله يعني العصر ومسلم والنسائي ان هذه الصلاة يعنى العصر عرضت على من كان قبلكم فضيعوها فمن حافظ منكم اليوم عليها كان له أجره مرتين ولا صلاة بعدها حتي يطلع الشاهد أى النجم وأحمد والبخاري والنسائى من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله وأحمد باسناد صحيح وابن أبي شيبة من ترك صلاة العصر متعمدا حتي تفوته فقد حبط عمله وابن أبي شيبة مرسلا من ترك العصر حتي تغيب الشمس من غير عذر فقد حبط عمله وعبد الرزاق لان يوتر أحدكم أهله وماله خير له من أن يفوته وقت صلاة العصر والطبراني وأحمد من ترك صلاة

العصر متعمدا حتى تغرب الشمس فكانما وتر أهله وماله والشافعي والبيهقي من فاته الصلاة فكانما أوتر أهله وماله والبخاري عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلي الله عليه وسلم مما يكثر أن يقول لاصحابه هل رأى أحد منكم رؤيا فيقص عليه ماشاء الله أن يقص وأنه قال لنا ذات غداة انه أتاني الليلة آتيان وانهما انبعثا بي وانهما قالا لي انطلق واني انطلقت معهما وانا أتينا على رجل مضطجع واذا آخر قائم عليه بصخرة واذا هو يهوى بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه فيتدهده الحجر أي فيتدحرج فيأخذه فلا يرجع اليه حتي يصح رأسه كما كان ثم يعود عليه فيفعل به مثل مافعل في المرة الاولى قال قلت لهما سبحان الله ماهذا قالا لي انطلق انطلق فأتينا على رجل مستلق على قفاه واذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد واذا هو يأتي أحد شقي وجهه فيشرشر أي يشق شدقه الى قفاه ومنخره الى قفاه وعيناه الى قفاه قال وربما قال أبو رجاء فيشق قال ثم يتحول الى الجانب الآخر فيفعل به مثل مافعل بالجانب الاول قال فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان ثم يعود عليه فيفعل مثل مافعل في المرة الاولى قال قلت سبحان الله ماهذا قالا لي انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على مثل التنور قال فأحسب انه كان يقول فاذا فيه لغط وأصوات قال فاطلعنا عليه فاذا فيه رجال ونساء عراة واذاهم يأتيهم لهب من أسفل منهم فاذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا أى بفتح المعجمتين وسكون الواوين صياح مع انضمام وفزع قال قلت ماهؤلاء قالا لي انطلق انطلق قال فانطلقنا فاتينا

على نهر حسبت أنه كان يقول أحمر مثل الدم واذا في النهر رجل سابح يسبح واذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة فيلقمه حجرا فينطلق فيسبح ثم يرجع اليه كلما رجع اليه فغرأي بفاء فمعجمة مفتوحتين فتح فاه فالقمه حجرا قلت لهما ماهذا قالا لى انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على رجل كريه المرآة كأكره ماأنت راء رجلا مرئيا واذا عنده نار يحشها أي بمهملة مضمومة فمعجمة يوقدها ويسعى حولها قال قلت لهما ماهذا قالا لى انطلق انطلق فانطلقنا على روضة معتمة أي طويلة النبات من أعتم اذا طال فيها من كل نور الربيع واذا بين ظهراني الروضة رجل طوال لا أكاد أري رأسه طولا في السماء واذا حول الرجل من أكثر ولدان رأيتهم قال قلت ماهذا ماهؤلاء قالا لى انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على دوحة عظيمة لم أر دوحة قط أعظم ولا أحسن منها قالا لى ارق فيها فارتقينا فيها الى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فأتينا باب المدينة فاستفتحنا ففتح لنا فدخلناها فتلقانا رجال شطر من خلقهم كأحسن ماأنت راء وشطر منهم كاقبح ما أنت راء قالا لهم اذهبوا فقعوا في ذلك النهر قال واذا النهر معترض يجرى كان ماءه المحض أي الخالص في البياض فذهبوا فوقعوا ثم رجعوا الينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في أحسن صورة قالا لى هذه جنة عدن وهذا منزلك قالا فسما أي ارتفع بصري صعدا بضمتين الي فوق فاذا قصر مثل الربابة أي السحابة البيضاء قال قالا لى هـذا منزلك قال قلت لهما بارك الله فيكما فذراني فأدخله قالا أما الآن فلا وأنت داخله قال قلت

لهما فاني رأيت منذ الليلة عجبا فما هذا الذي رأيت قالا لي انا سنخبرك أما الرجل الاول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر فانه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة وأما الرجل الذي أتيت عليه يشرشر شدقه الي قفاه ومنخره الى قفاه وعيناه الي قفاه فانه الرجل يغد ومن بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق وأما الرجال والنساء العراة الذين هم في مثل بناء التنور فانهم الزناة والزواني وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجر فانه آكل الربا وأما الرجل الكريه المرآة الذي عند النار يحشها ويسعي حولها فانه مالك خازن النار وأما الرجل الطوال الذي في الروضة فانه ابراهيم وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة فقال بعض المسلمين يارسول الله وأولاد المشركين فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم وأولاد المشركين وأما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح فانهم قوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا تجاوز الله عنهم وفي حديث البزار قال ثم أتى النبي صلي الله عليه وسلم على قوم ترضخ رؤسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شئ قال ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين تثاقلت رؤسهم عن الصلاة وأخرج الخطيب وابن النجار علم الاسلام الصلاة فمن فرغ لها قلبه وحافظ عليها بحدها ووقتها وسننها فهو مؤمن وابن ماجه قال الله تعالى افترضت على أمتك خمس صلوات وعهدت عندي عهدا أن من حافظ عليهن لوقتهن أدخلته الجنة ومن لم يحافظ عليهن فلا عهد له عندي وأحمد والحاكم من علم

أن الصلاة عليه حق واجب وأداها دخل الجنة والترمذي وقال حسن غريب والنسائي وابن ماجه أول مايحاسب به العبد يوم القيامة من عمله الصلاة فان صلحت فقد أفلح وأنجح وان فسدت فقد خاب وخسر وان انتقص من فريضته قال الرب انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل بها ماانتقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله على ذلك والنسائي أول مايحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة وأول مايقضى به بين الناس في الدماء *وأحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم أول مايحاسب به العبد يوم القيامة صلاته فان كان أتمها كتبت له تامة وان لم يكن أتمها قال للملائكة انظروا هل تجدون لعبدى من تطوع فيكملون بها فريضته ثم الزكاة كذلك ثم تؤخذ الاعمال على حسب ذلك والطبراني أول مايسئل عنه العبد يوم القيامة ينظر في صلاته فان صلحت فقد أفلح وان فسدت فقد خاب وخسر *وابن عساكر أول مايحاسب به العبد صلاته فان صلحت صلح سائر عمله وان فسدت فسد سائر عمله ثم يقول انظروا هل لعبدي نافلة فان كانت له أتم بها الفريضة ثم الفرائض كذلك امائدة الله ورحمته وأحمد وأبو داود والنسائي والحاكم أول مايحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة فيقول ربنا عزوجل للملائكة وهو أعلم انظروا في صلاة عبدى أتمها أم نقصها فان كانت تامة كتبت تامة وان كان انتقص منها شيئا قال انظروا هل لعبدى من تطوع فان كان له تطوع أتموا لعبدي فريضته من تطوعه ثم يأخذ الاعمال على ذاكم والطيالسي والطبراني والضياء في المختارة أتاني جبريل

من عند الله تبارك وتعالي فقال يا محمد ان الله عز وجل يقول انى افترضت علي أمتك خمس صلوات فمن أوفى بهن علي وضوئهن ومواقيتهن وركوعهن وسجودهن كان له بهن عهد أن أدخله الجنة ومن لقيني قد انتقص من ذلك شيئا فليس له عندي عهد ان شئت عذبته وان شئت رحمته والبيهقى الصلاة ميزان فمن أوفي استوفى والديلمى الصلاة تسود وجه الشيطان والصدقة تكسر ظهره والتحابب في الله والتودد فى العلم يقطع دابره فاذا فعلتم ذلك تباعد منكم كمطلع الشمس من مغربها والترمذي وابن حبان والحاكم اتقوا الله وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأدوا زكاة أموالكم وأطيعوا ذوي أمركم تدخلوا جنة ربكم وأحمد والشيخان وأبو داود والنسائي أحب الاعمال الي الله الصلاة لوقتها ثم بر الوالدين ثم الجهاد في سبيل الله والبيهقى عن عمر رضي الله عنـه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أي الاعمال أحب الي الله في الاسلام فقال الصلاة لوقتها ومن ترك الصلاة فلا دين له والصلاة عماد الدين ولذلك لما طعن عمر رضى الله عنه قيل له الصلاة يا أمير المؤمنين قال نعم أما انه لا حظ لاحد في الاسلام أضاع الصلاة وصلى رضي الله عنه وجرحه يجرى دما وروى الذهبي أنه صلي الله عليه وسلم قال اذا صلي العبد الصلاة فى أول الوقت صعدت الى السماء ولها نور حتى تنتهي الى العرش فتستغفر لصاحبها الي يوم القيامة وتقول له حفظك الله كما حفظتني واذا صلي العبد الصلاة في غير وقتها صعدت الي السماء وعليها ظلمة فاذا انتهت الي السماء تلف كما يلف الثوب الخلق ويضرب بها وجه صاحبها وأخرج أبو داود

أنه صلى الله عليه وسلم قال ثلاث لا يقبل الله منهم صلاتهم وذكر منهم من أتى الصلاة دبارا أي بعد أن تفوته قال بعضهم وورد في الحديث أن من حافظ على الصلاة أكرمه الله بخمس خصال يرفع عنه ضيق العيش وعذاب القبر ويعطيه الله كتابه بيمينه ويمر على الصراط كالبرق ويدخل الجنة بغير حساب ومن تهاون عن الصلاة عاقبه الله بخمس عشرة عقوبة خمس في الدنيا وثلاث عند الموت وثلاث في قبره وثلاث عند خروجه من القبر فأما اللواتي في الدنيا فالاولى تنزع البركة من عمره والثانية تمحى سيما الصالحين من وجهه والثالثة كل عمل يعمله لا يأجره الله عليه والرابعة لا يرفع له دعاء الى السماء والخامسة ليس له حظ في دعاء الصالحين وأما التي تصيبه عند الموت فانه يموت ذليلا والثانية يموت جائعا والثالثة يموت عطشانا ولو سقي بحار الدنيا ماروي من عطشه وأما التي تصيبه في قبره فالاولى يضيق عليه القبر حتى تختلف أضلاعه والثانية يوقد عليه القبر نارا فيتقلب على الجمر ليلا ونهارا والثالثة يسلط عليه في قبره ثعبان اسمه الشجاع الاقرع عيناه من نار وأظفاره من حديد طول كل ظفر مسيرة يوم يكلم الميت فيقول أنا الشجاع الاقرع وصوته مثل الرعد القاصف يقول أمرني ربي أن أضربك على تضييع صلاة الصبح الى طلوع الشمس وأضربك على تضييع صلاة الظهر الى العصر وأضربك على تضييع صلاة العصر الى المغرب وأضربك على تضييع صلاة المغرب الى العشاء وأضربك على صلاة العشاء الى الفجر فكلما ضربه ضربة يغوص في الارض سبعين ذراعا فلا يزال في القبر معذبا الى يوم

القيامة وأما التي تصيبه عند خروجه من القبر في موقف القيامة فشدة الحساب وسخط الرب ودخول النار وفي رواية فانه يأتي يوم القيامة وعلى وجهه ثلاثة أسطر مكتوبات السطر الاول ياضيع حق الله السطر الثاني يامخصوصا بغضب الله السطر الثالث كما ضيعت في الدنيا حق الله فآيس اليوم أنت من رحمة الله وما ذكر في هذا الحديث من تفصيل العدد لايطابق جملة الخمس عشرة لان المفصل أربع عشرة فقط فلعل الراوي نسي الخامس عشر وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال اذا كان يوم القيامة يؤتي برجل فيوقف بين يدي الله عزوجل فيأمر الله به الى النار فيقول يارب بماذا فيقول تعالى بتأخيرك الصلاة عن أوقاتها وحلفك بي كاذبا قال بعضهم أيضا وعن رسول الله صلي الله عليه وسلم أنه قال يوما لاصحابه قولوا اللهم لاتدع فينا شقيا ولا محروما ثم قال صلى الله عليه وسلم أتدرون من الشقي المحروم قالوا ومن هو يارسول الله قال تارك الصلاة قال أيضا ويروي أنه أول ماتسود يوم القيامة وجوه تاركي الصلاة وان في جهنم واديا يقال له لملم فيه حيات كل حية بثخن رقبة البعير طولها مسيرة شهر تلسع تارك الصلاة فيغلى سمها في جسمه سبعين سنة ثم يتهرى لحمه قال و روي أيضا أن امرأة من بني اسرائيل جاءت الي موسي صلى الله على نبينا وعليه وعلى سائر النبيين فقالت يانبي الله أذنبت ذنبا عظيما وقد تبت الى الله تعالي فادع الله أن يغفر لى ذنبي ويتوب علي فقال لها موسى وما ذنبك قالت يانبي الله زنيت وولدت ولدا وقتلته فقال لها موسى على نبينا وعليه الصلاة

والسلام اخرجي يافاجرة لاتنزل نار من السماء تحرقنا بشؤمك فخرجت من عنده منكسرة القلب فنزل جبريل عليه السلام وقال ياموسى الرب تعالى يقول لك لم رددت التائبة ياموسى أماوجدت شرا منها قال موسى ياجبريل ومن شر منها قال من ترك الصلاة عامدا متعمدا وقال أيضا روي عن بعض السلف أنه دفن أختا له ماتت فسقط منه كيس فيه مال في قبرها ولم يشعر به حتى انصرف عن قبرها ثم تذكره فرجع الي قبرها فنبشه بعد ما انصرف الناس فوجد القبر يشتعل عليها نارا فرد التراب عليها ورجع الى أمه باكيا حزينا فقال ياأماه أخبريني عن أختي وما كانت تعمل قالت وما سؤالك عنها قال ياأماه رأيت قبرها يشتعل عليها نارا قال فبكت وقالت ياولدي كانت أختك تتهاون بالصلاة وتؤخرها عن وقتها فهذا حال من يؤخر الصلاة عن وقتها فكيف حال من لا يصلي فنسأل الله تعالى أن يعيننا على المحافظة عليها بكمالاتها في أوقاتها انه جواد كريم رؤف رحيم

﴿ الباب الخمسون في بيان صفات جهنم وعذابها ﴾

قال الله تعالى لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم والمراد بالجزء هنا الحزب والطائفة والفريق وقيل المراد بالابواب الاطباق طبق فوق طبق قال ابن جريج النار سبع دركات وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية فاعلاها للموحدين والثانية لليهود والثالثة للنصارى والرابعة للصابئين والخامسة للمجوس والسادسة للمشركين والسابعة للمنافقين فجهنم أعلى الطبقات ثم

مابعدها تحتها ثم كذلك كذا قيل والمعنى ان الله تعالى يجزئ اتباع ابليس سبعة أجزاء فيدخل كل جزء وقسم دركة من النار والسبب فيه أن مراتب الكفر والمعاصى مختلفة فلذلك اختلفت مراتبهم في النار وقيل جعلت سبعة على وفق الاعضاء السبعة من العين والاذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل لانها مصادر السيآت فكانت مواردها الابواب السبعة وعن على رضى الله عنه قال أطباق جهنم سبعة بعضها فوق بعض فيملأ الاول ثم الثانى ثم الثالث حتى تملأ كلها * وأخرج البخارى فى تاريخه والترمذى عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجهنم سبعة أبواب باب منها لمن سل السيف على أمتي * وروي الطبرانى في الاوسط أن جبريل جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم في حين غير حينه الذي كان يأتيه فيه فقام اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياجبريل مالى أراك متغير اللون فقال ماجئتك حتى أمر الله عز وجل بمنافخ النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياجبريل صف لى النار أوانعت جهنم فقال جبريل ان الله تبارك وتعالى أمر بجهنم فأوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهى سوداء مظلمة لا يضئ شررها ولا يطفأ لهبها والذى بعثك بالحق نبيا لو أن قدر ثقب ابرة فتح من جهنم لمات من فى الارض كلهم جميعا والذي بعثك بالحق لو أن خازنا من خزنة جهنم برز الى أهل الدنيا لمات من في الارض كلهم جميعا من قبح وجهه ونتن ريحه والذى بعثك بالحق لو أن حلقة من حلق سلسلة أهل

والسلام اخرجي يافاجرة لا تنزل نار من السماء فتحرقنا بشؤمك فخرجت من عنده منكسرة القلب فنزل جبريل عليه السلام وقال ياموسى الرب تعالى يقول لك لم رددت التائبة ياموسى أما وجدت شرا منها قال موسى ياجبريل ومن شر منها قال من ترك الصلاة عامدا متعمدا وقال أيضا روي عن بعض السلف أنه دفن أختا له ماتت فسقط منه كيس فيه مال في قبرها ولم يشعر به حتى انصرف عن قبرها ثم تذكره فرجع الى قبرها فنبشه بعد ما انصرف الناس فوجد القبر يشتعل عليها نارا فرد التراب عليها ورجع الى أمه باكيا حزينا فقال ياأماه أخبريني عن أختي وما كانت تعمل قالت وما سؤالك عنها قال ياأماه رأيت قبرها يشتعل عليها نارا قال فبكت وقالت ياولدي كانت أختك تتهاون بالصلاة وتؤخرها عن وقتها فهذا حال من يؤخر الصلاة عن وقتها فكيف حال من لا يصلي فنسأل الله تعالى أن يعيننا على المحافظة عليها بكمالاتها في أوقاتها انه جواد كريم رؤف رحيم

﴿ الباب الخمسون في بيان صرصات جهنم وعذابها ﴾

قال الله تعالى لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم والمراد بالجزء هنا الحزب والطائفة والفريق وقيل المراد بالابواب الاطباق طبق فوق طبق قال ابن جريج النار سبع دركات وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية فاعلاها للموحدين والثانية لليهود والثالثة للنصارى والرابعة للصابئين والخامسة للمجوس والسادسة للمشركين والسابعة للمنافقين فجهنم أعلى الطبقات ثم

مابعدها تحتها ثم كذلك كذا قيل والمعنى ان الله تعالى يجزئ اتباع ابليس سبعة أجزاء فيدخل كل جزء وقسم دركة من النار والسبب فيه أن مراتب الكفر والمعاصى مختلفة فلذلك اختلفت مراتبهم في النار وقيل جعلت سبعة على وفق الاعضاء السبعة من العين والاذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل لانها مصادر السيآت فكانت مواردها الابواب السبعة وعن على رضى الله عنه قال أطباق جهنم سبعة بعضها فوق بعض فيملأ الاول ثم الثانى ثم الثالث حتى تملا كلها *وأخرج البخارى فى تاريخه والترمذى عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجهنم سبعة أبواب باب منها لمن سل السيف على أمتي*وروي الطبرانى في الاوسط أن جبريل جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم في حين غير حينه الذي كان يأتيه فيه فقام اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياجبريل مالى أراك متغير اللون فقال ماجئتك حتى أمر الله عز وجل بمنافخ النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياجبريل صف لى النار أوانعت جهنم فقال جبريل ان الله تبارك وتعالى أمر بجهنم فأوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهى سوداء مظلمة لايضئ شررها ولا يطفأ لهبها والذى بعثك بالحق نبيا لو أن قدر ثقب ابرة فتح من جهنم لمات من فى الارض كلهم جميعا والذي بعثك بالحق لو أن خازنا من خزنة جهنم برز الى أهل الدنيا لمات من في الارض كلهم جميعا من قبح وجهه ونتن ريحه والذى بعثك بالحق لو أن حلقة من حلق سلسلة أهل

النار التي امت الله في كتابه وضعت على جبال الدنيا لارفضت وماتقاوت حتى تنتهي الى الارض السفلى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبي ياجبريل لا ينصدع قلبي فأموت قال فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الي جبريل وهو يبكي فقال تبكي ياجبريل وأنت من الله بالمكان الذي أنت به فقال ومالى لاأبكي وأنا أحق بالبكاء لعلي أكون في علم الله على غير الحالة التي أنا عليها وماأدري لعلي أبتلي بما ابتلى به ابليس فقد كان من الملائكة وماأدري لعلي أبتلي بما ابتلي به هروت وماروت قال فبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل فما زالا يبكيان حتى نوديا أن ياجبريل ويامحمد ان الله تعالى قد آمنكما أن تعصياه فارتفع جبريل وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر بقوم من الانصار يضحكون ويلعبون فقال أتضحكون ووراءكم جهنم فلو تعلمون ماأعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما أسغتم الطعام والشراب ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله عز وجل فنودي يامحمد لاتقنط عبادي انما بعثتك مبشرا ولم أبعثك معسرا فقال صلى الله عليه وسلم سددوا وقاربوا * وروى الامام أحمد انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل مالى لاأرى ميكائيل ضاحكا قط قال ماضحك ميكائيل منذ خلقت النار * وروى مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها

﴿ الباب الحادي والخمسون في بيان عذاب جهنم أيضا ﴾

روي أبوداود والنسائي والترمذى وصححه واللفظ له لما خلق الله

تعالى الجنة والنار أرسل جبريل الى الجنة فقال انظر اليها والى ماأعددت
لاهلها فيها فجاء ونظر اليها والى ماأعد الله لاهلها فيها فرجع اليه
فقال وعزتك لا يسمع بها أحد الادخلها فأمر بها فحفت بالمكاره فقال
ارجع اليها فانظر الى ماأعددت لاهلها فيها فرجع اليها فاذا هي قد حفت
بالمكاره فرجع اليه وقال وعزتك لقد خفت أن لا يدخلها أحد فقال
اذهب الى النار فانظر اليها والى ماأعددت لاهلها فيها فنظر اليها فاذا
هي يركب بعضها بعضا فرجع اليه فقال وعزتك لا يسمع بها أحد
فيدخلها فأمر بها فحفت بالشهوات فقال ارجع اليها فرجع اليها فقال
وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد الادخلها والبيهقي بسند لا بأس به
عن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى انها ترمي بشرر كالقصر قال
أما اني لست أقول كالشجر ولكن كالحصون والمدائن وأحمد وابن ماجه
وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه ويل واد في جهنم يهوي فيه
الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره والترمذي ويل وادبين
جبلين يهوى فيه الكافر سبعين خريفا قبل أن يبلغ قعره وابن ماجه واللفظ له
والترمذي تعوذوا بالله من جب الحزن قالوا يارسول الله وما جب الحزن
قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم أربعمائة مرة قيل يارسول
الله من يدخله قال أعد للقراء المرائين بأعمالهم وان من أبغض القراء
الي الله الذي يزورون الامراء الجورة والطبراني ان في جهنم لواديا
تستعيذ جهنم من ذلك الوادي كل يوم أربعمائة مرة أعد للمرائين من
أمة محمد صلى الله عليه وسلم وابن أبي الدنيا ان في النار سبعين ألف واد
في كل واد سبعون ألف شعب في كل شعب سبعون ألف جحر في كل

حجر حتى تأكل وجوه أهل النار والبخاري في تاريخه بسند فيه نكارة ان في جهنم سبعين ألف واد في كل واد سبعون ألف شعب في كل شعب سبعون ألف دار في كل دار سبعون ألف بيت في كل بيت سبعون ألف بئر في كل بئر سبعون ألف ثعبان في شدق كل ثعبان سبعون ألف عقرب لاينتهي الكافر أوالمنافق حتى يواقع ذلك كله والترمذي بسند فيه انقطاع ان الصخرة العظيمة لتلقى من شفير جهنم فتهوى فيها سبعين خريفا وما تفضى الى قرارها وكان عمر رضى الله عنه يقول أكثروا ذكر النار فان حرها شديد وان قعرها بعيد وان مقامعها حديد والبزار وأبويعلي وابن حبان في صحيحه والبيهقي لوأن حجرا قذف به في جهنم لهوى بها سبعين خريفا قبل أن يبلغ قعرها ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فسمعنا وجبة فقال النبي صلى الله عليه وسلم أتدرون ماهذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا حجر أرسله الله في جهنم منذ سبعين خريفا فالآن حين انتهى الى قعرها والطبراني عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوتا هاله فأتاه جبريل عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماهذا الصوت ياجبريل فقال هذه صخرة هوت من شفير جهنم من سبعين عاما فهذا حين بلغت قعرها فأحب الله تعالى أن يسمعك صوتها فما روى رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا ملء فيه حتى قبضه الله عز وجل وأحمد والترمذي وحسنه لوأن رصاصة مثل هذه وأشار الى الجمجمة أرسلت من السماء الى الارض

وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الارض قبل الليل ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لصارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها وأحمد وأبو يعلي والحاكم وصححه لو أن مقمعا من حديد جهنم وضع في الارض فاجتمع له الثقلان ماأقلوه من الارض والحاكم وصححه لو ضرب الجبل بمقمع من حديد جهنم لتفتت فصار رمادا (المقمع المطراق وقيل السوط) وابن أبي الدنيا ان الحجر الواحد منها لو وضع على جبال الدنيا لذابت منه وان مع كل انسان منهم حجرا وشيطانا والحاكم وصححه ان الارضين السبع بين كل أرض والتي تليها مسيرة خمسمائة عام فالعليا منها على ظهر حوت قد التقى طرفاه في السماء والحوت على صخرة والصخرة بيد ملك والثانية سجن الريح فلما أراد الله تعالى أن يهلك عادا أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحا تهلكهم قال يارب أرسل عليهم من الريح قدر منخر الثور قال له الجبار تبارك وتعالى اذن تكفأ الارض ومن عليها ولكن أرسل عليهم بقدر خاتم فهى التي قال الله في كتابه العزيز ما تذر من شئ أتت عليه الا جعلته كالرميم والثالثة فيها حجارة جهنم والرابعة فيها كبريت جهنم قالوا يارسول الله ألنار كبريت قال نعم والذي نفسى بيده ان فيها لاودية من كبريت لو أرسل فيها الجبال الرواسي لماعت والخامسة فيها حيات جهنم ان أفواهها كالاودية تلسع الكافر اللسعة فلا يبقى منه لحم على وضم والسادسة فيه عقارب جهنم ان أدنى عقرب منها كالبغال الموكفة تضرب الكافر ضربة تنسيه ضربتها حر جهنم والسابعة فيها ابليس مصفد بالحديد يدأمامه ويدخلفه

فاذا أراد الله أن يطلقه لمن شاء من عباده أطلقه وأحمد والطبراني وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه ان في النار حيات كامثال أعناق البخت تلسع احداهن اللسعة فيجد حرها سبعين خريفا وان في النار عقارب كامثال البغال الموكفة تلسع احداهن اللسعة فيجد حموها أربعين سنة والترمذي وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه عنه صلى الله عليه وسلم في قوله تبارك وتعالى كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب الي وجهه سقط فروة وجهه فيه *والترمذي وقال حسن غريب صحيح ان الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ الحميم حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان والحميم الماء الحار الذي يحرق وقال الضحاك الحميم يغلي منذ خلق الله السموات والارض الى يوم يسقونه ويصب على رؤسهم وقيل هو ما يجتمع من دموع أعينهم في حياض النار فيسقونه وقيل غير ذلك وهو المذكور في قوله تبارك وتعالي وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم وأحمد والترمذي وقال غريب والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم عنه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه قال يقرب الي فيه فيكرهه فاذا دنا منه شوي وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره قال الله عز وجل وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم وقال جل ذكره وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وأحمد والحاكم وصححه لو أن دلوا من غساق يهراق في الدنيا لانتن أهل الدنيا والغساق هو المذكور في قوله تعالى فليذوقوه حميم وغساق وقوله تعالي الا حميما وغساقا واختلف فيه

فعند ابن عباس رضى الله عنهما هو مايسيل من جلد الكافر ونحوه وعند آخرين هو صديدهم وقال كعب هو عين في جهنم يسيل اليها حمة كل ذات حمة من حية أو عقرب أو غير ذلك فيستنقع فيؤتى بالآدمي فيغمس فيها غمسة واحدة فيخرج وقد سقط جلده ولحمه عن العظام ويتعلق جلده ولحمه في عقبيه وكعبيه فيجر لحمه كما يجر المرء ثوبه والترمذي وقال حسن صحيح انه صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون فقال صلى الله عليه وسلم لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لافسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه وفي رواية فكيف بمن ليس له طعام غيره وصح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وطعاما ذا غصة شوك يأخذ بالحلق لايدخل ولا يخرج والشيخان مابين منكبي الكافر مسير ثلاثة أيام للراكب المسرع والمنكب مجمع رأس الكتف والعضد وأحمد ضرس الكافر مثل أحد وفخذه مثل البيضاء أي وهو جبل ومقعده من النار كما بين قديد ومكة أي نحو ثلاثة أيام وكثافة جلده اثنان وأربعون ذراعا بذراع الجبار أي ملك باليمن له ذراع معروف المقدار كذا قال ابن حبان وغيره وقيل ملك بالعجم ومسلم ضرس أوقال ناب الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث والترمذي ولفظه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد وفخذه مثل البيضاء ومقعده من النار مسيرة ثلاث من الربذة أى كما بين المدينة والربذة وأحمد بسند جيد ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد وعرض

جلده سبعون ذراعا وعضده مثل البيضاء وفخذه مثل ورقان ومقعده من النار مابيني وبين الربذة وفي رواية ومقعده من النار مسيرة ثلاث مثل الربذة وأحمد والطبراني واسناده قريب من الحسن كما قاله الحافظ المنذري والترمذي عن الفضيل بن يزيد ان الكافر ليسحب لسانه الفرسخ والفرسخين يتوطأه الناس والفضيل بن يزيد عن أبي العجلان ان الكافر ليجر لسانه فرسخين يوم القيامة يتوطأه الناس أخرجه البيهقي وغيره وهو الصواب قال النبي صلى الله عليه وسلم يعظم أهل النار في النار حتى ان بين شحمة أذن أحدهم الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام وان غلظ جلده سبعون ذراعا وان ضرسه مثل أحد وأحمد بسند صحيح والحاكم وصححه عن مجاهد قال ابن عباس أتدري ماسعة جهنم قلت لا قال أجل والله ماتدري ان بين شحمة أذن أحدهم وبين عاتقه مسيرة سبعين خريفا تجري فيه أودية القيح والدم قلت أنهار قال لا بل أودية

﴿ الباب الثاني والخمسون في بيان فضل الخوف من الذنب ﴾

اعلم ان أعظم زاجر عن الذنوب هو خوف الله تعالى وخشية انتقامه وسطوته وحذر عقابه وغضبه وبطشه فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم * جاء أنه صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال كيف تجدك قال أرجو الله يارسول الله وأخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا أعطاه الله مايرجو وآمنه مما يخاف وعن وهب بن الورد قال كان عيسى صلى الله على نبينا وعليه وعلى سائر الانبياء

والمرسلين وسلم يقول حب الفردوس وخشية جهنم يورثان الصبر على المصيبة ويبعد ان المبعدون لذات الدنيا وشهواتها ومعاصيها وعن الحسن قال والله لقد مضى بين أيديكم أقوام لو أنفق أحدهم عدد الحصى ذهبا يخشى أن لاينجو لعظم الذنب في نفسه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تسمعون ماأسمع أطت السماء وحق لها أن تئط والذى نفسى بيده مافيها موضع أربع أصابع الا وملك ساجد لله تعالى أو قائم أو راكع ولو تعلمون ماأعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم أو لصعدتم الى الصعدات أي الجبال تجأرون الي الله تعالى خوفا من عظيم سطوته وشدة انتقامه وفي رواية لاتدرون تنجون أولا تنجون وقال بكر بن عبد الله المزني من أتي الخطيئة وهو يضحك دخل النار وهو يبكي وفي الحديث لو يعلم المؤمن بكل الذى عند الله من العذاب لم يأمن النار وفي الصحيحين قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه وأنذر عشيرتك الاقربين فقال يامعشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيأ يابنى عبد مناف لاأغني عنكم من الله شيأ ياعباس عم رسول الله لاأغني عنك من الله شيأ ياصفية عمة رسول الله لاأغني عنك من الله شيأ يافاطمة بنت محمد سليني من مالى ماشئت لاأغني عنك من الله شيأ * وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت يارسول الله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الي ربهم راجعون يارسول الله هوالذى يزني ويسرق ويشرب الخمر وهو يخاف الله قال لا يابنت الصديق ولكنه الرجل يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف أن لايتقبل منه رواه أحمد وقيل للحسن البصري ياأبا سعيد كيف نصنع

بمجالسة قوم يحدثونا عن الرجاء حتى تكاد قلوبنا تطير فقال له انك والله ان تصحب قوما يخوفونك حتى تدرك أمنا خير لك من أن تصحب أقواما يؤمنونك حتى تلحقك المخاوف ولما طعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقربت وفاته قال لابنه ويلك ضع خدى على الارض لا أم لك وويلي وأي ويلي ان لم يرحمني وقال له ابن عباس ماهذا الخوف ياأمير المؤمنين وقد فتح الله بك الفتوح ومصر بك الامصار وفعل بك وفعل قال وددت أن أنجو لا علىّ ولا لى * وفي رواية لا أجرا ولا وزرا وكان زين العابدين بن على بن الحسين رضى الله عنهم اذا توضأ وفرغ من وضوئه أخذته رعدة فقيل له في ذلك فقال ويحكم أتدرون الي من أقوم ولمن أريد أن أناجي وقال أحمد بن حنبل الخوف يمنعني من أكل الطعام والشراب فما أشتهيه وفي الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم ذكر من السبعة الذين يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لاظل الاظله رجلا ذكر الله أى وعيده وعقابه خاليا ففاضت عيناه أي خوفا مما جناه واقترفه من المخالفات والذنوب * وفي حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عينان لا تمسهما النار عين بكت في جوف الليل من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله تعالى * وفي حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كل عين باكية يوم القيامة الا عينا غضت عن محارم الله وعينا سهرت في سبيل الله وعينا يخرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله تعالى وأخرج الترمذي وقال حسن صحيح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلج أي لا يدخل

النار رجل بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن في الضرع ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم وقال عبدالله بن عمر و بن العاص رضي الله عنهما لان أدمع دمعة من خشية الله أحب الي من أن أتصدق بألف دينار وقال عون بن عبد الله بلغني أنه لا تصيب دموع الانسان من خشية الله مكانا من جسده الا حرم الله ذلك المكان على النار وكان لصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم أزيز كازيز المرجل من البكاء أى فوران وغليان كغليان القدر علي النار وقال الكندي البكاء من خشية الله تطفيء الدمعة منه أمثال البحار من النار وكان ابن السماك يعاتب نفسه ويقول لها تقولين قول الزاهدين وتعملين عمل المنافقين ومع ذلك الجنة تطلبين أن تدخليها هيهات هيهات للجنة قوم آخرون ولهم أعمال غير ما نحن عاملون * وعن سفيان الثوري قال دخلت على جعفر الصادق فقلت له يا ابن رسول الله أوصني قال يا سفيان لا مروأة لكذوب ولا راحة لحسود ولا اخاء لملول ولا سودد لسيء الخلق قلت يا ابن رسول الله زدني قال يا سفيان كف عن محارم الله تكن عابدا وارض بما قسم الله لك تكن مسلما واصحب الناس بما تحب أن يصحبوك به تكن مؤمنا ولا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره أي لحديث المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل وشاور في أمرك الذين يخشون الله قلت يا ابن رسول الله زدني قال يا سفيان من أراد عزا بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فليخرج من ذل معصية الله الى طاعة الله قلت يا ابن رسول الله زدني قال أدبني أبي بثلاث قال لي أى بني ان من يصحب صاحب السوء

لا يسلم ومن يدخل مدخل السوء يتهم ومن لا يملك لسانه يندم وقال ابن المبارك سألت وهيب بن الورد أيجد طعم العبادة من يعصي الله تعالى قال لا ولا من يهم بمعصية الله تعالى وقال الامام أبو الفرج بن الجوزي الخوف هو النار المحرقة للشهوات فاذا فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوة وبقدر ما يكف عن المعصية ويحث على الطاعة وكيف لا يكون الخوف اذا فضيلة وبه تحصل العفة والورع والتقوي والمجاهدة والاعمال الفاضلة التي يتقرب بها الي الله سبحانه وتعالى كما علم من الآيات والاخبار كقوله تعالى هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وقوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وقوله تعالى وخافون ان كنتم مؤمنين وقال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقال تعالى سيذكر من يخشى وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وكل ما دل من الآيات والاحاديث علي فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف لان الخوف ثمرة العلم وأخرج ابن أبي الدنيا أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا اقشعر جسد العبد من مخافة الله عز وجل تحاتت عنه خطاياه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها وقال صلى الله عليه وسلم قال الله سبحانه وتعالى وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين ان أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة وان خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة وقال أبو سليمان الداراني كل قلب ليس فيه خوف الله فهو خراب وقد قال الله تعالى انه لا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون

﴿ الباب الثالث والخمسون في بيان فضل التوبة ﴾

جاء في فضل التوبة آيات كثيرة كقوله تعالى وتوبوا الي الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون وقوله والذين لايدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب و آمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الي الله متابا (والاحاديث في ذلك كثيرة) أخرج مسلم ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتي تطلع الشمس من مغربها والترمذي وصححه أن من قبل المغرب لبابا مسيرة عرضه أربعون عاما أو سبعون سنة فتحه الله عز وجل للتوبة يوم خلق السموات والارض فلا يغلقه حتى تطلع الشمس منه وصحح أيضا ان الله تعالى جعل بالمغرب بابا عرضه مسيرة سبعين عاما للتوبة لايغلق مالم تطلع الشمس من قبله وذلك قوله تعالى يوم يأتي بعض آيات ربك لاينفع نفسا ايمانها الآية قيل وليس في هذه الرواية ولا الاولى تصريح برفعه كما صرح به البيهقي اه ويجاب بأن مثل هذا لايقال من قبل الرأي فله حكم المرفوع والطبراني بسند جيد للجنة ثمانية أبواب سبعة مغلقة وباب مفتوح للتوبة حتي تطلع الشمس من نحوه وابن ماجه بسند جيد لو أخطأتم حتى تبلغ خطايا كم السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم والحاكم وصححه من سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه الله الانابة والترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون والشيخان ان

عبـدا أصاب ذنبا فقال يارب انى أذنبت ذنبا فاغفره لى فقال له ربه علم عبـدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له ثم مكث ماشاء الله ثم أصاب ذنبا آخر وربما قال أذنب ذنبا آخر فقـال يارب اني أذنبت ذنبا آخر فاغفره لي فقال ربه علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له ثم مكث ماشاء الله تعالى ثم أصاب ذنبا آخر وربمـا قال أذنب ذنبا آخر فقال يارب انى أذنبت ذنبا آخر فاغفره لي فقـال ربه علم عبـدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخـذ به فقال ربه غفرت لعبدي فليعمل ماشاء قال المنذري قوله فليعمل ماشاء معناه والله أعلم أنه مادام كلما أذنب ذنبا استغفر وتاب منه ولم يعد اليه بدليل قوله ثم أصاب ذنبا آخر فليعمل اذا كان هذا دأبه ماشاء لانه كلما أذنب كانت توبته واستغفاره كفارة لذنبه فلا يضره لاأن المعني أنه يذنب الذنب فيستغفر منه بلسانه من غير اقلاع ثم يعاوده فان هذه توبة الكذابين وروي جماعة وصححوه ان المؤمن اذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل منها وان زاد زادت حتي يغلق بها قلبـه فذلك الران الذي ذكر الله في كتابه كلا بل ران على قلوبهـم ماكانوا يكسبون والترمذي وحسنه ان الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر اى تبلغ روحه حلقومه والطبراني بسـند حسـن لكن فيـه انقطاع والبيهقي بسند فيه مجهول عن معاذ قال أخذ بيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فمشي ميلا ثم قال يامعاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهـد وأداء الامانة وترك الخيانة ورحم اليتيم وحفظ الجوار

وكظم الغيظ ولين الكلام وبذل السلام ولزوم الامام والتفقه في القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وقصر الامل وحسن العمل وأنهاك أن تشتم مسلما أو تصدق كاذبا أو تكذب صادقا أو تعصى اماما عادلا وأن تفسد في الارض يامعاذ اذكر الله عند كل شجر وحجر وأحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية والاصفهاني اذا تاب العبد من ذنوبه أنسى الله حفظته ذنوبه وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الارض حتى يلقى الله يوم القيامة وليس عليه شاهد من الله بذنب * والاصفهاني أيضا النادم ينتظر من الله الرحمة والمعجب ينتظر المقت واعلموا عباد الله ان كل عامل سيقدم على عمله ولا يخرج من الدنيا حتى يرى حسن عمله وسوء عمله وانما الاعمال بخواتيمها والليل والنهار مطيتان فأحسنوا السير عليهما الى الآخرة واحذروا التسويف فان الموت يأتي بغتة ولا يغترن أحدكم بحلم الله عز وجل فان النار أقرب الي أحدكم من شراك نعله ثم قرأ رسول الله صلي الله عليه وسلم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره والطبراني بسند صحيح لكن فيه انقطاع التائب من الذنب كمن لاذنب له وروواه البيهقي من طريق آخر وزاد والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه الندم توبة أي انه معظم أركانها كخبر الحج عرفة ولا بد في الندم أن يكون من حيث المعصية وقبحها وخوف عقابها بخلافه لنحو هتك أو ضياع مال علي المعصية أو نحو ذلك والحاكم

وصححه لكن فيه ساقط ماعلم الله من عبد ندامة على ذنب الا غفر له
قبل أن يستغفره منه ومسلم وغيره والذي نفسي بيده لولم تذنبوا
وتستغفروا لذهب الله بكم ولجاء بقوم غيركم يذنبون ويستغفرون الله
فيغفر لهم ومسلم ليس أحد أحب اليه المدح من الله من أجل ذلك مدح
نفسه وليس أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش وليس
أحد أحب اليه العذر من الله من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل
الرسل ومسلم ان امرأة من جهينة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهي حبلى من الزنا فقالت يارسول الله أصبت حدا فاقمه علي فدعا نبي
الله صلى الله عليه وسلم وليها فقال أحسن اليها فاذا وضعت فأتني بها
ففعل فامر بها نبي الله صلى الله عليه وسلم فشدت عليها ثيابها ثم أمر
بها فرجمت ثم صلى عليها فقال عمر تصلي عليها يارسول الله وقد زنت
قال صلى الله عليه وسلم لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل
المدينة لوسعتهم وهل وجدت أفضل مما جادت بنفسها لله عز وجل
والترمذي وحسنه وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه عن ابن
عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث
حديثا لولم أسمعه الا مرة أو مرتين حتى عد سبع مرات ولكن
سمعته أكثر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان الكفل
من بني اسرائيل لايتورع من ذنب عمله فأتته امرأة فأعطاها ستين
دينارا على أن يطأها فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته أرعدت
وبكت فقال مايبكيك أكرهتك قالت لا ولكنه عمل ماعملته قط وما

حملني عليه الا الحاجة فقال تفعلين أنت هذا وما فعلته قط اذهبي فهي لك وقال لا والله لا أعصي بعدها أبدا فمات من ليلته فأصبح مكتوبا على بابه ان الله قد غفر للكفل وصح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كانت قريتان احداهما صالحة والاخرى طالحة فخرج رجل من القرية الطالحة يريد القرية الصالحة فأتاه الموت حيث شاء الله فاختصم فيه الملك والشيطان فقال الشيطان والله ما عصاني قط وقال الملك انه قد خرج يريد التوبة فقضى الله بينهما أن ينظر الى أيهما أقرب فوجدوه أقرب الي القرية الصالحة بشبر فغفر له قال معمر وسمعت من يقول قرب الله اليه القرية الصالحة والشيطان كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعلم أهل الارض فدل على راهب فأتاه فقال له انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الارض فدل على رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى أرض كذا وكذا فان بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سوء فانطلق حتى اذا بلغ نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله تعالي وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالي أيتهما هو أدني كان له فقاسوا فوجدوه أدنى الى الارض التي أراد فقبضته

ملائكة الرحمة وفي رواية فكان الى القرية الصالحة أقرب بشبر فجعل من أهلها وفي رواية فأوحى الله تعالى الى هذه أن تباعدي والى هذه أن تقربي وقال قيسوا ما بينهما فوجدوه الى هذه أقرب بشبر فغفر له وفي رواية قال قتادة قال الحسن ذكر لنا انه لما أتاه ملك الموت ناء بصدره نحوها والطبراني بسند جيد ان رجلا أسرف على نفسه فلقي رجلا فقال ان الآخر قتل تسعة وتسعين نفسا كلهم ظلما فهل تجد لي من توبة قال لا فقتله وأتى آخر فقال ان الآخر قتل مائة نفس كلها ظلما فهل تجد لي من توبة فقال ان حدثتك أن الله لا يتوب على من تاب كذبتك ههنا قوم يتعبدون فأتهم تعبد الله معهم فتوجه اليهم فمات على ذلك فاختصمت ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فبعث الله اليهم ملكا فقال قيسوا ما بين المكانين فأيهم كان أقرب فهو منهم فوجدوه أقرب الى دير التوابين بأنملة فغفر له وفي رواية له ثم أتى راهبا آخر فقال اني قتلت مائة نفس فهل تجد لي من توبة فقال أسرفت ما أدري ولكن هنا قريتان قرية يقال لها نصرة والاخرى يقال لها كفرة فأما أهل نصرة فيعملون عمل أهل الجنة لا يثبت فيها غيرهم وأما أهل كفرة فيعملون عمل أهل النار لا يثبت فيها غيرهم فانطلق الى نصرة فان ثبت فيها وعملت عمل أهلها فلا شك في توبتك فانطلق يريدها حتى اذا كان بين القريتين أدركه الموت فسألت الملائكة ربها عنه فقال انظروا الى أي القريتين كان أقرب فاكتبوه من أهلها فوجدوه أقرب الى نصرة بقيد أنملة فكتب من أهلها

﴿ الباب الرابع والخمسون في بيان النهي عن الظلم ﴾

قال الله تعالى وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون * وقال صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة * وقال صلى الله عليه وسلم من ظلم شبرا من أرض طوقه الله من سبع أرضين يوم القيامة وفي بعض الكتب يقول الله تعالى اشتد غضبي على من ظلم من لايجد له ناصرا غيري وما أحسن قول بعضهم

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا * فالظلم يرجع عقباه الى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه * يدعو عليك وعين الله لم تنم

﴿ وقول الآخر ﴾

اذا ما الظلوم استوطأ الارض مركبا * ولج غلوا في قبيح اكتسابه
فكله الى صرف الزمان فانه * سيبدي له مالم يكن في حسابه

وقال بعض السلف لا تظلم الضعفاء فتكون من شرار الاقوياء وقال أبو هريرة رضي الله عنه ان الحبارى لتموت هزلا في وكرها من ظلم ظالم وقيل مكتوب في التوراة ينادي مناد من وراء الجسر يعني الصراط يامعشر الجبابرة الطغاة ويامعشر المترفين الاشقياء ان الله يحلف بعزته أن لايجاوز هذا الجسر اليوم ظلم ظالم وعن جابر رضي الله عنه قال لما رجعت مهاجرة الحبشة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا تخبروني بأعجب ما رأيتم في أرض الحبشة فقال قتيبة وكان منهم على يارسول الله بينما نحن يوما جلوس اذ مرت بنا عجوز من عجائزهم تحمل على رأسها قلة من ماء فمرت بفتى منهم فجعل احدي يديه بين كتفيها ثم دفعها فخرت المرأة على ركبتيها وانكسرت قلتها فلما قامت التفتت

اليه ثم قالت سوف تعلم ياغدر اذا وضع الله الكرسي فجمع الاولين والآخرين وتكلمت الايدي والارجل بما كانوا يكسبون سوف تعلم ما أمري وأمرك عنده غدا قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يقدس الله قوما لا يؤخذ من شديدهم لضعيفهم وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال خمسة غضب الله عليهم ان شاء أمضى غضبه عليهم في الدنيا والاثوى بهم في الآخرة الى النار أمير قوم يأخذ حقه من رعيته ولا ينصفهم من نفسه ولا يدفع الظلم عنهم وزعيم قوم يطيعونه ولا يسوى بين القوى والضعيف ويتكلم بالهوى ورجل لا يأمر أهله وولده بطاعة الله ولا يعلمهم أمر دينهم ورجل استأجر أجيرا فاستعمله ولم يوفه أجره ورجل ظلم امرأة في صداقها * وعن عبدالله بن سلام رضي الله عنه أنه قال ان الله تعالى لما خلق الخلق واستووا على أقدامهم رفعوا رؤسهم الى الله وقالوا يارب مع من أنت قال مع المظلوم حتى يؤدى اليه حقه * وعن وهب بن منبه رضي الله عنه بنى جبار من الجبابرة قصرا وشيده فجاءت عجوز فقيرة فبنت الى جانبه شيأ تأوى اليه فركب الجبار يوما وطاف حول القصر فرأى بناءها فقال لمن هذا فقيل لامرأة فقيرة تأوى اليه فأمر بهدمه فهدم فجاءت العجوز فرأته مهدوما فقالت من هدمه فقيل لها الملك رآه فهدمه فرفعت العجوز رأسها الى السماء وقالت يارب أنا لم أكن حاضرة فأنت أين كنت قال فأمر الله عز وجل جبريل أن يقلب القصر على من فيه فقلبه (وقيل) لما حبس بعض البرامكة وولده قال ياأبت بعد العز صرنا في القيد والحبس

قال يا بني دعوة مظلوم سرت بليل غفلنا عنها ولم يغفل الله عز وجل عنها وكان يزيد بن حكيم يقول ماهبت أحدا قط هيبتي رجلا ظلمته وأنا أعلم أنه لا ناصر له الا الله يقول لي حسبي الله الله بيني وبينك وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال يجيء الظالم يوم القيامة حتى اذا كان على جسر جهنم فالقيه المظلوم وعرف ما في ظلمه فما يبرح الذين ظلموا بالذين ظلموا حتى ينزعوا ما بأيديهم من الحسنات فان لم يجدوا لهم حسنات حملوا عليهم من سيآتهم مثل ما ظلموهم حتى يردوا الدرك الاسفل من النار * وعن عبد الله بن أنيس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر العباد يوم القيامة حفاة عراة غرلا بهما فيناديهم مناد بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك الديان لا ينبغي لاحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من اهل النار يطلبه بمظلمة حتى اللطمة فما فوقها ولا ينبغي لاحد من أهل النار أن يدخل النار وعنده مظلمة حتى اللطمة فما فوقها ولا يظلم ربك أحدا قلنا يارسول الله كيف وانما نأتي حفاة عراة غرلا بهما قال بالحسنات والسيآت جزاء وفاقا ولا يظلم ربك أحدا * وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من ضرب سوطا ظلما اقتص منه يوم القيامة (ومما ذكر) أن كسرى اتخذ مؤدبا لولده يعلمه ويؤدبه فلما بلغ الولد الغاية في الفضل والادب استحضره المؤدب يوما وضربه ضربا وجيعا من غير جرم ولا سبب فحقد الولد على المعلم الى أن كبر ومات أبوه فتولى الملك بعده فاستحضر المعلم وقال له ما حملك على أن ضربتني في يوم كذا ضربا وجيعا من غير جرم ولا سبب فقال له المعلم اعلم أيها الملك انك لما بلغت الغاية في الفضل والادب علمت أنك تنال الملك بعد أبيك فأردت

أن أذيقك طعم الضرب وألم الظلم حتى لا تظلم أحدا بعد فقال له جزاك الله خيرا ثم أمر له بجائزة وصرفه

﴿ الباب الخامس والخمسون فى النهى عن ظلم اليتيم ﴾

قال تعالى ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا قال قتادة نزلت في رجل من غطفان ولي مال ابن أخيه وهو صغير يتيم فأكله وقوله ظلما أي لاجله أو حال كونهم ظالمين وخرج به أكلها بحق كأكل الولي بشر وطه المقررة في كتب الفقه قال تعالى ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف أي بمقدار الحاجة فحسب أو بأن يأخذ قرضا أو بقدر أجرة عمله أو ان اضطر فان أيسر قضاه والا فهو في حل وقد نبه تعالى على تأكد حق الايتام ومزيد الاعتناء به بقوله قبل هذه الآية وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا اذ المراد بشهادة السياق خلافا لمن حمل الآية على أنها في الوصية بأكثر من الثلث أو نحو ذلك الحمل لمن كان فى حجره يتيم على أنه يحسن اليه حتى في الخطاب فلا يخاطبه الا بنحو يا بني بما يخاطب به أولاده ويفعل معه من البر والمعروف والاحسان والقيام في ماله ما يحب أن يفعل بماله وبذريته من بعده فان الجزاء من جنس العمل مالك يوم الدين أى الجزاء كما تدين تدان أي كما تفعل يفعل معك بينما الانسان آمن متصرف في مال الغير وعلى أولاد غيره واذا بالموت قد حل به فيجزيه الله تعالى في ماله وذريته وعياله وسائر تعلقاته بنظير ما فعله

مع غيره ان خيرا فخير وان شرا فشر فليخش العاقل على أولاده وماله ان لم يكن له خشية على دينه ويتصرف على الايتام الذين في حجره بما يجب أن يتصرف ولى أولاده لو كانوا أيتاما عليهم في ماله وجاء أن الله تعالى أوحى الى داود صلى الله على نبينا وعليه وسلم يا داود كن لليتيم كالاب الرحيم وكن للارملة كالزوج الشفيق واعلم أنك كما تزرع كذا تحصد أى كما تفعل يفعل معك اذ لابد أن تموت ويبقى لك ولد يتيم وامرأة أرملة وجاء في التشديد فى أموال اليتامى والظلم فيها أحاديث كثيرة موافقة لما فى الآية من ذلك الوعيد الشديد تحذيرا للناس عن هذه الفاحشة الوخيمة المهلكة أخرج مسلم وغيره ياأبا ذرانى أراك ضعيفا وانى أحب لك ما أحب لنفسى لاتأمرن على اثنين ولا تلين مال يتيم والشيخان وغيرهما اجتنبوا السبع الموبقات أى المهلكات قالوا يارسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم الحديث والبزار الكبائر سبع الاشراك بالله وقتل النفس بغير حق وأكل الربا وأكل مال اليتيم الحديث والحاكم وصححه أربع حق على الله أن لايدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها مدمن خمر وآكل الربا وآكل مال اليتيم بغير حق والعاق لوالديه وابن حبان في صحيحه ان من جملة كتابه صلى الله عليه وسلم الذى أرسله مع عمرو بن حزم الى أهل اليمن وان أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة الاشراك بالله وقتل النفس المؤمنة بغير حق والفرار في سبيل الله يوم الزحف وعقوق الوالدين ورمى المحصنة وتعلم السحر وأكل الربا

وأكل مال اليتيم وأبو يعلى يبعث يوم القيامة قوم من قبورهم تأجج أفواههم نارا فقيل من هم يارسول الله قال ألم تر أن الله يقول ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وفي حديث المعراج عند مسلم فاذا أنا برجال قد وكل بهم رجال يفكون لحاهم وآخرون يجيئون بالصخور من النار فيقذفونها في أفواههم فتخرج من أدبارهم فقلت ياجبريل من هؤلاء قال الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وفي تفسير القرطبي عن أبي سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال رأيت ليلة أسرى بي قوما لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من يأخذ مشافرهم ثم يجعل في أفواههم صخرا من نار تخرج من أسافلهم فقلت ياجبريل من هؤلاء قال هم الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما

﴿ الباب السادس والخمسون في بيان ذم الكبر ﴾

نذكر مما ورد في ذم الكبر زيادة على ماتقدم لشؤمه وسوء عاقبته فهو أول معصية وقعت من ابليس فلعنه الله وطرده من جنة عرضها السموات والارض الى عذاب السعير ففي الحديث القدسي الكبرياء ردائي والعظمة ازارى فمن نازعني في واحد منهما قصمته ولا أبالي وورد يحشر المتكبرون أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان ويسقون من طينة الخبال وهي عصارة أهل النار وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة لايكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولهم عذاب أليم شيخ زان وملك جبار وعائل مستكبر وعن عمر رضي الله عنه أنه قرأ قوله تعالى

واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فقال انا لله وانا اليه راجعون قام رجل يأمر بالمعروف فقتل فقام آخر فقال تقتلون الذين يأمرون بالمعروف فقتل المتكبر الذي خالفه والذي أمره كبرا وقال ابن مسعود كفى بالرجل اثما اذا قيل له اتق الله قال عليك نفسك وقال صلى الله عليه وسلم لرجل كل بيمينك قال لا أستطيع فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا استطعت فما منعه الا الكبر قال فما رفعها بعد ذلك أي اعتلت يده وروي أن ثابت بن قيس بن شماس قال يا رسول الله اني امرؤ حبب الي من الجمال ما ترى أفمن الكبر هو فقال صلى الله عليه وسلم لا ولكن الكبر من بطر الحق وغمص الناس أي ازدراهم واستحقرهم وهم عباد الله أمثاله أو خير منه (قال وهب بن منبه) لما قال موسى عليه السلام لفرعون آمن ولك ملكك قال حتى أشاور هامان فشاور هامان فقال هامان بينما أنت رب تعبد اذ أنت عبد تعبد فاستنكف عن عبوديته وعن اتباع موسى فأغرقه الله (وقالت قريش) فيما أخبر الله عنهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قال قتادة عظيم القريتين هو الوليد بن المغيرة وابو مسعود الثقفي طلبوا من هو اعظم رياسة من النبي صلى الله عليه وسلم اذ قالوا غلام يتيم كيف بعثه الله الينا فقال تعالى أهم يقسمون رحمة ربك ثم اخبرهم الله عن تعجبهم حين دخلوا النار اذ لم يروا فيها الذين ازدروهم كاهل الصفة فقالوا مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار قيل يعنون عمارا وبلالا وصهيبا والمقداد رضي الله عنهم قال وهب رضي الله عنه العلم كالغيث ينزل من السماء حلوا صافيا فتشربه الاشجار بعروقها

فتحوله على قدر طعومها فيزداد المر مرارة والحلو حلاوة فكذلك العلم يحفظه الرجال على قدر هممها وأهوائها فيزيد المتكبر كبرا والمتواضع تواضعا وذلك لان من كانت همته الكبر وهو جاهل فاذا حفظ العلم وجد مايتكبر به فازداد كبرا واذا كان الرجل خائفا مع جهله فازداد علما علم أن الحجة قد تأكدت عليه فيزداد خوفا واشفاقا وتواضعا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه العباس رضى الله عنه يكون قوم يقرؤن القرآن لايجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا ومن أعلم منا ثم التفت الى أصحابه وقال أولئك منكم أيها الامة أولئك هم وقود النار وقال عمر رضى الله عنه لاتكونوا جبابرة العلماء فلم يف علمكم بجهلكم (روى) ان رجلا من بني اسرائيل يقال له خليع بني اسرائيل لكثرة فساده مر برجل آخر يقال له عابد بنى اسرائيل وكان على رأس العابد غمامة تظله فلما مر الخليع به قال الخليع في نفسه أنا خليع بني اسرائيل وهذا عابد بني اسرائيل فلو جلست اليه لعل الله يرحمني فجلس اليه فقال العابد أنا عابد بنى اسرائيل وهذا خليع بنى اسرائيل فكيف يجلس الي فأنف منه وقال له قم عنى فأوحى الله الى نبي ذلك الزمان مرهما فليستأنفا العمل فقد غفرت للخليع وأحبطت عمل العابد وفي رواية أخرى فتحولت الغمامة الى رأس الخليع وهذا يعرفك ان الله تعالى انما يريد من العباد قلوبهم روي أن رجلا ذكر بخير للنبي صلى الله عليه وسلم فاقبل ذات يوم فقالوا يارسول الله هذا الذي ذكرناه لك فقال انى أرى في وجهه سفعة من

الشيطان فسلم ووقف على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أسألك بالله حدثتك نفسك ان ليس فى القوم أفضل منك قال اللهم نعم فرأي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنور النبوة ما استكن في قلبه سفعه فى وجهه قال الحرث بن جزء الزبيدي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبني من القراء كل ضحاك فأما الذي تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس يمن عليك بعلمه فلا أكثر الله في المسلمين مثله (روي) عن أبى ذر رضى الله عنه انه قال قاولت رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له يا ابن السوداء فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر طف الصاع طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل فقال أبو ذر رحمه الله فاضطجعت وقلت للرجل قم فطأ على خدى وقال على كرم الله وجهه من أراد أن ينظر الى رجل من أهل النار فلينظر الى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام وقال أنس لم يكن شخص أحب الى أصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاوقات يمشي مع بعض الاصحاب فيأمرهم بالتقدم ويمشي في غمارهم اما لتعليم غيره أو لينفي عن نفسه وساوس الشيطان بالكبر والعجب كما أخرج الثوب الجديد في الصلاة وأبدله بالخليع لاحد هذين المعنيين

﴿ الباب السابع والخمسون في فضل التواضع والقناعة ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مازاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع أحد لله الا رفعه وقال صلى الله عليه وسلم مامن أحد الا

ومعه ملكان وعليه ٢ حكمة يمسكانه بها فان هو رفع نفسه جبذاها ثم قالا اللهم ضعه وان وضع نفسه قالا اللهم ارفعه وقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن تواضع في غير مسكنة وأنفق مالا جمعه في غير معصية ورحم أهل الذل والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في نفر من أصحابه في بيته يأكلون فقام سائل على الباب وبه زمانة يتكره منها فاذن له فلما دخل أجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذه ثم قال له اطعم فكأن رجلا من قريش اشمأز منه وتكرهه فامات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة مثلها وقال صلى الله عليه وسلم خيرني ربي بين أمرين أن أكون عبدا رسولا أو ملكا نبيا فلم أدر أيهما أختار وكان صفيي من الملائكة جبريل فرفعت رأسي اليه فقال تواضع لربك فقلت عبدا ورسولا وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام انما أقبل صلاة من تواضع لعظمتي ولم يتعاظم على خلقي وألزم قلبه خوفي * وقال صلى الله عليه وسلم الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى * وقال المسيح عليه السلام طوبى للمتواضعين في الدنيا هم أصحاب المنابر يوم القيامة طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون الى الله تعالى يوم القيامة وقال بعضهم بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا هدى الله عبدا للاسلام وحسن صورته وجعله في موضع غير شائن له ورزقه مع ذلك تواضعا فذلك من

٢ قوله حكمة محركة ما أحاط بالحنك من اللجام كما في القاموس

صفوة الله وقال صلى الله عليه وسلم أربع لا يعطين الله الا من أحب الصمت وهو أول العبادة والتوكل على الله والتواضع والزهد في الدنيا *ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم فجاء رجل أسود بهجدري قد تقشر فجعل لايجلس الى أحد الاقام من جنبه فأجلسه النبي صلي الله عليه وسلم الى جنبه وقال صلى الله عليه وسلم انه ليعجبني أن يحمل الرجل الشيء في يده يكون مهنة لاهله يدفع به الكبر عن نفسه * و قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه يوما مالى لاأري عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة قال التواضع * وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم المتواضعين من أمتي فتواضعوا لهم واذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك مذلة لهم وصغار ومن أحسن ماقيل شعرا

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر * على صفحات الماء وهو رفيع
ولاتك كالدخان يعلو بنفسه * على طبقات الجو وهو وضيع

(ومما جاء في فضل القناعة زيادة على ماتقدم) قال صلى الله عليه وسلم عز المؤمن استغناؤه عن الناس ففي القناعة الحرية والعز ولذلك قيل استغن عمن شئت تكن نظيره واحتج الى من شئت تكن أسيره وأحسن الى من شئت تكن أميره قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال بعضهم مارأيت غني أفضل من القناعة ولا فقرا أشد من الرغبة وأنشد

أفادتني القناعة ثوب عز * وأي غني أعز من القناعه
فصيرها لنفسك رأس مال * وصير بعدها التقوي بضاعه
تجد ربحين تغني عن بخيل * وتنعم في الجنان بصبر ساعه

﴿ وقال آخر ﴾

قنع النفس بالكفاف والا * طلبت منك فوق مايكفيها
انما أنت طول عمرك ما عمرت في الساعة التي أنت فيها

﴿ وقال آخر ﴾

اذا الرزق عنك نأى فاصطبر * ومنه اقتنع بالذي قد حصل
ولا تتعب النفس في تحصيله * فان كان ثم نصيب وصل

﴿ وقال آخر ﴾

اذا أعطشتك أكف اللئام * كفتك القناعة شبعا وريا
فكن رجلا رجله في الثرى * وهامة همته في الثريا

﴿ وقال آخر ﴾

ياطالب الرزق الهني بقوة * هيهات أنت بباطل مشغوف
رعت الاسود بقوة جيف الفلا * ورعى الذباب الشهد وهو ضعيف

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أصابته خصاصة قال لاهله قوموا الى الصلاة ويقول أمرت بهذا ويقرأ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها الآية وأنشدوا

دع التهافت في الدنيا وزينتها * ولا يغرنك الاكثار والجشع
واقنع بما قسم الرحمن وارض به * ان القناعة مال ليس ينقطع
وخل ويك فضول العيش أجمعها * فليس فيها اذا حققت منتفع

﴿ ولبعضهم ﴾

اقنع بما تلقى بلا بلغة * فليس ينسى ربنا النمله

ان أقبل الدهر فقم قائماً * وان تولى مدبراً نم له

ومن كلام الحكماء ليست العزة في حسن البزة فان التنعم بلبس الثياب والتجمل بحسن الزي يشغل العبد حتى لا يعبأ بشيء من أمر دينه ميلا لدنياه وقلما يخلو صاحبه من العجب وأنشد بعضهم

رضيت من الدنيا بلقمة بائس * ولبس عباء لا أريد سواهما
لاني رأيت الدهر ليس بدائم * فدهري وعمري فانيان كلاهما

﴿الباب الثامن والخمسون في بيان غرور الدنيا﴾

جميع أحوال الدنيا مصروفة الى ما يسوء ويسر فليست مساعدة لجميع أهلها وانما هي متاونة على ما اقتضته حكمة الحكيم قال سبحانه ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك قال بعض المفسرين مختلفين في الرزق يريد اختلافهم في الغني والفقر فمن الواجب على من ساعدته دنياه وأخدمها له مولاه أن يتلقى ذلك بشكره ويتوجه اليه بصنائع المعروف فانها تقي مصارع السوء ولا يغتر بدنياه وكفى بقوله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقوله تعالى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني الآية تنفيرا عن الغرور بها وقال صلى الله عليه وسلم حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبطون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين أفضل من ملء الارض من المغترين وقال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى علي على الله الاماني وقال الشاعر

ومن يحمد الدنيا لشيء يسره * فسوف لعمري عن قليل يلومها
اذا أدبرت كانت علي المرء حسرة * وان أقبلت كانت كثيرا همومها

﴿ وقال آخر ﴾

تالله لو كانت الدنيا بأجمعها * تبقي علينا ويأتي رزقها رغدا
ما كان في حق حر أن يذل لها * فكيف وهي متاع يضمحل غدا

وأنشد ابن بسام

أف للدنيا وأيامها * فانها للحزن مخلوقه
همومها الا تنقضي ساعة * عن ملك فيها ولا سوقه
ياعجبا منها ومن شأنها * عدوة للناس معشوقه

﴿ وأنشد آخر ﴾

وقائلة أري الايام تعطي * لئام الناس من رزق حثيث
وتمنع من له شرف وفضل * فقلت لها خذي أصل الحديث
رأت جل المكاسب من حرام * فجادت بالخبيث على الخبيث

﴿ وأنشد آخر أيضا ﴾

سل الايام مافعلت بكسري * وقيصر والقصور وساكنيها
أما استدعتهم للبين طرا * فلم تدع الحليم ولا السفيها

وحكي ان اعرابيا نزل بقوم فقدموا اليه طعاما فأكل ثم نام في ظلل خيمتهم فاقتلعوا الخيمة فأصابه حر الشمس فانتبه فارتحل وهو يقول

ألا انما الدنيا كظل بلينه * ولا بد يوما أن ظلك زائل

﴿ وقال أيضا ﴾

ألا انما الدنيا مقيل لراكب * قضى وطرا من منزل ثم هجرا

وقال بعض الحكماء لصاحب له قد أسمعك الداعي وأعذر اليك الطالب ولا أحد أعظم رزية ممن ضيع اليقين وأخطاه العمل وقال ابن مسعود كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب الدنيا وسر بها ذهب خوف الآخرة من قلبه وقال بعضهم ان العبد يحاسب على التحزن على مافاته من الدنيا ويحاسب بفرحه في الدنيا اذا قدر عليها ولقد كان السلف الصالح فيما أحل لهم أزهد منكم فيما حرم عليكم ان الذى لابأس به عندكم كان من الموبقات عندهم وكان عمر بن عبد العزيز كثيرا مايتمثل بهذه الابيات وهي لمسعر بن كدام

نهارك يامغرور نوم وغفلة * وليلك نوم والردى لك لازم

يغرك مايفني وتفرح بالمني * كما غر باللذات في النوم حالم

وشغلك فيما كيف تكره غبه * كذلك في الدنيا تعيش البهائم

﴿ الباب التاسع والخمسون في بيان ذم الدنيا والتحذير منها ﴾

روى عن أبي أمامة الباهلى أن ثعلبة بن حاطب قال يارسول الله أدع الله أن يرزقني مالا قال ياثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لاتطيقه قال يارسول الله أدع الله أن يرزقني مالا قال ياثعلبة أما لك في أسوة أما ترضى أن تكون مثل نبي الله تعالى أما والذى نفسى بيده لو شئت أن تسير معي الجبال ذهبا وفضة لسارت قال والذي بعثك بالحق نبيا لئن دعوت الله أن يرزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه

ولا فعلن ولا قمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في الجماعة ويدع ماسواهما ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الجماعة الا الجمعة وهي تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة وطفق يلقى الركبان يوم الجمعة فيسألهم عن الاخبار في المدينة وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال مافعل ثعلبة بن حاطب فقيل يارسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة وأخبر بأمره كله فقال ياويح ثعلبة ياويح ثعلبة ياويح ثعلبة قال وأنزل الله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم وأنزل الله تعالى فرائض الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من جهينة ورجلا من بني سليم على الصدقة وكتب لهما كتابا بأخذ الصدقة وأمرهما أن يخرجا فيأخذا الصدقة من المسلمين وقال مرا بثعلبة بن حاطب وبفلان رجل من بني سليم وخذا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماهذه الا جزية ماهذه الا أخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا الي فانطلقا نحو السليمي فسمع بهما فقام الى خيار أسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأياها قالا لايجب عليك ذلك وما نريد أن نأخذ هذا منك قال بلى خذاها نفسي بها طيبة وانما هي لتأخذاها فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة فسألاه الصدقة فقال أرياني كتابكما فنظر فيه فقال هذه أخت الجزية انطلقا حتى أرى

رأيي فانطلقا حتى أتيا النبي صلي الله عليه وسلم فلما رآهما قال ياويح ثعلبة قبل أن يكلماه ودعا للسليمي فأخبراه بالذى صنع ثعلبة وبالذي صنع السليمى فأنزل الله تعالى في ثعلبة ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ماوعدوه وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ماأنزل الله فيه فخرج حتى أتى ثعلبة فقال لاأم لك ياثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلي الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه صدقته فقال ان الله منعني أن أقبل منك صدقتك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم هذا عملك أمرتك فلم تطعني فلما أبى أن يقبل منه شيأ رجع الى منزله فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بها الى أبي بكر الصديق رضى الله عنه فأبي أن يقبلها منه وجاء بها الى عمر ابن الخطاب رضى الله عنه فأبي أن يقبلها منه وتوفى ثعلبة بعد خلافة عثمان * وقد روي عن جرير عن ليث قال صحب رجل عيسي بن مريم عليه السلام فقال أكون معك وأصحبك فانطلقا فانتهيا الى شط نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلاثة أرغفة فأكلا رغيفين وبقي رغيف ثالث فقام عيسي عليه السلام الى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف فقال للرجل من أخذ الرغيف فقال لاأدرى قال فانطلق ومعه صاحبه فرأي ظبية ومعها خشفان لها قال فدعا أحدهما فأتاه فذبحه فاشتوى منه فأكل

هو وذاك الرجل ثم قال للخشف قم باذن الله فقام فذهب فقال للرجل أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيف فقال لاأدري ثم انتهيا الى وادي ماء فأخذ عيسى بيد الرجل فمشيا على الماء فلما جاوزا قال له أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيف فقال لاأدري فانتهيا الى مفازة فجلسا فأخذ عيسى عليه السلام يجمع ترابا وكثيبا ثم قال كن ذهبا باذن الله تعالى فصار ذهبا فقسمه ثلاثة أثلاث ثم قال ثلث لي وثلث لك وثلث لمن أخذ الرغيف فقال أنا الذي أخذت الرغيف فقال كله لك وفارقه عيسى عليه السلام فانتهى اليه رجلان في المفازة ومعه المال فأرادا أن يأخذاه منه ويقتلاه فقال هو بيننا أثلاثا فابعثوا أحدكم الى القرية حتى يشتري لنا طعاما نأكله قال فبعثوا أحدهم فقال الذي بعث لاي شيء أقاسم هؤلاء هذا المال لكني أضع في هذا الطعام سما فاقتلهما وآخذ المال وحدي قال ففعل وقال ذانك الرجلان لاي شيء نجعل لهذا ثلث المال ولكن اذا رجع قتلناه واقتسمنا المال بيننا قال فلما رجع اليهما قتلاه وأكلا الطعام فماتا فبقي ذلك المال في المفازة وأولئك الثلاثة عنده قتلى فمر بهم عيسى عليه السلام على تلك الحالة فقال لاصحابه هذه الدنيا فاحذروها (وحكي) أن ذا القرنين أتى على أمة من الامم ليس بأيديهم شيء مما يستمتع به الناس من دنياهم قد احتفروا قبورا فاذا أصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها وصلوا عندها ورعوا البقل كما ترعى البهائم وقد قيض لهم في ذلك معايش من نبات الارض وأرسل ذو القرنين الى ملكهم فقال له أجب ذا القرنين فقال مالي اليه

حاجة فان كان له حاجة فليأتني فقال ذو القرنين صدق فأقبل اليه ذو القرنين وقال له أرسلت اليك لتأتيني فأبيت فها أنا قد جئت فقال لو كان لي اليك حاجة لاتيتك فقال له ذو القرنين مالي أراكم على حالة لم أر أحدا من الامم عليها قال وما ذاك قال ليس لكم دنيا ولا شيء أفلا اتخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بهما قال انما كرهناها لان أحدا لم يعط منهما شيأ الا تاقت نفسه ودعته الى ماهو أفضل منه فقال مابالكم قد احتفرتم قبورا فاذا أصبحتم تعاهدتموها فكنستموها وصليتم عندها قال أردنا اذا نظرنا اليها وأملنا الدنيا منعتنا قبورنا من الامل قال وأراكم لاطعام لكم الا البقل من الارض أفلا اتخذتم البهائم من الانعام فاحتلبتموها وركبتموها فاستمتعتم بها قال كرهنا أن نجعل بطوننا قبورا لها ورأينا في نبات الارض بلاغا وانما يكفي ابن آدم أدنى العيش من الطعام وأي ماجاوز الحنك من الطعام لم نجد له طعما كائناما كان من الطعام ثم بسط ملك تلك الارض يده خلف ذي القرنين فتناول جمجمة فقال ياذا القرنين أتدري من هـذا قال لا ومن هو قال ملك من ملوك الارض أعطاه الله سلطانا على أهل الارض فغشم وظلم وعتا فلما رأى الله سبحانه ذلك منه حسمه بالموت فصار كالحجر الملقى وقد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في آخرته ثم تناول جمجمة أخرى بالية فقال ياذا القرنين هل تدري من هذا قال لا أدري ومن هو قال هـذا ملك ملكه الله بعده قد كان يرى مايصنع الذي قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع لله وخشع عز وجل وأمر بالعدل في أهل مملكته فصار كما ترى قد أحصى

الله عليه عمله حق يجزيه به في آخرته ثم أهوي الى جمجمة ذي القرنين فقال وهذه الجمجمة قد كانت كهذين فانظر ياذا القرنين ماأنت صانع فقال له ذو القرنين هل لك في صحبتي فأتخذك أخا ووزيرا وشريكا فيما آتاني الله من هذا المال قال ماأصلح أنا وأنت في مكان ولا أن نكون جميعا قال ذو القرنين ولم قال من أجل أن الناس كلهم لك عدو ولي صديق قال ولم قال يعادونك لما في يديك من الملك والمال والدنيا ولا اجد أحدا يعاديني لرفضي لذلك ولما عندي من الحاجة وقلة الشيء قال فانصرف عنه ذو القرنين متعجبا منه ومتعظا به وما أحسن قول القائل

يامن تمتع بالدنيا وزينتها * ولا تنام عن اللذات عيناه
شغلت نفسك فيما ليس تدركه * تقول لله ماذا حين تلقاه

(وقول الآخر)

عتبت على الدنيا لرفعة جاهل * وتأخير ذي فضل فقالت خذ العذرا
بنو الجهل أبنائي لهذا رفعتهم * وأهل التقي أبناء ضرتي الاخري

(وقول محمود الباهلي)

ألا انما الدنيا على المرء فتنة * على كل حال أقبلت أو تولت
فان أقبلت فاستقبل الشكر دائما * ومهما تولت فاصطبر وتثبت

﴿ الباب الستون في فضل الصدقة ﴾

قال صلى الله عليه وسلم من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله الا طيبا فان الله يقبلها بيمينه أى ملتبسة بيمينه وبركته ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه بفتح ففم فضم فتشديد مهره أول مايولد

حتى تكون مثل الجبل وفي رواية كما يربى أحدكم مهره حتى ان اللقمة لتصير مثل أحد وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات يمحق الله الربا ويربي الصدقات * مانقصت صدقة من مال ومازاد الله عبدا بعفو الاعزا وما تواضع أحدلله الارفعه الله عزوجل * وفي رواية للطبراني مانقصت صدقة من مال ومامد عبد يده لصدقة الاألقيت في يد الله أي الاقبلها الله تعالى ورضي بها قبل أن تقع في يد السائل ومافتح عبد باب مسئلة له عنها غني الافتح الله له باب فقر يقول العبد مالي مالي وانما له من ماله ثلاث ماأكل فأفنى أولبس فأبلى أوأعطى فاقتنى ماسوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس (وفي الخبر) مامنكم من أحد الاسيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلايري الاماقدم وينظر أشأم منه فلا يرى الا ماقدم وينظر بين يديه فلايري الاالنار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة وفي الخبر أيضا ليق أحدكم وجهه من النار ولو بشق تمرة وقال صلى الله عليه وسلم الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار * يا كعب بن عجرة انه لايدخل الجنة لحم ودم نبتا على سحت النار أولى به يا كعب بن عجرة الناس غاديان فغاد في فكاك نفسه فمعتقها وغاد موبقها يا كعب بن عجرة الصلاة قربات والصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يذهب الجليد على الصفا * وفي رواية كما يطفئ الماء النار * ان الصدقة لتطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء * وفي رواية ان الله ليدرأ أي يدفع بالصدقة سبعين بابا من ميتة السوء * وفي الحديث كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس وفي آخر لايخرج

رجل شيأ من الصدقة حتي يفك عنها لحي سبعين شيطانا * وقيل يارسول الله أي الصدقة أفضل قال جهد المقل وابدأ بمن تعول وقال صلي الله عليه وسلم سبق درهم مائة درهم فقال رجل كيف ذالك يارسول الله فقال رجل له مال كثير أخذ من عرضه أي بضم أوله المهمل و بالضاد المعجمة جانبه مائة ألف درهم وتصدق بها ورجل ليس له الا درهمان فأخذ أحدهما فتصدق به * وقال صلي الله عليه وسلم لا ترد سائلك ولو بظلف هو بكسر أوله المعجم للبقر والغنم بمنزلة الحافر للفرس * سبعة يظلهم الله في ظله يوم لاظل الا ظله الي أن قال ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتي لاتعلم شماله ماتنفق يمينه * صنائع المعروف تقي مصارع السوء وصدقة السر تطفئ غضب الرب وصلة الرحم تزيد في العمر * وفي رواية للطبراني صنائع المعروف تقي مصارع السوء والصدقة خفيا تطفئ غضب الرب وصلة الرحم تزيد في العمر وكل معروف صدقة وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة وأول من يدخل الجنة أهل المعروف * وفي أخري له ولاحمد ماالصدقة يارسول الله قال أضعاف مضاعفة وعند الله المزيد ثم قرأ من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة * قيل يارسول الله أى الصدقة أفضل قال سر الي فقير أوجهد من مقل ثم قرأ ان تبدوا الصدقات فنعماهي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم الآية * من كسا مسلما ثوبا لم يزل في ستر الله تعالي مادام عليه منه خيط أو سلك * ايما مسلم كسا مسلما ثوبا علي

عري كساه الله تعالى من خضر الجنة وايما مسلم اطعم مسلما على جوع اطعمه الله تعالى من ثمار الجنة وأيما مسلم سقى مسلما على ظمأ سقاه الله تعالى من الرحيق المختوم * الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذى رحم ثنتان صدقة وصلة * اى الصدقة أفضل قال على ذى الرحم الكاشح اي المضمر لعداوتك في كشحه اى حضره كناية عن باطنه * من منح منيحة لبن اي بأن اعطى ابونا لمن يأكل لبنها ثم يردها أوورق اى بأن اقرض دراهم اوهدى رفاقا اي الى الطريق كان له مثل عتق رقبة * كل قرض صدقة وفي رواية عند جماعة رايت ليلة اسري بي على باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشر امثالها والقرض بثمانية عشر * من يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة * أى الاسلام خير قال تطعم الطعام وتقرئ السلام على من عرفت ومن لم تعرف * أنبئني عن كل شئ قال كل شئ خلق من الماء فقلت أخبرني بشئ اذا عملته دخلت الجنة قال أطعم الطعام وافش السلام وصل الارحام وصل بالليل والناس نيام تدخل الجنة بسلام * اعبدوا الرحمن واطعموا الطعام وافشوا السلام تدخلوا الجنة بسلام * من موجبات الرحمة اطعام المسلم المسكين * من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه من الماء حتى يرويه باعده الله من النار سبع خنادق مابين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام * ان الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال كيف أعودك وانت رب العالمين قال اما علمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعده اما علمت انك لو عدته لوجدتني عنده يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يارب

وكيف اطعمك وانت رب العالمين قال اما علمت انه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه اما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندي يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني قال يارب وكيف اسقيك وانت رب العالمين قال استسقاك عبدي فلان فلم تسقه اما علمت انك لو سقيته لوجدت ذلك عندي

﴿ الباب الحادي والستون في قضاء حاجة أخيه المسلم ﴾

قال تعالي وتعاونوا علي البر والتقوي وقال صلى الله عليه وسلم من مشى في عون أخيه ومنفعته فله ثواب المجاهدين في سبيل الله وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان لله خلقا خلقهم لقضاء حوائج الناس آلى على نفسه أن لايعذبهم بالنار فاذا كان يوم القيامة وضعت لهم منابر من نور يحدثون الله تعالي والناس في الحساب * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعي لاخيه المسلم في حاجة فقضيت له أولم تقض غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر وكتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم من قضى لاخيه المسلم حاجة كنت واقفا عند ميزانه فان رجح والاشفعت له رواه أبو نعيم في الحلية * وعن أنس قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من مشى في حاجة أخيه المسلم كتب الله له بكل خطوة سبعين حسنة وكفر عنه سبعين سيئة فان قضيت حاجته على يديه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فان مات في خلال ذلك دخل الجنة بغير حساب * وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى مع أخيه المسلم في حاجة فناصحه

فيها جعل الله بينه وبين النار سبع خنادق ما بين الخندق والخندق كما بين السماء والارض * وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عند أقوام نعما يقرها عندهم ما داموا في حوائج الناس ما لم يملوا فاذا ملوا نقلها الى غيرهم وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما يقول الاسد في زئيره قالوا الله ورسوله أعلم قال يقول اللهم لا تسلطني على أحد من أهل المعروف وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه يرفعه اذا أراد أحدكم الحاجة فليبكر لها يوم الخميس وليقرأ اذا خرج من منزله آخر سورة آل عمران وآية الكرسي وانا أنزلناه في ليلة القدر وأم الكتاب فان فيها حوائج الدنيا والآخرة وعن عبد الله بن الحسن بن الحسين رضي الله تعالى عنهم قال أتيت باب عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال اذا كانت لك حاجة الي فأرسل رسولا أو اكتب لي كتابا فاني لأستحيي من الله أن يراك ببابي وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه قال والذي وسع سمعه الاصوات ما من أحد أودع قلبا سرورا الا خلق الله تعالى من ذلك السرور لطفا فاذا نزلت به نائبة جرى اليها كالماء في انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الابل وقال أيضا فوت الحاجة أهون من طلبها الى غير أهلها وعنه أيضا قال لا تكثر على أخيك الحوائج فان العجل اذا أفرط في مص ثدي أمه نطحته وما أحسن قول الشاعر

لا تقطعن عادة الاحسان عن أحد * ما دمت تقدر والايام تارات

واذكر فضيلة صنع الله اذ جعلت * اليك لا لك عند الناس حاجات

﴿ وقول الآخر ﴾

اقض الحوائج ما استطعت وكن لهم أخيك فارج
فلخير أيام الفتى * يوم قضى فيه الحوائج

وقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن أجريت الخير على يديه وويل لمن أجريت الشر على يديه

﴿ الباب الثاني والستون في فضل الوضوء ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ فأحسن الوضوء وصلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشيء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وفي لفظ آخر ولم يسه فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه * وقال صلى الله عليه وسلم أيضاً ألا أنبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات اسباغ الوضوء على المكاره ونقل الاقدام الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط ثلاث مرات وتوضأ صلى الله عليه وسلم مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الا به وتوضأ مرتين مرتين وقال من توضأ مرتين مرتين آتاه الله أجره مرتين وتوضأ ثلاثا ثلاثا وقال هذا وضوئي ووضوء الانبياء من قبلي ووضوء خليل الرحمن ابراهيم عليه السلام وقال صلى الله عليه وسلم من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله ومن لم يذكر الله لم يطهر منه الا ما أصاب الماء وقال صلى الله عليه وسلم من توضأ على طهر كتب الله له به عشر حسنات وقال صلى الله عليه وسلم الوضوء على الوضوء نور على نور وهذا كله حث على تجديد الوضوء * وقال عليه الصلاة والسلام اذا توضأ العبد المسلم فتمضمض خرجت الخطايا

من فيه فاذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه فاذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه فاذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفاره فاذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من تحت أذنيه واذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظفار رجليه ثم كان مشيه الى المسجد وصلاته نافلة له * ويروى أن الطاهر كالصائم * وقال عليه الصلاة والسلام من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء وقال عمر رضي الله عنه ان الوضوء الصالح يطرد عنك الشيطان * وقال مجاهد من استطاع أن لا يبيت الا طاهرا ذاكرا مستغفرا فليفعل فان الارواح تبعث على ماقبضت عليه * ويروى أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وجه رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مصر لكسوة الكعبة فنزل الرجل بعض أرض الشام الى جانب صومعة حبر من الاحبار ولم يكن حبر أعلم منه فأحب رسول عمر أن يلقاه فيسمع منه علمه فأتاه واستفتح باب داره فلم يفتح له طويلا ثم دخل على الحبر فسأله ليسمع منه فأعجبه علمه فشكى اليه حبسه على بابه فقال له الحبر انا كنا رأيناك حين عدلت الينا على هيبة السلطان فتخوفناك وانما حبسناك على الباب لان الله تبارك وتعالى قال لموسى ياموسى اذا تخوفت سلطانا فتوضأ وأمر أهلك بالوضوء فان من توضأ كان في أمان مما يتخوف فأغلقنا

دونك الباب حتى توضأت وتوضأ جميع من في الدار وصلينا فامنالك لذلك ثم فتحنا لك الباب

﴿ الباب الثالث والستون في فضل الصلوات ﴾

لما كانت الصلاة أفضل العبادات كررنا الحث عليها اقتداء بكتاب الله العزيز فما ورد في فضلها زيادة على ما تقدم قوله صلى الله عليه وسلم ما أعطى عبد عطاء خيرا من أن يؤذن له في ركعتين يصليهما * وقال محمد ابن سيرين رحمه الله تعالى لو خيرت بين ركعتين وبين الجنة لاخترت الركعتين على الجنة لان في الركعتين رضا الله تعالى وفي الجنة رضائي ويقال ان الله تعالى لما خلق سبع سموات حشاها بالملائكة وتعبدهم بالصلاة لا يفترون ساعة فجعل لكل أهل سماء نوعا من العبادة فأهل سماء قيام على أرجلهم الى نفخة الصور وأهل سماء ركع وأهل سماء سجد وأهل سماء مرخية الاجنحة من هيبته تعالى وأهل عليين وأهل العرش وقوف يطوفون حول العرش يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض فجمع الله ذلك كله في صلاة واحدة كرامة للمؤمنين حتى يكون لهم حظ من عبادة أهل كل سماء وزادهم القرآن يتلونه فيها فطالبهم بشكرها وشكرها اقامتها بشرائطها وحدودها * قال الله تعالى الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * وقال وأقيموا الصلاة وقال وأقم الصلاة وقال والمقيمين الصلاة فلم تجد ذكر الصلاة في موضع من التنزيل الامع ذكر اقامتها فلما بلغ ذكر المنافقين قال فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون فسماهم المصلين وسمى

المؤمنين المقيمين الصلاة وذلك ليعلم ان المصلين كثير والمقيمين الصلوات قليل فأهل الغفلة يعملون الاعمال على الترويج ولا يذكرون يوم تعرض على الله فتقبل أم ترد * وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان منكم من يصلي الصلاة فلا يكتب له من صلاته الا ثلثها أو ربعها أو خمسها أو سدسها حتى ذكر عشرها يعني انه لا يكتب له من صلاته الا ما عقل منها * وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى ركعتين مقبلا على الله بقلبه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وانما عظم شأن صلاة العبد باقبال العبد على الله فاذا لم يقبل على صلاته ولهى بحديث النفس كان بمنزلة من وقف الى باب ملك معتذرا من خطيئته وزلته فلما وصل الي باب الملك قام بين يديه وأقبل عليه الملك فجعل الواقف يلتفت يمينا وشمالا ثم يقض الملك حاجته وانما يقبل الملك عليه على قدر عنايته فكذلك الصلاة اذا دخل العبد فيها ولهي عنها لا تقبل منه * واعلم ان مثل الصلاة كمثل وليمة اتخذها ملك وهيأ فيها ألوانا من الاطعمة والاشربة لكل لون لذة وفي كل لون منفعة ودعا الناس اليها فكذلك الصلاة دعاهم الرب اليها وهيأ لهم فيها أفعالا مختلفة وأذكارا متنوعة فتعبدهم بها ليلذذهم بكل لون من العبودية فالافعال كالاطعمة والاذكار كالاشربة وقد قيل ان في الصلاة اثني عشرة ألف خصلة ثم جمعت هذه الاثنتا عشرة ألفا في اثني عشرة خصلة فمن أراد أن يصلي فلا بد أن يتعاهد هذه الاثني عشرة خصلة لتتم صلاته فستة قبل الدخول في الصلاة وستة فيها أولها العلم لان النبي صلى الله عليه وسلم قال عمل قليل في علم خير

من عمل كثير في جهل والثاني الوضوء لقوله صلى الله عليه وسلم لا صلاة الا بطهور والثالث اللباس لقوله تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد يعني البسوا ثيابكم عند كل صلاة والرابع حفظ الوقت لقوله عز وجل ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا يعني فرضا مؤقتا والخامس استقبال القبلة لقوله عز وجل فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره يعني نحوه والسادس النية لقوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى والسابع التكبير لقوله صلى الله عليه وسلم تحريمها التكبير وتحليلها التسليم والثامن القيام لقوله عز وجل وقوموا لله قانتين يعني صلوا قائمين والتاسع الفاتحة لقوله تعالى فاقرؤا ماتيسر من القرآن والعاشر الركوع لقوله عز وجل واركعوا والحادى عشر السجود لقوله عز وجل واسجدوا والثاني عشر القعود لقوله صلى الله عليه وسلم اذا رفع الرجل رأسه من آخر السجدة وقعد قدر التشهد فقد تمت صلاته فاذا وجدت هذه الاثنا عشرة يحتاج الى الختم وهو الاخلاص لتتم هذه الاشياء لان الله تعالى يقول فاعبدوا الله مخلصين له الدين فاما العلم فعلى ثلاثة أوجه أولها أن يعرف الفريضة من السنة والثاني أن يعرف مافي الوضوء من الفريضة والسنة أيضا فان ذلك من تمام الصلاة والثالث أن يعرف كيد الشيطان فيأخذ في محاربته بالجهد وأما الوضوء فتمامه في ثلاثة أشياء أولها أن تطهر قلبك من الغل والحسد والغش والثاني أن تطهر البدن من الذنوب والثالث أن تغسل الاعضاء غسلا سابغا بغير اسراف

في الماء وأما اللباس فتمامه بثلاثة أشياء أولها أن يكون أصله من الحلال والثاني أن يكون طاهرا من النجاسات والثالث أن يكون موافقا للسنة ولا يكون لبسه على وجه الفخر والخيلاء وأما حفظ الوقت ففي ثلاثة أشياء أولها أن يكون بصرك الى الشمس والقمر والنجوم تتعاهد به حضور الوقت والثاني أن يكون سمعك الى الاذان والثالث أن يكون قلبك متفكرا متعاهدا للوقت وأما استقبال القبلة فتمامه في ثلاثة أشياء أولها أن تستقبل القبلة بوجهك والثاني أن تقبل على الله بقلبك والثالث أن تكون خاشعا ذليلا وأما النية فتمامها في ثلاثة أشياء أولها أن تعلم أي صلاة تصلي والثاني أن تعلم أنك تقوم بين يدي الله تعالى وهو يراك فتقوم بالهيبة والثالث أن تعلم أنه يعلم مافي قلبك فتفرغ قلبك من أشغال الدنيا وأما التكبير فتمامه في ثلاثة أشياء أولها أن تكبر تكبيرا صحيحا جزما والثاني أن ترفع يديك حذاء أذنيك والثالث أن يكون قلبك حاضرا فتكبر مع التعظيم وأما تمام القيام ففي ثلاثة أشياء أولها أن تجعل بصرك في موضع سجودك والثاني أن تجعل قلبك الى الله والثالث أن لا تلتفت يمينا ولا شمالا وأما تمام القراءة ففي ثلاثة أشياء أولها أن تقرأ فاتحة الكتاب قراءة صحيحة بالترتيل بغير لحن والثاني أن تقرأ بالتفكر وتتعاهد معانيها والثالث أن تعمل بما تقرأ وأما تمام الركوع ففي ثلاثة أشياء أولها أن تبسط ظهرك ولا تنكسه ولا ترفعه والثاني أن تضع يديك على ركبتيك وتفرج بين أصابعك والثالث أن تطمئن راكعا وتسبح التسبيحات مع التعظيم والوقار وأما تمام السجود

ففي ثلاثة أشياء أولها أن تضع يديك بحذاء أذنيك والثاني أن لا تبسط ذراعيك والثالث أن تطمئن فيه وتسبح مع التعظيم وأما تمام الجلوس ففي ثلاثة أشياء أولها أن تقعد على رجلك اليسرى وتنصب اليمنى نصبا والثاني أن تتشهد بالتعظيم وتدعو لنفسك وللمؤمنين والثالث أن تسلم على التمام وأما تمام السلام فان يكون مع النية الصادقة من قلبك ان سلامك على من كان عن يمينك من الحفظة والرجال والنساء وكذلك عن يسارك ولا تجاوز بصرك عن منكبيك وأما تمام الاخلاص ففي ثلاثة أشياء أولها أن تطلب بصلاتك رضا الله تعالى ولا تطلب رضا الناس والثاني أن ترى التوفيق من الله تعالى والثالث أن تحفظها حتى تذهب بها يوم القيامة لان الله تعالى قال من جاء بالحسنة ولم يقل من عمل بالحسنة

﴿ الباب الرابع والستون في بيان أهوال القيامة ﴾

روى أن عائشة رضى الله عنها قالت قلت يارسول الله هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة قال أما عند ثلاث مواضع فلا عند الميزان حتى يعلم اما أن يخف واما أن يثقل وعند تطاير الصحف اما أن يعطى كتابه بيمينه واما أن يعطاه بشماله وحين يخرج عنق من النار فينطوى عليهم ويقول وكلت بثلاثة وكلت بمن دعا مع الله الها آخر وبكل جبار عنيد وبكل من لا يؤمن بيوم الحساب فينطوي عليهم حتى يرمى بهم في غمرات جهنم ولجهنم جسر أدق من الشعرة وأحد من السيف عليه كلاليب وحسك والناس يمرون عليه كالبرق الخاطف وكالريح العاصف

الحديث وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ الله من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخصا ببصره الى العرش ينتظر متى يؤمر قال قلت يارسول الله وما الصور قال قرن من نور قلت يارسول الله كيف هو قال عظيم الدارة والذي بعثني بالحق نبيا لعظم دارته كعرض السماء والارض ينفخ فيه ثلاث نفخات نفخة للفزع ونفخة للصعق ونفخة للبعث فتخرج الارواح كانها النحل قد ملأت مابين السماء والارض فتدخل في الاجساد من الخياشيم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم أنا أول من تنشق عنه الارض وفي خبر آخر اذا أحيا الله تعالى جبريل وميكائيل واسرافيل فينزلون الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم ومعهم البراق وحلل من الجنة فتنشق عنه الأرض فينظر النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل فيقول ياجبريل ماهذا اليوم فيقول له هذا يوم القيامة هذا يوم الحاقة هذا يوم القارعة فيقول ياجبريل مافعل الله بأمتي فيقول له جبريل أبشر فانك أول من تنشق عنه الارض وروي أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقول يامعشر الجن والانس اني انصحت لكم فانما هي أعمالكم في صحفكم فمن وجد خيرا فليحمد الله تعالى ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه (وذكر عن يحيي بن معاذ الرازي) انه قرئ في مجلسه يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا أي ركبانا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا يعني مشاة عطاشا فقال أيها الناس مهلا مهلا غدا تحشرون الى الموقف حشرا

ويأتون من الاطراف فوجا فوجا ويقفون بين يدي الله فردا فردا ويسئلون عما فعلتم حرفا حرفا وتقاد الاولياء الى الرحمن وفدا وفدا ويرد العاصون الى عذاب الله وردا وردا و يدخلون جهنم حزبا حزبا اخواني أمامكم يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون يوم الراجفة يوم الآزفة يوم يقوم الناس لرب العالمين يوم الحسرة والندامة يوم المناقشة يوم المحاسبة يوم المساءلة يوم الصيحة يوم الحاقة يوم القارعة يوم النشور يوم ينظر المرء ماقدمت يداه يوم التغابن يوم تبيض وجوه وتسود وجوه يوم لاينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم يوم لاينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار وقال مقاتل ابن سليمان تقف الخلائق يوم القيامة مائة سنة لايتكلمون ومائة سنة فى الظلمة متحيرون ومائة سنة يموج بعضهم في بعض عند ربهم يختصمون وان يوم القيامة على طوله خمسين ألف سنة مما تعدون ليمضى على المؤمن الخاص كاخف صلاة مكتوبة وقال صلى الله عليه وسلم لاتزول قدما عبد حتي يسئل عن أربعة أشياء عن عمره فيم أفناه وعن جسده فيم أبلاه وعن علمه فيم عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وروي عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لم يكن نبي قط الا كانت له دعوة مستجابة فعجلها في الدنيا واني خبأت دعوتي شفاعتي لامتي يوم القيامة اللهم شفعه فينا بجاهه عندك صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب الخامس والستون فى صفة جهنم والميزان ﴾

لابأس بذكر ذلك وان تقدم التنبيه على بعضه تتميما للفائدة لعل تكرر المواعظ ينفع القلوب الغافلة الفاسدة لاسيما وقد عظم الله سبحانه وتعالى هول جهنم وأحوال القيامة في كتابه في غير موضع بما يقع في قلوب العاقلين أعظم موقع تنبيها على أن ماسوى ذلك هين والآخرة خير وأبقى * أما صفة جهنم أعاذنا الله منها بمنه وكرمه فقد روى في الحديث ان جهنم سوداء مظلمة لاضوء لها ولا لهب لها سبعة أبواب على كل باب سبعون ألف جبل في كل جبل سبعون ألف شعبة من نار في كل شعبة سبعون ألف شق من نار في كل شق سبعون الف واد من نار فى كل واد سبعون الف قصر من نار في كل قصر سبعون ألف بيت من نار في كل بيت سبعون الف حية وسبعون الف عقرب لكل لكل عقرب سبعون الف ذنب لكل ذنب سبعون الف فقار في كل فقار سبعون الف قلة من سم فاذا كان يوم القيامة كشف عنها الغطاء فيطير منها سرادق عن يمين الثقلين وسرادق آخر عن يسارهم وسرادق أمامهم وسرادق من فوقهم وآخر من ورائهم فاذا نظر الثقلان الى ذلك جثوا علي الركب وصاروا ينادون كلهم رب سلم وروى مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يؤتي بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في عظم خزنة جهنم المشار اليهم بقوله تعالى غلاظ شداد كل ملك مابين منكبيه مسيرة سنة ولكل واحد منهم قوة لو أنه ضرب بالمقمع الذي في يده جبلا لصار دكا فيدفع بكل

ضربة سبعين الفا في قعر جهنم وأما قوله تعالى عليها تسعة عشر فالمراد بهم رؤساء الزبانية والا فملائكة النار لا يعلم عددهم الا الله قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وسئل ابن عباس رضى الله عنهما عن سعة جهنم فقال والله ما أدري ما سعتها ولكن بلغنا ان بين شحمة أذن كل واحد من الزبانية وبين عاتقه مسيرة سبعين خريفا يعني سبعين سنة وانها تجرى فيها أودية القيح والدم وفي حديث الترمذى ان كثافة كل سرادق من سرادقات النار أى كثافة جداره مسيرة أربعين سنة وروي مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ناركم هذه جزء من سبعين جزأ من حر جهنم قالوا يا رسول الله ان كانت لكافية فقال انها فضلت عليها بتسعة وستين جزأ كلها مثل حرها وقال صلى الله عليه وسلم لو ان جهنميا من أهل جهنم أخرج كفه الى أهل الدنيا لاحترقت الدنيا من حرها ولو أن خازنا من خزنة جهنم أخرج الى أهل الدنيا حتى يبصروه لمات أهل الدنيا حين يبصرونه من غضب الله تعالى الذى عليه وروى مسلم وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع أصحابه اذ سمع وجبة فقال النبي صلى الله عليه وسلم أتدرون ماهذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هـذا حجر رمي به في نار جهنم منذ سبعين خريفا فهو يهوى في النار الآن حين انتهى الى قعرها والوجبـة هي الهـدة وهى صوت وقع الثقيل (وكان عمر بن الخطاب) يقول أكثروا ذكر النار فان حرها شـديد وقعرها بعيد وان مقامعها من حديد وكان ابن عباس يقول ان النار تلتقط أهلها كما يلتقط الطائر الحب وسئل رضى الله عنـه عن قوله تعالى اذا رأتهم من

مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا فهل للنار عينان فقال لهم أما سمعتم قوله صلى الله عليه وسلم من كذب على متعمدا فليتبوأ بين عيني جهنم مقعدا قيل يارسول الله ولها عينان قال أما سمعتم قوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد الحديث ويؤيده حديث يخرج عنق من النار له عينان يبصران ولسان ينطق به فيقول اني وكلت اليوم بمن جعل مع الله الها آخر فلهو أبصر بهم من الطير بحب السمسم فيلتقطه (وأما صفة الميزان) فقد ورد في الحديث ان كفة الحسنات من نور وكفة السيئات من ظلام وروى الترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الجنة توضع عن يمين العرش والنار عن يساره وكفة الحسنات عن يمينه وكفة السيئات عن يساره فتكون الجنة مقابلة الحسنات والنار مقابلة السيئات وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول توزن الحسنات والسيئات في ميزان له كفتان ولسان وكان يقول اذا أراد الله وزن أعمال العباد قلبها أجساما فوزنها يوم القيامة

﴿ الباب السادس والستون في بيان ذم الكبر والعجب ﴾

اعلم أرشدني الله واياك لخير الدنيا والآخرة أن الكبر والاعجاب يسلبان الفضائل ويكسبان الرذائل وحسبك من رذيلة تمنع سماع النصح وقبول التأديب ولذلك قالوا العلم يضيع بين الحياء والكبر العلم حرب المتعالي كما أن السيل حرب للبناء العالي قال صلى الله عليه وسلم لايدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر وقال صلى الله عليه وسلم من جر ثوبه خيلاء لاينظر الله اليه وقال الحكماء لايدوم الملك مع الكبر

وقد قرن الله سبحانه وتعالى الكبر بالفساد فقال تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا وقال تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قال بعض الحكماء ما رأيت متكبرا الا تحول ما به بي يعني أتكبر عليه وكان ابن عوانة من أقبح الناس كبرا روى أنه قال لغلامه اسقني ماء فقال نعم فقال انما يقول نعم من يقدر أن يقول لا اصفعوه فصفع ودعا أكارا فكلمه فلما فرغ دعا بماء فتمضمض به استقذارا لمخاطبته ويقال فلان وضع نفسه في درجة لو سقط منها لتكسر (قال الجاحظ) المشهورون بالكبر من قريش بنو مخزوم وبنو أمية ومن العرب بنو جعفر بن كلاب وبنو زرارة بن عدي وأما الا كاسرة فكانوا لا يعدون الناس الا عبيدا وأنفسهم الا أربابا وقيل لرجل من بني عبد الدار ألا تأتي الخليفة فقال أخاف أن لا يحمل الجسر شرفي وقيل للحجاج بن أرطاة مالك لا تحضر الجماعة قال أخشى أن يزاحمني البقالون وقيل أتى وائل بن حجر الى النبي صلى الله عليه وسلم فاقطعه أرضا وقال لمعاوية أعرض هذه الارض عليه واكتبها له فخرج معه معاوية في هاجرة شديدة ومشى خلف ناقته فأحرقه حر الشمس فقال له أردفني خلفك على ناقتك قال لست من أرداف الملوك قال فأعطني نعليك قال ما بخل يمنعني يا ابن أبي سفيان ولكن أكره أن يبلغ أقيال اليمن أنك لبست نعلي ولكن امش في ظل ناقتي فحسبك بها شرفا وقيل انه لحق زمن معاوية ودخل عليه فأقعده معه على السرير وحدثه وقال المسرور بن هند لرجل

أتعرفني قال لا قال أنا المسرور بن هند قال ما أعرفك قال فتعسا لمن لم يعرف القمر وفي مثله يقول الشاعر

قولا لاحمق يلوي التيه أخدعه * لو كنت تعلم ما في التيه لم تته
التيه مفسدة للدين منقصة * للعقل مهلكة للعرض فانتبه

وقيل لا يتكبر الا كل وضيع ولا يتواضع الا كل رفيع وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه *وعن عبدالله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان نوحا صلى الله عليه وسلم لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال اني آمركما باثنتين وأنهاكما عن اثنتين أنهاكما عن الشرك والكبر و آمركما بلا اله الا الله فان السموات والارض وما فيهن لو وضعت في كفة الميزان ولا اله الا الله في الكفة الاخرى كان لا اله الا الله أرجح منها ولو أن السموات والارض كانتا في حلقة فوضعت لا اله الا الله عليها لقصمتها و آمركما بسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شئ وبها يرزق كل شئ وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن علمه الله كتابه ولم يمت جبارا وعن عبد الله بن سلام رضى الله عنه أنه مر في السوق وعليه حزمة من حطب فقيل له ما يحملك على هذا وقد أغناك الله عن هذا قال أردت أن أدفع الكبر عن نفسي وفي تفسير القرطبي فى قوله تبارك وتعالى ولا يضربن بأرجلهن ان فعلته تبرجا وتعرضا للرجال حرم وكذا من ضرب بنعله من الرجال عجبا حرم لان العجب كبيرة

﴿ الباب السابع والستون في الاحسان الى اليتيم واجتناب الظلم ﴾

أخرج البخاري أنا وكافل اليتيم في الجنة كهذين وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى وفرج بينهما ومسلم كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة وأشار مالك بالسبابة والوسطى والبزار من كفل يتيما له ذو قرابة أولا قرابة له فأنا وهو في الجنة كهاتين وضم أصبعيه ومن سعى على ثلاث بنات فهو في الجنة وكان له كأجر المجاهد في سبيل الله صائما قائما وابن ماجه من عال ثلاثة من الايتام كان كمن قام ليله وصام نهاره وغدا وراح شاهرا سيفه في سبيل الله وكنت أنا وهو في الجنة أخوين كما أن هاتين أختان وألصق أصبعيه السبابة والوسطى والترمذى وصححه من قبض يتيما من بين مسلمين الي طعامه وشرابه أدخله الله الجنة البتة الا أن يعمل ذنبا لا يغفر له وفي رواية سندها حسن حتي يستغني عنه وجبت له الجنة البتة وابن ماجه خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه وأبو يعلى باسناد حسن أنا أول من يفتح باب الجنة الا أني أرى امرأة تبادرني فأقول مالك ومن أنت تقول أنا امرأة قعدت على أيتام لي والطبراني باسناد رواته ثقات الا واحدا ومع ذلك ليس بالمتروك والذى بعثني بالحق لا يعذب الله يوم القيامة من رحم اليتيم ولان له في الكلام ورحم يتمه وضعفه ولم يتطاول على جاره بفضل ما آتاه الله وأحمد وغيره من مسح على رأس يتيم لم يمسحه الا لله كانت له في كل شعرة مرت عليها يده حسنات ومن أحسن الى يتيم أو يتيمة عنده كنت أنا وهو في الجنة كهاتين الحديث وأخرج جماعة وصححها الحاكم أن الله تعالى قال ليعقوب

ان سبب ذهاب بصره وانحناء ظهره وفعل اخوة يوسف به ما فعلوا أنه أتاه يتيم مسكين صائم جائع وقد ذبح هو وأهله شاة فأكلوها ولم يطعموه ثم أعلمه الله تعالى بأنه لم يحب شيئا من خلقه حبه لليتامى والمساكين وأمره أن يصنع طعاما ويدعو المساكين ففعل والشيخان عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الساعي على الارملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله تعالى وأحسبه قال وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر وابن ماجه الساعي على الارملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله وكالذي يقوم الليل ويصوم النهار (قال بعض السلف) كنت في بدء أمري سكيرا مكبا على المعاصي فرأيت يوما يتيما فأكرمته كما يكرم الولد بل أكثر ثم نمت فرأيت الزبانية أخذوني أخذا مزعجا الى جهنم واذا باليتيم قد اعترضني فقال دعوه حتى أراجع ربي فيه فأبوا فاذا النداء خلوا عنه فقد وهبنا له ما كان منه باحسانه اليه فاستيقظت وبالغت في اكرام اليتامى من يومئذ وكان لبعض مياسير العلويين بنات من علوية فمات واشتد بهن الفقر الى أن رحلن عن وطنهن خوف الشماتة فدخلن مسجدا بلد مهجورا فتركتهن أمهن فيه وخرجت تحتال لهن في القوت فمرت بكبير البلد وهو مسلم فشرحت له حالها فلم يصدقها وقال لابد أن تقيمي عندي البينة بذلك فقالت أنا غريبة فأعرض عنها ثم مرت بمجوسي فشرحت له ذلك فصدق وأرسل بعض نسائه فأتت بها وببناتها الى داره فبالغ في اكرامهن فلما مضى نصف الليل رأى ذلك المسلم القيامة قد قامت والنبي صلى الله عليه وسلم معقودا على رأسه لواء الحمد وعنده قصر عظيم فقال

يارسول الله لمن هذا القصر قال لرجل مسلم قال أنا مسلم موحد قال صلى الله عليه وسلم أقم عندي البينة بذلك فتحير فقص له صلى الله عليه وسلم خبر العلوية فانتبه الرجل في غاية الحزن والكآبة اذ ردها ثم بالغ في الفحص عنها حتى دل عليها بدار المجوسي فطلبها منه فأبى وقال قد لحقني من بركاتهن فقال خذ ألف دينار وسلمهن الي فابى فأراد أن يكرهه فقال الذي تريده أنا أحق به والقصر الذى رأيته في النوم خلق لي أتفتخر علي باسلامك فوالله مانمت أنا وأهل داري حتى أسلمنا كلنا على يد العلوية ورأيت مثل منامك وقال لي رسول الله صلي الله عليه وسلم العلوية وبناتها عندك قلت نعم يارسول الله قال القصر لك ولاهل دارك فانصرف المسلم وبه من الكآبة والحزن مالا يعلمه الا الله تعالى

﴿ الباب الثامن والستون في أكل الحرام ﴾

قال الله تعالى ياأيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الآية واختلفوا في المراد به فقيل الربا والقمار والغصب والسرقة والخيانة وشهادة الزور وأخذ المال باليمين الكاذبة وقال ابن عباس هو مايؤخذ من الانسان بغير عوض وعليه قيل لما نزلت الآية تحرجوا من أن يأكلوا عند أحد شيئا حتى نزلت آية النور ولا على أنفسكم ان تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم الى آخرها وقيل هو العقود الفاسدة والوجه قول ابن مسعود انها محكمة مانسخت ولا تنسخ الي يوم القيامة انتهى وذلك لان الاكل بالباطل يشمل كل مأخوذ بغير حق سواء كان على جهة الظلم كالغصب والخيانة والسرقة او الهزؤ واللعب كالمأخوذ بالقمار

والملاهي وسيأتي ذلك كله او على جهة المكر والخديعة كالمأخوذ بعقد فاسد ويؤيد ماذكرته قول بعضهم الآية تشمل أكل الانسان مال نفسه بالباطل بأن ينفقه في محرم ومال غيره به كالامثلة المذكورة وقوله تعالى الاأن تكون تجارة استثناء منقطع لان التجارة ليست من جنس الباطل بأي معنى اريد به وتأويله بالسبب ليكون متصلا ليس في محله والتجارة وان اختصت بعقود المعاوضات الا أن نحو القرض والهبة ملحق بها بأدلة اخرى وقوله تعالى عن تراض منكم اي طيب نفس على الوجه المشروع وتخصيص الاكل فيها بالذكر ليس للتقييد به بل لكونه اغلب وجوه الانتفاعات على حد ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وادلة هذا المبحث والتغليظات الواردة فيه من السنة كثيرة فلنقتصر على بعضها اخرج مسلم وغيره عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله طيب لا يقبل الاطيبا وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأني يستجاب لذلك والطبراني باسناد حسن طلب الحلال واجب على كل مسلم والطبراني والبيهقي طلب الحلال فريضة بعد الفرائض والترمذي وقال حسن صحيح غريب والحاكم وصححه من أكل طيبا وعمل في سنة وأمن الناس بوائقه دخل الجنة قالوا يارسول

الله ان هذا في أمتك اليوم كثير قال وسيكون في قرون بعدي وأحمد وغيره باسناد حسن أربع اذا كن فيك فلا عليك مافاتك من الدنيا حفظ أمانة وصدق حديث وحسن خلق وعفة في طعمة والطبراني طوبى لمن طاب كسبه وصلحت سريرته وكرمت علانيته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله والطبراني باسناد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة والذي نفس محمد بيده ان العبد ليقذف اللقمة الحرام في جوفه مايتقبل منه عمل أربعين يوما وأيما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به والبزار وفيه نكارة انه لادين لمن لاأمانة له ولاصلاة ولازكاة انه من أصاب مالا من حرام فلبس جلبابا يعني قميصا لم تقبل صلاته حتى ينحي ذلك الجلباب عنه ان الله تبارك وتعالى أكرم وأجل من أن يقبل عمل رجل أوصلاته وعليه جلباب من حرام وأحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفيه درهم من حرام لم يقبل الله عز وجل له صلاة مادام عليه ثم أدخل أصبعيه في أذنيه ثم قال صمتا ان لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم سمعته يقوله والبيهقي من اشترى سرقة وهو يعلم أنها سرقة فقد اشترك في عارها واثمها * قال الحافظ المنذري في اسناده احتمال للتحسين ويشبه أن يكون موقوفا وأحمد باسناد جيد والذي نفسي بيده لان يأخذ أحدكم حبله فيذهب به الى الجبل فيحتطب ثم يأتي فيحمله على ظهره فيأكل خير له من أن يجعل في فيه ماحرم الله عليه وابنا خزيمة وحبان في صحيحيهما والحاكم من جمع مالا

حراما ثم تصدق به لم يكن له فيه أجر وكان اصره عليه والطبراني من كسب مالا حراما نأعتق منه ووصل منه رحمه كان ذلك اصرا عليه وأحمد وغيره بسند حسنه بعضهم ان الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وان الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين الا من يحب ومن أعطاه الله الدين فقد أحبه والذى نفسي بيده لا يسلم أو لا يسلم عبد حتى سلم أو يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه قالوا وما بوائقه يا رسول الله قال غشه وظلمه ولا يكسب عبد مالا من حرام فيتصدق منه فيقبل منه ولا ينفق منه فيبارك له فيه ولا يتركه خلف ظهره الا كان زاده الى النار ان الله تعالى لا يمحو السيئ بالسيئ ولكن يمحو السيئ بالحسن ان الخبيث لا يمحو الخبيث والترمذي وقال حسن صحيح غريب سئل صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس النار قال الفم والفرج * وسئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال تقوى الله وحسن الخلق والترمذي وصححه ما تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن علمه ماذا عمل فيه والبيهقي الدنيا خضرة حلوة من اكتسب فيها مالا من حله وأنفقه في حقه أثابه الله عليه وأورده جنته ومن اكتسب فيها مالا من غير حله وأنفقه في غير حقه أورده الله دار الهوان ورب متخوض في مال الله ورسوله له النار يوم القيامة يقول الله تعالى كلما خبت زدناهم سعيرا وابن حبان في صحيحه لا يدخل الجنة لحم ودم نبتا من سحت والنار أولى به

والترمذي لا يربو لحم نبت من سحت الا كانت النار أولى به والسحت بالضم فسكون أوضم الحرام وقيل الخبيث من المكاسب * وفي رواية بسند حسن لا يدخل الجنة جسد غذي بحرام

﴿ الباب التاسع والستون في النهي عن الربا ﴾

الآيات في النهي عن الربا كثيرة ومن الاحاديث مارواه البخارى وأبو داود لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الواشمة والمستوشمة وآكل الربا وموكله ونهى عن ثمن الكلب وكسب البغي ولعن المصورين وروى أحمد وأبو يعلى وابنا خزيمة وحبان في صحيحيهما عن ابن مسعود رضى الله عنه قال آكل الربا وموكله وشاهداه وكاتبه اذا علموا به والواشمة والمستوشمة للحسن ولاوى الصدقة والمرتد أعرابيا بعد الهجرة ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم والحاكم وصححه أربع حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها مدمن الخمر وآكل الربا وآكل مال اليتيم بغير حق والعاق لوالديه والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين الربا ثلاث وسبعون بابا أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه والبزار بسند رواته رواة الصحيح الربا بضع وسبعون بابا والشرك مثل ذلك والبيهقي الربا سبعون بابا أدناها الذي يقع على أمه والطبراني في الكبير عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله من ثلاث وثلاثين زنية يزنيها في الاسلام وفي سنده انقطاع وروى ابن أبي الدنيا والبغوى وغيرهما موقوفا على عبد الله وهو الصحيح وهذا الموقوف في حكم المرفوع لان كون الدرهم

أعظم وزرا من هذا العدد المخصوص من الزنا لايدرك الابوحي فكانه سمعه منه صلى الله عليه وسلم ولفظ الموقوف في أحد طرقه قال عبدالله الربا اثنان وسبعون حوبا أى بضم المهملة وبفتحها اثما أصغرها حوبا كمن أتى أمه في الاسلام ودرهم من الربا أشد من بضع وثلاثين زنية قال ويأذن الله للبر والفاجر بالقيام يوم القيامة الا آكل الربا فانه لايقوم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس وأحمد باسناد جيد عن كعب الاحبار قال لأن أزني ثلاثا وثلاثين زنية أحب الي من أن آكل درهم ربا يعلم الله أني أكلته حين أكلته ربا وأحمد بسند صحيح والطبراني أنه صلى الله عليه وسلم قال درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ست وثلاثين زنية وابن أبي الدنيا والبيهقي خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر أمر الربا وعظم شأنه وقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل وان أربي الربا عرض الرجل المسلم والطبراني في الصغير والأوسط من أعان ظالما بباطل ليدحض به حقا فقد برئ من ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن أكل درهما من ربا فهو مثل ثلاث وثلاثين زنية ومن نبت لحمه من سحت فالنار أولى به والبيهقي ان الربا نيف وسبعون بابا أهونهن بابا مثل من أتى أمه في الاسلام ودرهم من ربا أشد من خمس وثلاثين زنية الحديث والطبراني في الاوسط من رواية عمرو بن راشد وقد وثق الربا اثنان وسبعون بابا أدناها مثل اتيان الرجل أمه وان أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه وابن ماجه

والبيهقي عن أبي معشر وقد وثق عن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الربا سبعون حوبا أيسرها أن ينكح الرجل أمه والحاكم وصححه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تشترى الثمرة حتى تطعام وقال اذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله وأبو يعلى باسناد جيد عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه ذكر حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيه ماظهر فى قوم الزنا والربا الاأحلوا بأنفسهم عذاب الله وأحمد باسناد فيه انظر مامن قوم يظهر فيهم الربا الا أخذوا بالسنة وما من قوم يظهر فيهم الرشا الا أخذوا بالرعب والسنة العام المقحط نزل فيه غيث أم لا وأحمد في حديث طويل وابن ماجه مختصرا والاصبهاني رأيت ليلة أسري بي لما انتهينا الى السماء السابعة فنظرت فوقي فاذاأنا برعد وبروق وقواصف قال فأتيت على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم قلت ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء أكلة الربا والاصبهاني عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما عرج بي الى السماء نظرت في سماء الدنيا فاذا رجال بطونهم كأمثال البيوت العظام قد مالت بطونهم وهم منضدون على سابلة آل فرعون موقوفون على النار كل غداة وعشى يقولون ربنا لاتقم الساعة أبدا قلت ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء أكلة الربا من أمتك لايقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس قال الاصبهاني قوله منضدون أي مطروحون أي طرح بعضهم

على بعض والسابلة المارة أى يطؤهم آل فرعون الذين يعرضون على النار كل غداة وعشي والطبرانى بسند صحيح بين يدى الساعة يظهر الزنا والربا والخمر والطبراني بسند لا بأس به عن القاسم بن عبد الله الوراق قال رأيت عبد الله بن أبي أوفى رضى الله عنه في سوق الصيارفة فقال يامعشر الصيارفة أبشروا قالوا بشرك الله بالجنة بم تبشرنا ياأبا محمد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للصيارفة أبشروا بالنار والطبراني اياك والذنوب التى لاتغفر الغلول فمن غل شيئا أتى به يوم القيامة وأكل الربا فمن أكل الربا بعث يوم القيامة مجنونا يتخبط ثم قرأ صلى الله عليه وسلم الذين يأكلون الربا لايقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس والاصبهانى يأتى آكل الربا يوم القيامة مخبلا أى مجنونا يجر شقيه ثم قرأ لايقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس وابن ماجه والحاكم وصححه ماأحد أكثر من الربا الا كان عاقبة أمره الى قلة والحاكم وصححه أيضا الربا وان كثر فان عاقبته الى قل وأبو داود وابن ماجه كلاهما عن الحسن عن أبي هريرة واختلف في سماعه منه والجمهور على عدمه ليأتين على الناس زمان لايبقى منهم أحد الا أكل الربا فمن لم يأكله أصابه من غباره وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند والذي نفسى بيده ليبيتن أناس من أمتى على أشر وبطر ولهو ولعب فيصبحوا قردة وخنازير باستحلالهم المحارم واتخاذهم القينات وشربهم الخمر وبأكلهم الربا ولبسهم الحرير وأحمد مختصرا والبيهقى واللفظ له يبيت قوم من هذه الامة على طعم وشرب ولهو ولعب فيصبحون

قد مسخوا قردة وخنازير وليصيبنهم خسف وقذف حتى يصبح الناس فيقولون خسف الليلة ببني فلان وخسف الليلة بدار فلان ولترسلن عليهم حجارة من السماء كما أرسلت على قوم لوط على قبائل منها وعلى دور بشربهم الخمر ولبسهم الحرير واتخاذهم القينات وأكلهم الربا وقطيعتهم الرحم وخصلة نسيها راويه القينات جمع قينة وهي المغنية

﴿ الباب السبعون في حقوق العبد ﴾

هي أن تسلم عليه اذا لقيته وتجيبه اذا دعاك وتشمته اذا عطس وتعوده اذا مرض وتشهد جنازته اذا مات وتبر قسمه اذا أقسم عليك وتنصح له اذا استنصحك وتحفظه بظهر الغيب اذا غاب عنك وتحب له ماتحب لنفسك وتكره له ماتكره لنفسك ورد جميع ذلك في أخبار وآثار وقد روي أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلي الله عليه وسلم أنه قال أربع من حق المسلمين عليك أن تعين محسنهم وأن تستغفر لمذنبهم وأن تدعو لمدبرهم وأن تحب تائبهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما في معني قوله تعالى رحماء بينهم قال يدعو صالحهم لطالحهم وطالحهم لصالحهم فاذا نظر الطالح الى الصالح من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك له فيما قسمت له من الخير وثبته عليه وانفعنا به واذا نظر الصالح الى الطالح قال اللهم اهده وتب عليه واغفر له عثرته ومنها أن يحب للمؤمنين مايحب لنفسه ويكره لهم مايكره لنفسه قال النعمان ابن بشير سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى سائره بالحمى

والسهر وروي أبو موسى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ومنها أن لا يؤذى أحدا من المسلمين بفعل ولا قول قال صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وقال صلى الله عليه وسلم في حديث طويل يأمر فيه بالفضائل فان لم تقدر فدع الناس من الشر فانها صدقة تصدقت بها على نفسك وقال أيضا أفضل المسلمين من سلم المسلم من لسانه ويده وقال صلى الله عليه وسلم أتدرون من المسلم فقالوا الله ورسوله أعلم قال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده قالوا فمن المؤمن قال من أمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم قالوا فمن المهاجر قال من هجر السوء واجتنبه وقال رجل يارسول الله ما الاسلام قال أن يسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك وقال مجاهد يسلط على أهل النار الجرب فيحتكون حتى يبدو عظم أحدهم من جلده فينادى يافلان هل يؤذيك هذا فيقول نعم فيقول هذا بما كنت تؤذى المؤمنين وقال صلى الله عليه وسلم لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين وقال أبو هريرة رضي الله عنه يارسول الله علمني شيئا أنتفع به قال اعزل الاذى عن طريق المسلمين وقال صلى الله عليه وسلم من زحزح عن طريق المسلمين شيئا يؤذيهم كتب الله له به حسنة ومن كتب الله له حسنة أوجب له بها الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم أن يشير الى أخيه بنظرة تؤذيه وقال صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم أن يروع مسلما وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يكره أذى

المؤمنين وقال الربيع بن خثيم الناس رجلان مؤمن فلا تؤذه وجاهل فلا تجاهله ومنها أن يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر عليه فان الله لا يحب كل مختال فخور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى أوحى الي أن تواضعوا حتى لا يفخر احد على احد ثم ان تفاخر عليه غيره فليحتمل قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وعن ابن ابي اوفى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتواضع لكل مسلم ولا يأنف ولا يتكبر ان يمشي مع الارملة والمسكين فيقضي حاجته ومنها أن لا يسمع بلاغات الناس بعضهم على بعض ولا يبلغ بعضهم ما يسمع من بعض قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة قتات وقال الخليل بن احمد من نم لك نم عليك ومن أخبرك بخبر غيرك اخبر غيرك بخبرك ومنها ان لا يزيد في الهجر لمن يعرفه على ثلاثة أيام مهما غضب عليه قال أبو أيوب الانصاري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدا بالسلام وقد قال صلى الله عليه وسلم من اقال مسلما عثرته اقاله الله يوم القيامة قال عكرمة قال الله تعالى ليوسف بن يعقوب بعفوك عن اخوتك رفعت ذكرك في الدارين قالت عائشة رضي الله عنها ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط الا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما عفا رجل عن مظلمة الا زاده الله بها عزا وقال صلى الله عليه وسلم ما نقص مال من صدقة وما زاد الله رجلا بعفو الا عزا وما

من أحد تواضع لله الا رفعه الله

﴿ الباب الحادي والسبعون في ذم اتباع الهوى وفي بيان الزهد ﴾

قال الله تعالى ارايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم الآية قال ابن عباس ذلك الكافر اتخذ دينه بغير هدى من الله ولا برهان والمعنى هو مطواع لهوى النفس يتبع ماتدعوه اليه ولا يعمل بكتاب الله فكانه يعبد هواه وقال تعالى ولا تتبع اهواءهم وقال تعالى ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ولذلك استعاذ صلى الله عليه وسلم منه بقوله اللهم اني أعوذ بك من هوى مطاع وشح متبع وقال ثلاث مهلكات هوى مطاع وشح متبع واعجاب المرء بنفسه وذلك لان كل معصية سببها هوى النفس فهو يقود الى النار اعاذنا الله منه قال بعض العارفين اذا بدهك امران لاتدري في ايهما الصواب فانظر ايهما اقرب الى هواك فخالفه وفي هذا المعنى قال الشافعي رضي الله عنه

اذا حار أمرك في معنيين * ولم تدر حيث الخطا والصواب

فخالف هواك فان الهوى * يقود النفوس الى ما يعاب

وقال العباس اذا اشتبه عليك رأيان فدع أحبهما اليك وخذ أثقلهما عليك وأصله أن الامر الخفيف يسهل عليك موقعه ويقرب موضعه وتخف مؤنته وتأتى معونته فيشره المرء اليه وتحرص النفس عليه والامر الثقيل يصعب موقعه ويبعد موضعه وتبطئ معونته فتكسل النفس عنه وتكره التعب به روى عن عمر رضي الله عنه انه قال اقدعوا هذه الانفس فانها طلعة تنزع بكم الى شر غاية ان هذا

الحق ثقيل مريء وان الباطل خفيف وبيء وترك الخطيئة أيسر من معالجة التوبة ورب لظرة زرعت شهوة ولذة ساعة أورثت حزنا طويلا وقال لقمان لابنه يابنى أول ماأحذرك من نفسك فان لكل نفس هوي وشهوة فان أعطيتها شهوتها تمادت وطلبت سواها فان الشهوة كامنة في القلب كمون النار في الحجر ان قدح أورى وان ترك توارى قال بعضهم

اذا ماأجبت النفس فى كل دعوة * دعتك الى الامر القبيح المحرم

﴿ وقال آخر ﴾

اذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوي * الى كل مافيه عليك مقال

وقال غيره

واعلم بأنك لن تسود ولن تري * طرق الرشاد اذا اتبعت هواك

﴿ وقال ﴾

اذا شئت اتيان المحامد كلها * ونيل الذي ترجوه من رحمة الرب

فخالف هوى النفس المسيئة انه * لاعدي وأردى من هوى الحب

هماسيان احتف الهوي غير أن في * هوى الحب مهما عف بعدا عن الذنب

وجل المعاصي فى هوي النفس فاعتمد * خلاف الذي تهواه ان كنت ذا لب

﴿ وقال ﴾

انارة العقل مكسوف بطوع هوي * وعقل عاصي الهوي يزداد تنويرا

﴿ وقال الفضل بن العباس ﴾

لقد ترفع الايام من كان جاهلا * ويردى الهوى ذا الرأى وهو لبيب

وقد يحمد الناس الفتى وهو مخطيء * ويعذل فى الاحسان وهو مصيب

وقال صلى الله عليه وسلم خلق الله العقل وقال له أقبل فاقبل وقال له أدبر فادبر فقال وعزتي وجلالي لاركبتك الا في أحب الخلق الي وخلق الحمق فقال له أقبل فأقبل وقال له أدبر فأدبر فقال وعزتي وجلالي لا ركبتك الا في أبغض الخلق الي رواه الترمذي ولله در من قال

وقد أصاب رأيه عين الصواب * من استشار عقله في كل باب
وقد رأى ان الهوى مهما يجب * يدعو الى سوء العواقب والعقاب

﴿ وأنشد آخر ﴾

اذا شئت أن تحظى وأن تبلغ المنى * فلا تسعد النفس المطيعة للهوى
وخالف بها عن مقتضى شهواتها * واياك أن تحفل بمن ضل أوغوى
ودعها وما تدعو اليه فانها * لأمارة بالسوء من هم أو مدي
املك أن تنجو من النار انها * لقاطعة الامعاء نزاعة الشوى

ومن منثورهم الهوى مركب ذميم يسير بك في ظلمات الفتن ومرتع وخيم يقعدك في مواطن المحن فلا تحملك شهوة النفس على ركوب المذمات والقعود في مواطن الخطيئات قيل لبعضهم لو تزوجت قال لو قدرت أن أطلق نفسي لطلقتها وأنشد

تجرد من الدنيا فانك انما * سقطت الى الدنيا وأنت مجرد

الدنيا نوم والآخرة يقظة والمتوسط بينهما الموت ونحن في أضغاث أحلام من نظر بعين الهوى حار ومن حكم على الهوى جار ومن أطال النظر لم يدرك الغاية وليس لناظر نهاية * أوصى بعض الحكماء

وجلا فقال آمرك بمجاهدة هواك فان الهوي مفتاح السيئات وخصيم الحسنات وكل أهوائك لك عدو وأعواها هوى يمثل لك الاثم في صورة التقوى ولن تفصل بين هذه الخصوم اذا تناظرت لديك الا بحزم لايشوبه وهن وصدق لايطمع فيه تكذيب ومضاء لايقاربه التثبط وصبر لايغتاله جزع ونية لايتقسمها التضييع اللهم اجعل عقولنا غالبة على هوانا ولاتذقنا ضرا ولا هوانا ولا تشغلنا بدنيانا عن أخرانا واجعلنا ذا كرين لك شاكرين لنعمك بجاه نبيك محمد سيدنا ومولانا صلى الله عليه وسلم والحمد لله على ماأولانا * قال صلى الله عليه وسلم خير دينكم الورع وقال سيد العمل الورع وقال كن ورعا تكن أعبد الناس وكن قنعا تكن أشكر الناس وقال صلى الله عليه وسلم من لم يكن له ورع يصده عن معصية الله اذا خلا لم يعبأ الله بشيء من عمله قال ابراهيم بن أدهم الزهد ثلاث مقامات فزهد فرض وهو الكف عن المحارم وزهد سلامة وهو ترك الشبهات وزهد فضل وهو الزهد في الحلال وهذا تفسير حسن قال ابن المبارك الزهد اخفاء الزهد اذا هرب الزاهد من الناس فاطلبه واذا طلب الناس فاهرب منه وماأحسن قول القائل

اني وجدت فلا تظنن غيره * أن التورع عند هذا الدرهم

فاذا قدرت عليه ثم تركته * فاعلم بأن تقاك تقوى المسلم

وليس الزاهد من زهد في الدنيا وقد أعرضت عنه وانما الزاهد من أقبلت عليه فزوى عنها وجهه وآثر الفرار منها كما قال أبو تمام

اذا المرء لم يزهد وقد صبغت له * بعصفرها الدنيا فليس بزاهد

وقال بعض الحكماء مالنا لا نزهد في الدنيا وعمرها أمد وخيرها نكد وصفوها كدر وأمانها غرر ان أقبلت تشجي وان أدبرت تردى قال

تبا لطالب دنيا لابقاء لها * كأنما هي في تصريفها حلم
صفاؤها كدر سراؤها ضرر * أمانها غرر أنوارها ظلم
شبابها هرم راحاتها سقم * لذاتها ندم وجدانها عدم
لا يستفيق من الانكاد صاحبها * لو كان يملك ما قد ضمنت ارم
فخل عنها ولا تركن لزهرتها * فانها نعم في طيها نقم
واعمل لدار نعيم لانفاد لها * ولا يخاف بها موت ولا هرم

ومن حكم يحيى بن معاذ ليكن نظرك الى الدنيا اعتبارا ورفضك لها اختيارا وسعيك فيها اضطرارا وطلبك الآخرة ابتدارا

﴿ الباب الثاني والسبعون في صفة الجنة ومراتب أهلها ﴾

اعلم ان تلك الدار التي عرفت همومها وغمومها وهي النار تقابلها دار أخرى فتأمل نعيمها وسرورها فان من بعد من احداهما استقر لامحالة فى الاخرى فاستأثر الخوف من قلبك بطول الفكر في أهوال الجحيم واستثر الرجاء بطول الفكر في النعيم المقيم الموعود لاهل الجنان وسق نفسك بصوت الخوف وقدها بزمام الرجاء الى الصراط المستقيم فبذلك تنال الملك العظيم وتسلم من العذاب الاليم فتفكر فى أهل الجنة وفي وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم جالسين على منابر

الياقوت الاحمر في خيام من اللؤلؤ الرطب الابيض فيها بسط من العبقري الاخضر متكئين على الارائك منصوبة على أطراف انهار مطردة بالخمر والعسل محفوفة بالغلمان والولدان مزينة بالحور العين من الخيرات الحسان كانهن الياقوت والمرجان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان يمشين في درجات الجنان اذا اختالت احداهن في مشيها حمل أعطافها سبعون ألفا من الولدان عليها من طرائف الحرير الابيض ماتتحير فيه الابصار متوجات بالتيجان المرصعة باللؤلؤ والمرجان شكلات غنجات عطرات آمنات من الهرم والبؤس مقصورات في الخيام في قصور من الياقوت بنيت وسط روضات الجنان قاصرات الطرف عين ثم يطاف عليهم وعليهن بأكواب وأباريق وكاس من معين بيضاء لذة للشاربين ويطوف عليهم خدام وولدان كامثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون فى مقام أمين فى جنات وعيون فى جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ينظرون فيها الى وجه الملك الكريم وقد أشرقت فى وجوههم نضرة النعيم لايرهقهم قتر ولا ذلة بل عباد مكرمون وبأنواع التحف من ربهم يتعاهدون فهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون لايخافون فيها ولا يحزنون وهم من ريب المنون آمنون فهم فيها يتنعمون ويأكلون من أطعمتها ويشربون من أنهارها لبنا وخمرا وعسلا و ماء غير آسن أراضيها من فضة وحصباؤها مرجان وترابها مسك أذفر ونباتها زعفران وعطرون من سحاب فيها من ماء النسرين على كثبان الكافور ويؤتون بأكواب أي أكواب من فضة مرصعة بالدر

والياقوت والمرجان كوب فيه من الرحيق المختوم ممزوج به السلسبيل العذب وكوب يشرق نوره من صفاء جوهره يبدو الشراب من ورائه برقته وحمرته لم يصنعه آدمي فيقصر في تسوية صنعته وتحسين صناعته في كف خادم يحكي ضياء وجهه الشمس في اشراقها ولكن من أين للشمس مثل حلاوة صورته وحسن أصداغه وملاحة أحداقه فياعجبا لمن يؤمن بدار هذه صفتها ويوقن بأنه لايموت أهلها ولا تحل الفجائع بمن نزل بفنائها ولاتنظر الاحداث بعين التغيير الى أهلها كيف يأنس بدار قد أذن الله في خرابها ويتهنأ بعيش دونها والله لولم يكن فيها الاسلامة الابدان مع الامن من الموت والجوع والعطش وسائر أصناف الحدثان لكان جديرا بأن يهجر الدنيا بسببها وأن لايؤثر عليها ماالتصرم والتنغص من ضرورته كيف وأهلها ملوك آمنون وفي أنواع السرور ممتعون لهم فيها كل مايشتهون وهم في كل يوم بفناء العرش يحضرون والى وجه الله الكريم ينظرون وينالون بالنظر من الله مالا ينظرون معه الى سائر نعيم الجنان ولايلتفتون وهم على الدوام بين أصناف هذه النعم يترددون ومن زوالها آمنون قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي مناد ياأهل الجنة ان لكم أن تصحوا فلاتسقموا أبدا وان لكم أن تحيوا فلاتموتوا أبدا وان لكم أن تشبوا فلاتهرموا أبدا وان لكم أن تنعموا فلاتبأسوا أبدا فذلك قوله عز وجل ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون ومهما اردت ان تعرف صفة الجنة فاقرأ القرآن فليس وراء بيان الله تعالى بيان واقرأ

من قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان الى آخر سورة الرحمن واقرأ سورة الواقعة وغيرها من السور وان أردت أن تعرف تفصيل صفاتها من الاخبار فتأمل الآن تفصيلها بعد أن اطلعت على جملتها وتأمل أولا عدد الجنان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن ثم انظر الى أبواب الجنة فانها كثيرة بحسب أصول الطاعات كما أن أبواب النار بحسب أصول المعاصي قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنفق زوجين من ماله في سبيل الله دعي من أبواب الجنة كلها وللجنة ثمانية أبواب فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد فقال أبو بكر رضي الله عنه والله ما على أحد من ضرورة من أيها دعي فهل يدعى أحد منها كلها قال نعم وأرجو أن تكون منهم وعن عاصم بن ضمرة عن علي كرم الله وجهه أنه ذكر النار فعظم أمرها ذكرا لا أحفظه ثم قال وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا انتهوا الى باب من أبوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان فعمدوا الى احداهما كما أمروا به فشربوا منها فأذهبت ما في بطونهم من أذى أو بأس ثم عمدوا الى الاخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلا تتغير أشعارهم بعدها أبدا ولا تشعث

ر ؤسهم كأنما دهنوا بالدهان ثم انتهوا الى الجنة فقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما تطيف ولدان أهل الدنيا بالحبيب يقدم عليهم من غيبة يقولون له أبشر أعد الله لك من الكرامة كذا قال فينطلق غلام من أولئك الولدان الى بعض أزواجه من الحور العين فيقول قد جاء فلان باسمه الذي كان يدعى به في الدنيا فتقول أنت رأيته فيقول أنا رأيته وهو بأثرى فيستخفها الفرح حتى تقوم الى أسكفة بابها فاذا انتهى الى منزله نظر الى أساس بنيانه فاذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح أحمر وأخضر وأصفر من كل لون ثم رفع رأسه فينظر الى سقفه فاذا هو مثل البرق ولولا أن الله تعالى أقدره لألم بأن يذهب بصره ثم يطأطئ رأسه فاذا أزواجه وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة ثم اتكأ فقال الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ثم ينادي مناد تحيون فلا تموتون أبدا وتقيمون فلا تظعنون أبدا وتصحون فلا تمرضون أبدا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آتى يوم القيامة باب الجنة فأستفتح فيقول الخازن من انت فأقول محمد فيقول بك أمرت أن لا أفتح لاحد قبلك * ثم تأمل الآن في غرف الجنة واختلاف درجات العلو فيها فان الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا وكما أن بين الناس في الطاعات الظاهرة والاخلاق الباطنة المحمودة تفاوتا ظاهرا فكذلك فيما يجازون به تفاوت ظاهر فان كنت تطلب أعلى الدرجات فاجتهد ان لا يسبقك أحد بطاعة الله تعالى فقد امر الله بالمسابقة والمنافسة فيها فقال تعالى

سابقوا الى مغفرة من ربكم وقال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون والعجب انه لو تقدم عليك اقرانك اوجيرانك بزيادة درهم او بعلو بناء ثقل عليك ذلك او ضاق به صدرك وتنغص بسبب الحسد عيشك وأحسن أحوالك أن تستقر في الجنة وأنت لا تسلم فيها من أقوام يسبقونك بلطائف لا توازيها الدنيا بحذافيرها فقد قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف فوقهم كما تتراءون الكوكب الغائر في الافق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يارسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وقال أيضا ان أهل الدرجات العلا ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق من آفاق السماء وان أبا بكر وعمر منهم وأنعما * وقال جابر قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أحدثكم بغرف الجنة قال قلت بلى يارسول الله صلى الله عليك بأبينا أنت وأمنا قال ان في الجنة غرفا من أصناف الجوهر كله يرى ظاهرها من باطنها و باطنها من ظاهرها وفيها من النعيم واللذات والسرور مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال قلت يارسول الله ولمن هذه الغرف قال لمن أفشى السلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام قال قلنا يارسول الله ومن يطيق ذلك قال أمتي تطيق ذلك وسأخبركم عن ذلك من لقى أخاه فسلم عليه فقد أفشى السلام ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام ومن صام شهر رمضان ومن

كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام ومن صلى العشاء الآخرة وصلى الغداة في جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام يعني اليهود والنصارى والمجوس * وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن قال قصور من لؤلؤ في كل قصر سبعون دارا من ياقوت أحمر في كل دار سبعون بيتا من زمرد أخضر في كل بيت سرير على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن في كل غداة يعني من القوة ما يأتي على ذلك أجمع.

﴿ الباب الثالث والسبعون في الصبر والرضا والقناعة ﴾

أما فضل الرضا من الآيات فقوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه وقد قال تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان ومنتهى الاحسان رضا الله عن عبده وهو ثواب رضا العبد عن الله تعالى وقال تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر فقد رفع الله الرضا فوق جنات عدن كما رفع ذكره فوق الصلاة حيث قال ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر فكما أن مشاهدة المذكور في الصلاة أكبر من الصلاة فرضوان رب الجنة أعلى من الجنة بل هو غاية مطالب سكان الجنان وفي الحديث ان الله تعالى يتجلى للمؤمنين فيقول سلوني فيقولون رضاك فسؤالهم الرضا بعد النظر نهاية التفضيل وأما رضا العبد فسنذكر حقيقته وأما رضوان الله تعالى عن العبد فهو

بمعنى آخر يقرب مما ذكرناه في حب الله للعبد ولا يجوز أن يكشف عن حقيقته اذ تقصر أفهام الخلق عن دركه ومن يقوى عليه فيستقل بادراكه من نفسه وعلى الجملة فلا رتبة فوق النظر اليه فانما سألوا الرضا لانه سبب دوام النظر فكأنهم رأوه غاية الغايات وأقصى الاماني لما ظفروا بنعيم النظر فلما أمروا بالسؤال لم يسألوا الا دوامه وعلموا أن الرضا هو سبب دوام رفع الحجاب وقال الله تعالى ولدينا مزيد قال بعض المفسرين فيه يأتي أهل الجنة في وقت المزيد ثلاث تحف من عند رب العالمين احداها هدية من عند الله تعالى ليس عندهم في الجنان مثلها فذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين والثانية السلام عليهم من ربهم فيزيد ذلك على الهدية فضلا وهو قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم والثالثة يقول الله تعالى اني عنكم راض فيكون ذلك أفضل من الهدية والتسليم فذلك قوله تعالى ورضوان من الله أكبر أي من النعيم الذي هم فيه فهذا فضل رضا الله تعالى وهو ثمرة رضا العبد * وأما فضله من الاخبار فقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل طائفة من أصحابه ما أنتم فقالوا مؤمنون فقال ما علامة ايمانكم فقالوا نصبر على البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال مؤمنون ورب الكعبة وفي خبر آخر أنه قال حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء وفي الخبر طوبى لمن هدي للاسلام وكان رزقه كفافا ورضي به وقال صلى الله عليه وسلم من رضي من الله تعالى بالقليل من الرزق رضي الله تعالى منه بالقليل من العمل وقال تعالى اذا أحب الله

تعالى عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه فان رضي اصطفاه وقال أيضا اذا كان يوم القيامة أنبت الله تعالى لطائفة من أمتي أجنحة فيطيرون من قبورهم الى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون فيها كيف شاؤا فتقول لهم الملائكة هل رأيتم الحساب فيقولون ما رأينا حسابا فتقول لهم هل جزتم الصراط فيقولون ما رأينا صراطا فتقول لهم هل رأيتم جهنم فيقولون ما رأينا شيأ فتقول الملائكة من أمة من أنتم فيقولون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فتقول نشدناكم الله حدثونا ما كانت أعمالكم في الدنيا فيقولون خصلتان كانتا فينا فبلغنا هذه المنزلة بفضل رحمة الله فيقولون وما هما فيقولون كنا اذا خلونا نستحي أن نعصيه ونرضى باليسير مما قسم لنا فتقول الملائكة يحق لكم هذا وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا وفي أخبار موسى عليه السلام ان بني اسرائيل قالوا له سل لنا ربك أمرا اذا نحن فعلناه يرضى به عنا فقال موسى عليه السلام الهي قد سمعت ما قالوا فقال يا موسى قل لهم يرضون عني حتى أرضى عنهم (وأما فضل الصبر) فقد ذكر في القرآن في نيف وتسعين موضعا وأضاف أكثر الدرجات والخيرات الى الصبر وجعلها ثمرة له وجمع للصابرين بين أمور لم يجمعها لغيرهم فقال تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون فالهدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين واستقصاء جميع الآيات في مقام الصبر يطول ﴿ وأما الأخبار ﴾ فقد قال صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان وقال صلى الله عليه وسلم من أقل ما أوتيتم

اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهما لم يبال بما فاته من قيام الليل وصيام النهار ولأن تصبروا على ما أنتم عليه أحب الى من أن يوافيني كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكني أخاف أن تفتح عليكم الدنيا بعدي فينكر بعضكم بعضا وينكركم أهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه ثم قرأ قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق وليجزين الذين صبروا أجرهم الآية وروى جابر أنه سئل صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقال الصبر والسماحة وقال أيضا الصبر كنز من كنوز الجنة وسئل مرة ما الايمان فقال الصبر وهذا يشبه قوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة معناه معظم الحج عرفة وقال أيضا صلى الله عليه وسلم أفضل الاعمال ما أكرهت عليه النفوس وقيل أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام تخلق بأخلاقي وان من أخلاقي أني أنا الصبور وفي حديث عطاء عن ابن عباس لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الانصار فقال أمؤمنون أنتم فسكتوا فقال عمر نعم يارسول الله قال وما علامة ايمانكم قالوا نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء فقال صلى الله عليه وسلم مؤمنون ورب الكعبة وقال صلى الله عليه وسلم في الصبر على ما تكره خير كثير وقال المسيح عليه السلام انكم لا تدركون ما تحبون الا بصبركم على ما تكرهون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان الصبر رجلا لكان كريما والله يحب الصابرين والاخبار في هذا لا تحصى وقال صلى الله عليه وسلم عز من قنع وذل من طمع وقال صلى الله عليه وسلم القناعة

كنز لا يفنى وتقدم الكلام على القناعة مرارا

﴿ الباب الرابع والسبعون في فضل التوكل ﴾

فمن الآيات قوله تعالى ان الله يحب المتوكلين وأعظم بمقام موسوم بمحبة الله تعالى صاحبه ومضمون بكفاية الله تعالى ملابسه فمن الله تعالى حسبه وكافيه ومحبه ومراعيه فقد فاز الفوز العظيم فان المحبوب لا يعذب ولا يبعد ولا يحجب * ومن الاخبار قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن مسعود رأيت الامم في الموسم فرأيت أمتي قد ملؤا السهل والجبل فأعجبتني كثرتهم وهيئتهم فقيل لي أرضيت قلت نعم قيل ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب قيل من هم يارسول الله قال الذين لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة وقال يارسول الله أدع الله أن يجعلني منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعله منهم فقام آخر فقال يارسول الله أدع الله أن يجعلني منهم فقال صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة وقال صلى الله عليه وسلم لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقال صلى الله عليه وسلم من انقطع الى الله عز وجل كفاه الله تعالى كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها وقال صلى الله عليه وسلم من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق منه بما في يديه ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا الى الصلاة ويقول بهذا أمرني ربي عز وجل قال عز وجل وأمر أهلك بالصلاة

واصطبر عليها الآية وقال صلى الله عليه وسلم لم يتوكل من استرقي واكتوي وروى انه لما قال جبريل لابراهيم عليهما السلام وقد رمى الى النار بالمنجنيق ألك حاجة قال أما اليك فلا وفاء بقوله حسبي الله ونعم الوكيل اذ قال ذلك حين أخذ ليرمي فأنزل الله تعالى وابراهيم الذي وفي وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ياداود مامن عبد يعتصم بى دون خلقي فتكيده السموات والارض الا جعلت له مخرجا وقال سعيد ابن جبير لدغتني عقرب فأقسمت على أمى لتسترقين فناولت الراقي يدى التي لم تلدغ وقرأ الخواص قوله تعالى وتوكل على الحي الذى لايموت الي آخرها فقال ماينبغي للعبد بعد هذه الآية أن يلجأ الى أحد غير الله تعالى وقيل لبعض العلماء في منامه من وثق بالله تعالى فقد أحرز قوته وقال بعض العلماء لايشغلك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل فتضيع أمر آخرتك ولا تنال من الدنيا الا ماقد كتب الله لك وقال يحيي بن معاذ فى وجود العبد الرزق من غير طلب دلالة على أن الرزق مأمور بطلب العبد وقال ابراهيم بن أدهم سألت بعض الرهبان من أين تأكل فقال لى ليس هذا العلم عندي ولكن سل ربي من أين يطعمني وقال هرم بن حيان لاويس القرني أين تأمرني أن أكون فأومأ الي الشام قال هرم كيف المعيشة قال أويس أف لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها الموعظة وقال بعضهم متى رضيت بالله وكيلا وجدت الى كل خير سبيلا نسأل الله تعالى حسن الادب

﴿ الباب الخامس والسبعون في فضل المسجد ﴾

قال الله عز وجل انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وقال صلى الله عليه وسلم من بني لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بني الله له قصرا في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من ألف المسجد ألفه الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم اذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس وقال صلى الله عليه وسلم لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد وقال صلى الله عليه وسلم الملائكة تصلي على أحدكم مادام في مصلاه الذي يصلي فيه تقول اللهم صل عليه اللهم ارحمه اللهم اغفر له مالم يحدث أو يخرج من المسجد وقال صلى الله عليه وسلم يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل في بعض الكتب ان بيوتي في أرضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور أن يكرم زائره وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان وقال سعيد بن المسيب من جلس في المسجد فانما يجالس ربه فما حقه أن يقول الا خيرا ويروى في الاثر أو الخبر الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهائم الحشيش وقال النخعي كانوا يرون أن المشي في الليلة المظلمة الى المسجد موجب للجنة وقال أنس بن مالك من أسرج في المسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له مادام في ذلك المسجد ضوؤه وقال على كرم الله

وجهه اذا مات العبد يبكي عليه مصلاه من الارض ومصعد عمله من السماء ثم قرأ فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين وقال ابن عباس تبكي عليه الارض أربعين صباحا وقال عطاء الخراساني ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الارض الا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت وقال أنس بن مالك ما من بقعة يذكر الله تعالى عليها بصلاة أو ذكر الا افتخرت على ما حولها من البقاع واستبشرت بذكر الله عز وجل الى منتهاها من سبع أرضين وما من عبد يقوم يصلي الا تزخرفت له الارض ويقال ما من منزل ينزل فيه قوم الا أصبح ذلك المنزل يصلي عليهم أو يلعنهم

﴿ الباب السادس والسبعون في الرياضة وفضل أهل الكرامة ﴾

اعلم أن الله عز وجل اذا أراد بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كانت بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه فاذا عرف العيوب أمكنه العلاج ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم يرى أحدهم القذى في عين أخيه ولا يري الجذع في عين نفسه فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه فله أربعة طرق ﴿ الاول ﴾ أن يجلس بين يدى شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه في نفسه ويتبع اشارته في مجاهدته وهذا شأن المريد مع شيخه والتلميذ مع أستاذه فيعرفه أستاذه وشيخه عيوب نفسه ويعرفه طريق علاجه وهذا قد عز في هذا الزمان وجوده ﴿ الثاني ﴾ أن يطلب صديقا صدوقا بصيرا متدينا فينصبه رقيبا على نفسه ليلاحظ أحواله وأفعاله فما كره من أخلاقه

وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه فهكذا كان يفعل الاكياس والاكابر من أئمة الدين كان عمر رضي الله عنه يقول رحم الله امرأ أهدي الى عيوبي وكان يسأل سلمان عن عيوبه فلما قدم عليه قال له ماالذي بلغك عني مما تكرهه فاستعفى فألح عليه فقال بلغني انك جمعت بين ادامين على مائدة وأن لك حلتين حلة بالنهار وحلة بالليل قال وهل بلغك غير هذا قال لا فقال أما هذان فقد كفيتهما وكان يسأل حذيفة ويقول له أنت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين فهل ترى علي شيأ من آثار النفاق فهو على جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كانت تهمته لنفسه رضي الله عنه فكل من كان أوفر عقلا وأعلى منصبا كان أقل اعجابا وأعظم اتهاما لنفسه الا أن هذا أيضا قد عز فقل في الاصدقاء من يترك المداهنة فيخبر بالعيب أو يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا تخلو في أصدقائك عن حسود أو صاحب غرض يري ماليس بعيب عيبا أو عن مداهن يخفي عنك بعض عيوبك ولهذا كان داود الطائي قد اعتزل الناس فقيل له لم لاتخالط الناس فقال وماذا أصنع بأقوام يخفون عني عيوبي فكانت شهوة ذوي الدين أن يتنبهوا لعيوبهم بتنبيه غيرهم وقد آل الامر في أمثالنا الى ان أبغض الخلق الينا من ينصحنا ويعرفنا عيوبنا ويكاد هذا أن يكون مفصحا عن ضعف الايمان فان الاخلاق السيئة حيات وعقارب لداغة فلو نبهنا منبه على أن تحت ثوبنا عقربا لتقلدنا منه منة وفرحنا به واشتغلنا بازالة العقرب وابعادها وقتلها وانما نكايتها على البدن ويدوم المها يوما فما دونه ونكاية الاخلاق

الرديئة على صميم القلب أخشى أن تدوم بعد الموت أبدا أو آلافا من السنين ثم انا لا نفرح بمن ينبهنا عليها ولا نشتغل بازالتها بل اشتغل بمقابلة الناصح بمثل مقالته فنقول له وأنت أيضا تصنع كيت وكيت وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه ويشبه أن يكون ذلك من قساوة القلب التي أثمرتها كثرة الذنوب وأصل كل ذلك ضعف الايمان فنسأل الله عز وجل أن يلهمنا رشدنا ويبصرنا بعيوبنا ويشغلنا بمداواتها ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا بمنه وفضله (الطريق الثالث) أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من ألسنة أعدائه فان عين السخط تبدي المساوي ولعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن يذكره عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه الا أن الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل مايقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول أعدائه فان مساويه لابد وان تنتشر على ألسنتهم (الطريق الرابع) أن يخالط الناس فكل مارآه مذموما فيما بين الخلق فليطالب نفسه به وينسبها اليه فان المؤمن مرآة المؤمن فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم أن الطباع متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الاقران لا ينفك القرن الآخر عن أصله أو عن أعظم منه أو عن شيء منه فليتفقد نفسه ويطهرها عن كل مايذمه من غيره وناهيك بهذا تأديبا فلو ترك الناس كلهم مايكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب (قيل) لعيسى عليه السلام من أدبك قال ماأدبني أحد رأيت جهل الجاهل شينا فاجتنبته وهذا كله حيل من فقد شيخا عارفا زكيا بصيرا بعيوب النفس

مشفقا ناصحا في الدين فارغا من تهذيب نفسه مشتغلا بتهذيب عباد الله تعالى ناصحا لهم فمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده (واعلم) أن ماذكرناه ان تأملته بعين الاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشفت لك علل القلوب وأمراضها وأدويتها بنور العلم واليقين فان عجزت عن ذلك فلا ينبغي أن يفوتك التصديق والايمان على سبيل التلقي والتقليد لمن يستحق التقليد فان للايمان درجة كما أن للعلم درجة والعلم يحصل بعد الايمان وهو وراءه قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات فمن صدق بان مخالفة الشهوات هو الطريق الى الله عز وجل ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين آمنوا واذا اطلع على ماذكرناه من أعوان الشهوات فهو من الذين أوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى والذي يقتضي الايمان بهذا الامر في القرآن والسنة وأقاويل العلماء أكثر من أن يحصر قال الله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وقال تعالى أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى قيل نزع منها محبة الشهوات وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن بين خمس شدائد مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه فبين أن النفس عدو منازع يجب عليه مجاهدتها ويروى أن الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام ياداود حذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات فان القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود غائب لم يره وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لقوم قدموا من الجهاد

مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر قيل يارسول الله وما الجهاد الاكبر قال جهاد النفس وقال صلي الله عليه وسلم المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله عز وجل وقال صلي الله عليه وسلم كف أذاك عن نفسك ولاتتابع هواها في معصية الله تعالي اذا تخاصمك يوم القيامة فيلعن بعضك بعضا الا أن يغفر الله تعالي ويستر وقال سفيان الثوري ماعالجت شيئا أشد علي من نفسي مرة لي ومرة علي وكان أبو عباس الموصلي يقول لنفسه يا نفس لافي الدنيا مع أبناء الملوك تتنعمين ولا في طلب الآخرة مع العباد تجتهدين كأني بك بين الجنة والنار تحبسين يانفس ألا تستحيين وقال الحسن ماالدابة الجموع بأحوج الي اللجام الشديد من نفسك وقال يحيي بن معاذ الرازي جاهد نفسك بأسياف الرياضة والرياضة على أربعة أوجه القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام وحمل الاذى من جميع الانام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الاذي البلوغ الي الغايات وليس على العبد شيء أشد من الحلم عند الجفا والصبر على الاذي واذا تحركت من النفس ارادة الشهوات والآثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيوف قلة الطعام من غمد التهجد وقلة المنام وضربتها بأيدي الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع عن الظلم والانتقام فتأمن من بوائقها من بين سائر الانام وتصفيها من ظلمة شهواتها فتنجو من غوائل آفاتها فتصير عند ذلك نظيفة ونورية خفيفة روحانية فتجول في ميدان الخيرات وتسير في مسالك الطاعات

كالفرس الفاره في الميدان وكالملك المتنزه في البستان وقال أيضا أعداء الانسان ثلاثة دنياه وشيطانه ونفسه فاحترس من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك الشهوات وقال بعض الحكماء من استولت عليه النفس صار أسيرا في حب شهواتها محصورا في سجن هواها مقهورا مغلولا زمامه في يدها تجره حيث شاءت فتمنع قلبه من الفوائد وقال جعفر بن حميد أجمعت العلماء والحكماء على أن النعيم لا يدرك الا بترك النعيم وقال أبو يحيى الوراق من أرضى الجوارح بالشهوات فقد غرس في قلبه شجر الندامات وقال وهيب بن الورد مازاد على الخبز فهو شهوة وقال أيضا من أحب شهوات الدنيا فليتهيأ للذل (ويروى) أن امرأة العزيز قالت ليوسف عليه السلام بعد أن ملك خزائن الارض وقعدت له على رابية الطريق في يوم موكبه وكان يركب في زهاء اثنى عشر ألفا من عظماء مملكته سبحان من جعل الملوك عبيدا بالمعصية وجعل العبيد ملوكا بطاعتهم له ان الحرص والشهوة صيرا الملوك عبيدا وذلك جزاء المفسدين وان الصبر والتقوى صيرا العبيد ملوكا فقال يوسف كما أخبر الله تعالى عنه انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين (وقال الجنيد) أرقت ليلة فقمت الى وردي فلم أجد الحلاوة التي كنت أجدها فأردت أن أنام فلم أقدر فجلست فلم أطق الجلوس فخرجت فاذا رجل ملتف في عباءة مطروح على الطريق فلما أحس بي قال يا أبا القاسم الى الساعة فقلت ياسيدي من غير موعد فقال بلى سألت الله عز وجل أن يحرك لي قلبك فقلت قد فعل فما حاجتك قال فمتى يصير داء النفس دواها فقلت اذا خالفت النفس هواها

فأقبل على نفسه فقال اسمعي فقد أجبتك بهذا سبع مرات فأبيت أن تسمعيه الا من الجنيد ها قد سمعتيه ثم انصرف وما عرفته وقال يزيد الرقاشي اليكم عني الماء البارد في الدنيا لعلي لا أحرمه في الآخرة وقال رجل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى متى أتكلم قال اذا اشتهيت الصمت قال متي أصمت قال اذا اشتهيت الكلام وقال علي رضى الله عنه من اشتاق الي الجنة سلا عن الشهوات في الدنيا .

الباب السابع والسبعون في الايمان والنفاق

اعلم ان كمال الايمان الذي هو التصديق بوحدانية الله تعالى وبما جاءت به الرسل صلوات الله عليهم بزيادة الاعمال قال الله تعالي انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون وقال الله تعالي ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين اشترط عشرين وصفا كالوفاء بالعهد والصبر على الشدائد ثم قال تعالي أولئك الذين صدقوا وقد قال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات وقال تعالى لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل الآية وقد قال تعالى هم درجات عند الله وقال صلى الله عليه وسلم الايمان عريان ولباسه التقوى الحديث وقال صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون بابا أدناها اماطة الاذى عن الطريق فهذا مايدل علي ارتباط كمال الايمان بالاعمال وأما ارتباطه بالبراءة عن النفاق والشرك الخفي فقوله صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه فهو منافق خالص

وان صام وصلى وزعم أنه مؤمن من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان واذا خاصم فجر * وفي بعض الروايات واذا عاهد غدر * وفي حديث أبي سعيد الخدري القلوب أربعة قلب أجرد وفيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء العذب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فأي المادتين غلب عليه حكم له بها وفي لفظ آخر غلبت عليه ذهبت به وقال عليه السلام أكثر منافقي هذه الامة قراؤها * وفي الحديث الشرك أخفى في أمتي من دبيب النمل على الصفا * وقال حذيفة رضى الله عنه كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا الى أن يموت واني لاسمعها من أحدكم في اليوم عشر مرات * وقال بعض العلماء أقرب الناس من النفاق من يرى انه بريء من النفاق وقال حذيفة المنافقون اليوم أكثر منهم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا اذذاك يخفونه وهم اليوم يظهرونه وهذا النفاق يضاد صدق الايمان وكماله وهو خفي وأبعد الناس منه من يتخوفه وأقربهم منه من يرى أنه بريء منه فقد قيل للحسن البصري يقولون انه لانفاق اليوم فقال ياأخي لوهلك المنافقون لاستوحشتم في الطريق وقال هو أوغيره لونبتت للمنافقين أذناب ماقدرنا ان نطأ على الارض بأقدامنا وسمع ابن عمر رضي الله عنه رجلا يتعرض للحجاج فقال أرأيت لو كان حاضرا يسمع أكنت تتكلم فيه فقال لا فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله

عليه وسلم من كان ذا لسانين في الدنيا جعل الله ذا لسانين في الآخرة وقال أيضا صلى الله عليه وسلم شر الناس ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه ويأتي هؤلاء بوجه * وقيل للحسن ان قوما يقولون انا لا نخاف النفاق فقال والله لان أكون أعلم اني بريء من النفاق أحب الى من تلاع الارض ذهبا وقال الحسن ان من النفاق اختلاف اللسان والقلب والسر والعلانية والمدخل والمخرج * وقال رجل لحذيفة رضي الله عنه اني أخاف أن أكون منافقا فقال لو كنت منافقا ماخفت النفاق ان المنافق قد أمن من النفاق * وقال ابن أبي مليكة أدركت ثلاثين ومائة وفي رواية خمسين ومائة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخافون النفاق * وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا في جماعة من أصحابه فذكروا رجلا وأكثروا الثناء عليه فبينماهم كذلك اذ طلع عليهم الرجل ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء وقد علق نعله بيده وبين عينيه أثر السجود فقالوا يارسول الله هو هذا الرجل الذي وصفناه فقال صلى الله عليه وسلم أرى على وجهه سفعة من الشيطان فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نشدتك الله هل حدثت نفسك حين أشرفت على القوم أنه ليس فيهم خير منك فقال اللهم نعم فقال صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم اني أستغفرك لما علمت ولما لم أعلم فقيل له أتخاف يارسول الله فقال ومايؤمنني والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وقد قال سبحانه وتعالى وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون قيل في التفسير عملوا أعمالا ظنوا

أنها حسنات فكانت في كفة السيآت وقال سري السقطي لوأن انسانا دخل بستانا فيه من جميع الاشجار عليها من جميع الطيور فخاطبه كل طير منها بلغة فقال السلام عليك ياولي الله فسكنت نفسه الى ذلك كان أسيرا في يديها فهذه الاخبار والآثار تعرفك خطر الامر بسبب دقائق النفاق والشرك الخفي وانه لايؤمن منه حتي كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأل حذيفة عن نفسه وانه هل ذكر في المنافقين وقال أبو سليمان الداراني سمعت من بعض الامراء شيأ فأردت أن أنكره فخفت أن يأمر بقتلي ولم أخف من الموت ولكن خشيت أن يعرض لقلبي التزين للخلق عند خروج روحي فكففت وهذا من النفاق الذي يضاد حقيقة الايمان وصدقه وكماله وصفاءه لا أصله فالنفاق نفاقان أحدهما يخرج من الدين ويلحق بالكافرين ويسلك في زمرة المخلدين في النار والثاني يفضي بصاحبه الى النار مدة أو ينقص من درجات عليين ويحط من رتبة الصديقين

﴿ الباب الثامن والسبعون في النهي عن الغيبة والنميمة ﴾

أما الغيبة فقد نص الله سبحانه علي ذمها في كتابه وشبه صاحبها بآكل لحم الميتة فقال تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه وقال عليه السلام كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه والغيبة تتناول العرض وقد جمع الله بينه وبين المال والدم * وقال أبو برزة قال عليه السلام لاتحاسدوا ولا تباغضوا ولا تناجشوا ولا تدابروا ولا يغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله

اخوانا * وعن جابر وأبي سعيد قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اياكم والغيبة فان الغيبة أشد من الزنا فان الرجل قد يزني ويتوب
فيتوب الله سبحانه عليه وان صاحب الغيبة لايغفر له حتى يغفر له صاحبه
وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسري بي على
أقوام يخمشون وجوههم بأظافيرهم فقلت ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء
الذين يغتابون الناس ويقعون في أعراضهم * وقال سليمان بن جابر
أتيت النبي عليه الصلاة والسلام فقلت علمني خيرا أنتفع به فقال
لاتحقرن من المعروف شيأ ولو أن تصب من دلوك في اناء المستقي وأن
تلقى أخاك ببشر حسن وان أدبر فلا تغتبه وقال البراء خطبنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العواتق في بيوتهن فقال يامعشر من آمن بلسانه
ولم يؤمن بقلبه لاتغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة
أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته وقيل
أوحى الله الى موسى عليه السلام من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من
يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو أول من يدخل النار وقال أنس
أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم يوم فقال لايفطرن أحد
حتى آذن له فصام الناس حتى اذا أمسوا جعل الرجل يجيء فيقول يارسول
الله ظللت صائما فائذن لي لافطر فيأذن له والرجل والرجل حتى جاء رجل
فقال يارسول الله فتاتان من أهلي ظلتا صائمتين وانهما يستحيان أن يأتياك
فائذن لهما أن يفطرا فاعرض عنه صلى الله عليه وسلم ثم عاوده فاعرض
عنه ثم عاوده فقال انهما لم يصوما وكيف يصوم من ظل نهاره يأكل

لحوم الناس اذهب فرهما ان كانتا صائمتين أن يستقيئا فرجع اليهما فأخبرهما فاستقاءتا فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم فرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال والذي نفسي بيده لو بقيتا في بطونهما لاكلتهما النار وفي رواية انه لما أعرض عنه جاء بعد ذلك وقال يارسول الله انهما قد ماتتا أو كادتا أن تموتا فقال صلى الله عليه وسلم ائتوني بهما فجاءتا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح فقال لاحداهما قيئي فقاءت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القدح وقال للاخرى قيئي فقاءت كذلك فقال ان هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما جلست احداهما الى الاخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس وقال أنس خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربا وعظم شأنه فقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل وأربى الربا عرض الرجل المسلم (وأما النميمة) فهي خصلة ذميمة قال الله تعالى هماز مشاء بنميم ثم قال عتل بعد ذلك زنيم قال عبد الله بن المبارك الزنيم ولد الزنا الذى لايكتم الحديث وأشار به الى أن كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على أنه ولد زنا استنباطا من قوله عز وجل عتل بعد ذلك زنيم والزنيم هو الدعي وقال تعالى ويل لكل همزة لمزة قيل الهمزة النمام وقال تعالى حمالة الحطب قيل انها كانت نمامة حمالة للحديث وقال تعالى فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيأ قيل كانت امرأة لوط تخبر بالضيفان وامرأة نوح تخبر أنه مجنون وقد قال صلى الله عليه وسلم لايدخل الجنة نمام وفي حديث آخر لايدخل الجنة قتات

والقتات هو النمام وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبكم الي الله احاسنكم اخلاقا الموطؤن اكنافا الذين يألفون ويؤلفون وان أبغضكم الى الله المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاخوان الملتمسون للبرآء العثرات وقال صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى قال المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون للبرآء العيب وقال أبو ذر قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من أشاع على مسلم كلة ليشينه بها بغير حق شانه الله بها في النار يوم القيامة وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ايما رجل اشاع على رجل كلة وهو منها بريء ليشينه بها في الدنيا كان حقا على الله أن يشينه بها يوم القيامة في النار وقال أبو هريرة قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من شهد على مسلم بشهادة ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار ويقال ان ثلث عذاب القبر من النميمة وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لما خلق الجنة قال لها تكلمي فقالت سعد من دخلني فقال الجبار جل جلاله وعزتي وجلالي لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس لا يسكنك مدمن خمر ولا مصر على الزنا ولا قتات وهو النمام ولا ديوث ولا شرطي ولا مخنث ولا قاطع رحم ولا الذي يقول علي عهد الله ان لم أفعل كذا وكذا ثم لم يف به وروى كعب الاحبار ان بني اسرائيل اصابهم قحط فاستسقي موسى عليه السلام مرات فما سقوا فأوحى الله تعالي اليه اني لا أستجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قد أصر على النميمة فقال موسى يارب من هو دلني عليه حتى اخرجه من بيننا قال ياموسي انهاكم عن النميمة واكون نماما فتابوا جميعا فسقوا ويقال اتبع رجل حكيما سبعمائة فرسخ في سبع كلمات

فلما قدم عليه قال انى جئتك للذي آتاك الله تعالى من العلم أخبرني عن السماء وما أثقل منها وعن الارض وما أوسع منها وعن الصخر وما أقسى منه وعن النار وما أحر منها وعن الزمهرير وما أبرد منه وعن البحر وما أغني منه وعن اليتيم وما أذل منه فقال له الحكيم البهتان على البريء أثقل من السموات والحق أوسع من الارض والقلب القانع أغني من البحر والحرص والحسد أحر من النار والحاجة الى القريب اذا لم تنجح أبرد من الزمهرير وقلب الكافر أقسى من الحجر والنمام اذا بان أمره أذل من اليتيم وما أحسن قول الشاعر

من نم في الناس لم تؤمن عقاربه * على الصديق ولم تؤمن أفاعيه
كالسيل بالليل لايدري به أحد * من أين جاء ولا من أين يأتيه
الويل للعهد منه كيف ينقضه * والويل للود منه كيف يفنيه

﴿ وقول الآخر ﴾

يسعى عليك كما يسعى اليك فلا * تأمن غوائل ذى وجهين كياد

﴿ الباب التاسع والسبعون في بيان عداوة الشيطان ﴾

قال صلى الله عليه وسلم في القلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وليحمد الله ولمة من العدو ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهى عن الخير فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثم تلا قوله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء الآية وقال الحسن انما هما همان يجولان في القلب هم من الله تعالى وهم من العدو فرحم الله عبدا وقف عند

همه فما كان من الله تعالى أمضاه وما كان من عدوه جاهده وقال جابر ابن عبيدة العدوي شكوت الى العلاء بن زياد ما أجد في صدري من الوسوسة فقال انما مثل ذلك مثل البيت الذي يمر به اللصوص فان كان فيه شيء عالجوه والا مضوا وتركوه يعني أن القلب الخالى عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوي لا عبد الله ولذلك سلط الله عليه الشيطان وقال تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه وهو اشارة الى أن من الهوي الهه ومعبوده فهو عبد الهوي لا عبد الله ولذلك قال عمرو بن العاص للنبي صلى الله عليه وسلم يارسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي فقال ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فأذهبه الله عني وفي الخبر ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه ولا يمحو وسوسة الشيطان من القلب الا ذكر ماسوى مايوسوس به لانه اذا خطر في القلب ذكر شيء انعدم منه ماكان فيه من قبل ولكن كل شيء سوي الله تعالي وسوى مايتعلق به يجوز أيضا أن يكون مجالا للشيطان وذكر الله هو الذى يؤمن جانبه ويعلم أنه ليس للشيطان فيه مجال ولا يعالج الشيء الا بضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله بالاستعاذة والتبري عن الحول والقوة وهو معني قولك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وذلك لا يقدر عليه الا المتقون الغالب عليهم ذكر الله تعالى وانما الشيطان

يطوف عليهم في أوقات الغفلات على سبيل الخلسة قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذاهم مبصرون وقال مجاهد في معنى قول الله تعالى من شر الوسواس الخناس قال هو منبسط على القلب فاذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض واذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله تعالى ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار واتضادهما قال الله تعالى استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان واضع خرطومه على قلب ابن آدم فان هو ذكر الله تعالى خنس وان نسي الله تعالى التقم قلبه وقال ابن وضاح في حديث ذكره اذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان وجهه بيده وقال بأبي وجه من لايفلح وكما أن الشهوات ممتزجة بلحم ابن آدم ودمه فسلطنة الشيطان أيضا سارية فى لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لان الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوات ولاجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال الله تعالى اخبارا عن ابليس لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم وقال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن آدم بطرق فقعد له بطريق الاسلام فقال أتسلم وتترك دينك ودين آبائك فعصاه وأسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال أتهاجر أتدع أرضك وسماءك فعصاه وهاجر ثم

قعد له بطريق الجهاد فقال أتجاهد وهو تلف النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه وجاهد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله أن يدخله الجنة

﴿ الباب الثمانون في بيان المحبة ومحاسبة النفس ﴾

قال سفيان المحبة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غيره دوام الذكر وقال غيره ايثار المحبوب وقال بعضهم كراهية البقاء في الدنيا وهذا كله اشارة الى ثمرات المحبة فأما نفس المحبة فلم يتعرضوا لها وقال بعضهم المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب عن ادراكه وتمتنع الالسن عن عبارته وقال الجنيد حرم الله تعالى المحبة على صاحب العلاقة وقال كل محبة تكون بعوض فاذا زال العوض زالت المحبة وقال ذوالنون قل لمن أظهر حب الله احذر أن تذل لغير الله وقيل للشبلي رحمه الله صف لنا العارف والمحب فقال العارف ان تكلم هلك والمحب ان سكت هلك وأنشد الشبلي رحمه الله

يا أيها السيد الكريم * حبك بين الحشا مقيم
يا رافع النوم عن جفوني * أنت بما مر بي عليم

﴿ ولغيره ﴾

عجبت لمن يقول ذكرت الفي * وهل أنسى فاذكر ما نسيت
أموت اذا ذكرتك ثم أحيا * ولولا حسن ظني ما حييت
فاحيا بالمنى وأموت شوقا * فكم أحيا عليك وكم أموت
شربت الحب كأسا بعد كأس * فما نفد الشراب وما رويت

فليت خيالك نصب لعيني * فان قصرت في نظرى عميت

وقالت رابعة العدوية يوما من يدلنا على حبيبنا فقالت خادمة لها حبيبنا معنا ولكن الدنيا قطعتنا عنه وقال ابن الجلاء رحمه الله تعالى أوحى الله الى عيسى عليه السلام أني اذا اطلعت على سر عبد فلم أجد فيه حب الدنيا والآخرة ملأته من حبي وتوليته بحفظي وقيل تكلم سمنون يوما في المحبة فاذا بطائر نزل بين يديه فلم يزل ينقر بمنقاره الارض حتى سال الدم منه فمات وقال ابراهيم بن أدهم الهي انك تعلم أن الجنة لا تزن عندي جناح بعوضة في جنب ما أكرمتني من محبتك وآنستني بذكرك وفرغتني للتفكر في عظمتك وقال السرى رحمه الله من أحب الله عاش ومن مال الى الدنيا طاش والاحمق يغدو ويروح في لاش والعاقل عن عيوبه فتش (وأما محاسبة النفس) فقد أمر الله بها بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد وهذه اشارة الى المحاسبة على مامضى من الاعمال ولذلك قال عمر رضي الله تعالى عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وفي الخبر أنه عليه الصلاة والسلام جاءه رجل فقال يارسول الله أوصني فقال أمستوص أنت فقال نعم قال اذا هممت بأمر فتدبر عاقبته فان كان رشدا فأمضه وان كان غيا فانته عنه وفي الخبر وينبغي للعاقل أن يكون له أربع ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه وقال تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون والتوبة نظر في الفعل بعد الفراغ منه بالندم عليه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اني لأستغفر

الله تعالى وأتوب اليه في اليوم مائة مرة وقال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذاهم مبصرون وعن عمر رضي الله تعالى عنه أنه كان يضرب قدميه بالدرة اذا جنه الليل ويقول لنفسه ماذا عملت اليوم وعن ميمون بن مهران أنه قال لايكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه والشريكان يتحاسبان بعد العمل وروي عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن أبا بكر رضوان الله عليه قال لها عند الموت ماأحد من الناس أحب الي من عمر ثم قال لها كيف قلت فأعادت عليه ماقال فقال لاأحد أعز علي من عمر فانظر كيف نظر بعد الفراغ من الكلمة فتدبرها وأبدلها بكلمة غيرها وحديث أبي طلحة حين شغله الطائر في صلاته تدبر ذلك فجعل حائطه صدقة لله تعالى ندما ورجاء العوض مما فاته وفي حديث ابن سلام انه حمل حزمة من حطب فقيل له ياأبايوسف قدكان في بيتك وغلمانك مايكفونك هذا فقال أردت أن أجرب نفسي هل تنكره وقال الحسن المؤمن قوام على نفسه يحاسبها لله وانما خف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا وانما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الامر من غير محاسبة ثم فسر المحاسبة فقال ان المؤمن يفجؤه الشيء يعجبه فيقول والله انك لتعجبني وانك لمن حاجتي ولكن هيهات حيل بيني وبينك وهذا حساب قبل العمل ثم قال ويفرط منه الشيء فيرجع الى نفسه فيقول ماذا أردت بهذا والله لاأعذر بهذا والله لاأعود لهذا أبدا ان شاء الله (وقال أنس بن مالك) سمعت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يوما وقد خرج

وخرجت معه حتى دخل حائطا فسمعته يقول و بيني و بينه جدار وهو في الحائط عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بخ بخ والله لتتقين الله أو ليعذبنك * وقال الحسن في قوله تعالى ولا أقسم بالنفس اللوامة قال لا يلقى المؤمن الا يعاتب نفسه ماذا أردت بكلمتي ماذا اردت بأكلتي ماذا اردت بشربتي والفاجر يمضي قدما لا يعاتب نفسه وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى رحم الله عبدا قال لنفسه ألست صاحبة كذا ألست صاحبة كذا ثم ذمها ثم خطمها ثم ألزمها كتاب الله تعالى فكان له قائدا وهذا من معاتبة النفس * وقال ميمون بن مهران التقي أشد محاسبة لنفسه من سلطان غاشم ومن شريك شحيح * وقال ابراهيم التيمي مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها واشرب من أنهارها واعانق ابكارها ثم مثلت نفسي في النار آكل من زقومها واشرب من صديدها واعالج سلاسلها واغلالها فقلت لنفسي يا نفس اي شيء تريدين فقالت اريد ان ارد الي الدنيا فأعمل صالحا قلت فأنت في الامنية فاعملي وقال مالك بن دينار سمعت الحجاج يخطب وهو يقول رحم الله امرأ حاسب نفسه قبل ان يصير الحساب الي غيره رحم الله امرأ أخذ بعنان عمله فنظر ماذا يريد به رحم الله امرأ نظر في مكياله رحم الله امرأ نظر في ميزانه فما زال يقوله حتى أبكاني وحكي صاحب الاحنف بن قيس قال كنت أصحبه فكان عامة صلاته بالليل الدعاء وكان يجيء الى المصباح فيضع أصبعه فيه حتى يحس بالنار ثم يقول لنفسه يا حنيف ما حملك علي ما صنعت يوم كذا ما حملك على ما صنعت يوم كذا

﴿ الباب الحادى والثمانون في بيان تلبيس الحق بالباطل ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه معقل بن يسار يأتى على الناس زمان يخلق فيه القرآن فى قلوب الرجال كما تخلق الثياب على الابدان أمرهم كله يكون طمعا لاخوف معه ان أحسن أحدهم قال يتقبل مني وان أساء قال يغفر لي فأخبر أنهم يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخويفات القرآن ومافيه وبمثله أخبر عن النصارى اذ قال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا ومعناه أنهم ورثوا الكتاب أى هم علماء ويأخذون عرض هذا الادنى أي شهواتهم من الدنيا حراما كان أو حلالا وقد قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد والقرآن من أوله تحذير وتخويف لايتفكر فيه متفكر الا ويطول حزنه ويعظم خوفه ان كان مؤمنا بمافيه وترى الناس يهذونه هذا يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على خفضها ورفعها ونصبها وكانهم يقرؤن شعرا من أشعار العرب لايهمهم الالتفات الى معانيه والعمل بما فيه وهل في العالم غرور يزيد على هذا ويقرب منه غرور طوائف لهم طاعات ومعاص الا أن معاصيهم أكثر وهم يتوقعون المغفرة ويظنون أنهم تترجح كفة حسناتهم مع أن مافي كفة السيآت أكثر وهذا غاية الجهل فترى الواحد يتصدق بدراهم معدودة من الحلال والحرام ويكون مايتناول من أموال المسلمين والشبهات أضعافه ولعل ماتصدق به هو من أموال المسلمين وهو يتكل عليه ويظن أن أكل ألف درهم حرام يقاومه التصدق بعشرة من الحرام أو الحلال وماهو الا كمن وضع عشرة دراهم في كفة

ميزان وفي الكفة الاخري ألفا وأراد أن يرفع الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية جهله ومنهم من يظن أن طاعاته أكثر من معاصيه لانه لايحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه واذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذى يستغفر الله بلسانه أو يسبح الله في اليوم مائة مرة ثم يغتاب المسلمين ويمزق أعراضهم ويتكلم بمالايرضاه الله طول النهار من غير حصر وعدد ويكون نظره الي عدد سبحته انه استغفر الله مائة مرة وغفل عن هذيانه طول نهاره الذى لو كتبه لكان مثل تسبيحه مائة مرة أوألف مرة وقد كتبه الكرام الكاتبون وقد أوعده الله بالعقاب على كل كلمة فقال مايلفظ من قول الالديه رقيب عتيد فهذا أبدا يتأمل في فضائل التسبيحات والتهليلات ولايلتفت الي ماورد من عقوبة المغتابين والكذابين والنمامين والمنافقين الذين يظهرون من الكلام مالايضمرونه الى غير ذلك من آفات اللسان وذلك محض الغرور ولعمري لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه أجرة النسخ لما يكتبونه من هذيانه الذى زاد على تسبيحه لكان عند ذلك يكف لسانه حتى عن جملة من مهماته وما نطق به في فتراته كان يعده ويحسبه ويوازنه بتسبيحاته حتى لا يفضل عليه أجرة نسخه فياعجبا لمن يحاسب نفسه ويحتاط خوفا على قيراط يفوته في الاجرة على النسخ ولايحتاط خوفا من فوت الفردوس الاعلى ونعيمه ماهذه الا مصيبة عظيمة لمن تفكر فيها فقد دفعنا الي أمران شككنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين وان صدقنا به كنا من الحمقى المغرورين فماهذه أعمال من يصدق بماجاء به القرآن وانا نبرأ الي الله

﴿ الباب الحادي والثمانون في بيان تلبيس الحق بالباطل ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه معقل بن يسار يأتي على الناس زمان يخلق فيه القرآن في قلوب الرجال كما تخلق الثياب على الابدان أمرهم كله يكون طمعا لا خوف معه ان أحسن أحدهم قال يتقبل مني وان أساء قال يغفر لي فأخبر أنهم يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخويفات القرآن وما فيه وبمثله أخبر عن النصارى اذ قال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا ومعناه أنهم ورثوا الكتاب أي هم علماء ويأخذون عرض هذا الادنى أي شهواتهم من الدنيا حراما كان أو حلالا وقد قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد والقرآن من أوله تحذير وتخويف لا يتفكر فيه متفكر الا ويطول حزنه ويعظم خوفه ان كان مؤمنا بما فيه وترى الناس يهذونه هذا يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على خفضها ورفعها ونصبها وكأنهم يقرؤن شعرا من أشعار العرب لا يهمهم الالتفات الى معانيه والعمل بما فيه وهل في العالم غرور يزيد على هذا ويقرب منه غرور طوائف لهم طاعات ومعاص الا أن معاصيهم أكثر وهم يتوقعون المغفرة ويظنون أنهم ترجح كفة حسناتهم مع أن ما في كفة السيآت أكثر وهذا غاية الجهل فترى الواحد يتصدق بدراهم معدودة من الحلال والحرام ويكون ما يتناول من أموال المسلمين والشبهات أضعافه ولعل ما تصدق به هو من أموال المسلمين وهو يتكل عليه ويظن أن أكل ألف درهم حرام يقاومه التصدق بعشرة من الحرام أو الحلال وما هو الا كمن وضع عشرة دراهم في كفة

ميزان وفي الكفة الاخرى ألفا وأراد أن يرفع الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية جهله ومنهم من يظن أن طاعاته أكثر من معاصيه لانه لايحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه واذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذى يستغفر الله بلسانه أو يسبح الله في اليوم مائة مرة ثم يغتاب المسلمين ويمزق أعراضهم ويتكلم بمالا يرضاه الله طول النهار من غير حصر وعدد ويكون نظره الى عدد سبحته انه استغفر الله مائة مرة وغفل عن هذيانه طول نهاره الذى لو كتبه لكان مثل تسبيحه مائة مرة أو ألف مرة وقد كتبه الكرام الكاتبون وقد أوعده الله بالعقاب على كل كلمة فقال مايلفظ من قول الالديه رقيب عتيد فهذا أبدا يتأمل في فضائل التسبيحات والتهليلات ولا يلتفت الى ماورد من عقوبة المغتابين والكذابين والنمامين والمنافقين الذين يظهرون من الكلام مالا يضمرونه الى غير ذلك من آفات اللسان وذلك محض الغرور ولعمري لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه أجرة النسخ لما يكتبونه من هذيانه الذى زاد على تسبيحه لكان عند ذلك يكف لسانه حتى عن جملة من مهماته وما نطق به في فتراته كان يعده ويحسبه ويوازنه بتسبيحاته حتى لا يفضل عليه أجرة نسخه فياعجبا لمن يحاسب نفسه ويحتاط خوفا على قيراط يفوته في الاجرة على النسخ ولا يحتاط خوفا من فوت الفردوس الاعلى ونعيمه ماهذه الا مصيبة عظيمة لمن تفكر فيها فقد دفعنا الى أمران شككنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين وان صدقنا به كنا من الحمقى المغرورين فماهذه أعمال من يصدق بماجاء به القرآن وانا نبرأ الى الله

أن تكون من أهل الكفران فسبحان من صدنا عن التنبه واليقين مع هذا البيان وما أجدر من يقدر على تساقط مثل هذه الغفلة والغرور على القلوب أن يخشى ويتقي ولا يغتر به اتكالا على أباطيل المني وتعاليل الشيطان والهوي والله أعلم

﴿ الباب الثاني والثمانون في فضل صلاة الجماعة ﴾

قال صلى الله عليه وسلم صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة * وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم فقد ناسا في بعض الصلوات فقال لقد هممت أن آمر رجلا يصلي بالناس ثم أخالف الى رجال يتخلفون عنها فأحرق عليهم بيوتهم * وفي رواية أخرى ثم أخالف الى رجال يتخلفون عنها فآمر بهم فتحرق عليهم بيوتهم بحزم الحطب ولو علم أحدهم أنه يجد عظما سمينا أو مرماتين لشهدها يعني صلاة العشاء * وقال عثمان رضى الله عنه مرفوعا من شهد العشاء فكأنما قام نصف ليلة ومن شهد الصبح فكأنما قام ليلة وقال صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة في جماعة فقد ملأ نحره عبادة * وقال سعيد ابن المسيب ما أذن مؤذن منذ عشرين سنة الا وأنا في المسجد * وقال محمد بن واسع ما أشتهي من الدنيا الا ثلاثة أخا ان تعوجت قومني وقوتا من الرزق عفوا بغير تبعة وصلاة في جماعة يرفع عني سهوها ويكتب لي فضلها * وروى أن أبا عبيدة بن الجراح أم قوما مرة فلما انصرف قال ما زال الشيطان بي آنفا حتى أريت أن لي فضلا على غيري لا أؤم أبدا وقال الحسن لا تصلوا خلف رجل لا يختلف الى العلماء وقال النخعي مثل

الذي يؤم الناس بغير علم مثل الذي يكيل الماء في البحر لايدري زيادته من نقصانه وقال حاتم الاصم فاتتني الصلاة في الجماعة فعزاني أبو اسحاق البخاري وحده ولو مات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف لان مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا وقال ابن عباس رضي الله عنهما من سمع المنادي فلم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به خير وقال أبو هريرة رضي الله عنه لان تملأ أذن ابن آدم رصاصا مذابا خير له من أن يسمع النداء ثم لايجيب وروي أن ميمون بن مهران أتي المسجد فقيل له ان الناس قد انصرفوا فقال انا لله وانا اليه راجعون لفضل هذه الصلاة أحب الي من ولاية العراق وقال صلى الله عليه وسلم من صلى أربعين يوما الصلوات في جماعة لاتفوته فيها تكبيرة الاحرام كتب الله له براءتين براءة من النفاق وبراءة من النار ويقال انه اذا كان يوم القيامة يحشر قوم وجوههم كالكوكب الدري فتقول لهم الملائكة ما كانت أعمالكم فيقولون كنا اذا سمعنا الاذان قمنا الى الطهارة لايشغلنا غيرها ثم تحشر طائفة وجوههم كالاقمار فيقولون بعد السؤال كنا نتوضأ قبل الوقت ثم تحشر طائفة وجوههم كالشمس فيقولون كنا نسمع الاذان في المسجد وروي أن السلف كانوا يعزون أنفسهم ثلاثة أيام اذا فاتتهم التكبيرة الاولى ويعزون سبعا اذا فاتتهم الجماعة

﴿ الباب الثالث والثمانون في فضل صلاة الليل ﴾

أما من الآيات فقوله تعالى ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل الآية وقوله تعالى ان ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا وقوله

سبحانه وتعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقوله تعالى أمن هو
قانت آناء الليل الآية وقوله عز وجل والذين يبيتون لربهم سجدا
وقياما وقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة قيل هي قيام الليل يستعان
بالصبر عليه على مجاهدة النفس (ومن الاخبار) قوله صلى الله عليه وسلم
يعقد الشيطان على قافية أحدكم اذا هو نام ثلاث عقد يضرب مكان
كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ وذكر الله تعالى انحلت
عقدة فان توضأ انحلت عقدة فان صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطا
طيب النفس والا أصبح خبيث النفس كسلان وفي الخبر انه ذكر
عنده رجل ينام كل الليل حتى يصبح فقال ذاك رجل بال الشيطان
في أذنه وفي الخبر ان للشيطان سعوطا ولعوقا وذرورا فاذا أسعط العبد
ساء خلقه واذا ألعقه ذرب لسانه بالشر واذا ذره نام الليل حتى يصبح
وقال صلى الله عليه وسلم ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل خير
له من الدنيا وما فيها ولولا أن أشق على أمتي لفرضتهما عليهم وفي
الصحيح عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان من الليل ساعة
لايوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرا الا أعطاه اياه وفي رواية
يسأل الله خيرا من الدنيا والآخرة وذلك في كل ليلة وقال المغيرة بن
شعبة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تفطرت قدماه فقيل له أما
قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا
شكورا ويظهر من معناه أن ذلك كناية عن زيادة الرتبة فان الشكر
سبب المزيد قال تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم وقال صلى الله عليه وسلم

ياأبا هريرة أتريد أن تكون رحمة الله عليك حيا وميتا ومقبورا ومبعوثا قم من الليل فصل وأنت تريد رضا ربك ياأباهريرة صلِّ في زوايا بيتك يكن نور بيتك في السماء كنور الكواكب والنجم عند أهل الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم فان قيام الليل قربة الى الله عز وجل وتكفير للذنوب ومطردة للداء عن الجسد ومنهاة عن الاثم وقال صلى الله عليه وسلم مامن امرىء تكون له صلاة بالليل فغلبه عليها النوم الا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه وقال صلى الله عليه وسلم لابي ذر لو أردت سفرا أعددت له عدة قال نعم قال فكيف سفر طريق القيامة ألا أنبئك ياأبا ذر بما ينفعك ذلك اليوم قال بلى بأبي أنت وأمي قال صم يوما شديد الحر ليوم النشور وصل ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور وحج حجة لعظائم الامور وتصدق بصدقة على مسكين أو كلمة حق تقولها أو كلمة شر تسكت عنها وروي أنه كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم رجل اذا أخذ الناس مضاجعهم وهدأت العيون قام يصلي ويقرأ القرآن ويقول يارب النار أجرني منها فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال اذا كان ذلك فآذنوني فأتاه فاستمع فلما أصبح قال يافلان هلا سألت الله الجنة قال يارسول الله اني لست هناك ولا يبلغ عملي ذاك فلم يلبث الا يسيرا حتى نزل جبرائيل عليه السلام وقال أخبر فلانا أن الله قد أجاره من النار وأدخله الجنة ويروي أن جبرائيل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلي

بالليل فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فكان يداوم بعده على قيام الليل قال نافع كان يصلي بالليل ثم يقول يانافع أسحرنا فاقول لا فيقوم لصلاته ثم يقول يانافع أسحرنا فيقول نعم فيقعد فيستغفر الله تعالى حتى يطلع الفجر وقال على بن أبي طالب شبع يحيى بن زكريا عليهما السلام ليلة من خبز شعير فنام عن ورده حتى أصبح فأوحى الله تعالى اليه يايحيى أوجدت دارا خيرا لك من داري أم وجدت جوارا خيرا لك من جواري فوعزتي وجلالي يايحيى لواطلعت الى الفردوس اطلاعة لذاب شحمك ولزهقت نفسك اشتياقا ولواطلعت الى جهنم اطلاعة لذاب شحمك ولبكيت الصديد بعد الدموع ولبست الجلد بعد المسوح وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلي بالليل فاذا أصبح سرق فقال سينهاه مايعمل وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت فان أبت نضح في وجهها الماء وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ثم أيقظت زوجها فصلى فان أبى نضحت في وجهه الماء وقال صلى الله عليه وسلم من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم من نام عن حزبه أو عن شئ منه بالليل فقرأه بين صلاة الفجر والظهر كتب له كانما قرأه من الليل قيل كان الامام البخاري رضي الله عنه كثيرا مايتمثل بهذين البيتين

اغتنم في الفراغ فضل ركوع * فعسى أن يكون موتك بغتة
كم صحيح رأيت من غير سقم * خرجت نفسه الصحيحة فلتة

﴿ الباب الرابع والثمانون في عقوبة علماء الدنيا ﴾

واعني بعلماء الدنيا علماء السوء الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل الى الجاه والمنزلة عند أهلها قال صلى الله عليه وسلم ان أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لايكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا وقال صلى الله عليه وسلم العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله تعالى على خلقه وعلم في القلب فذلك العلم النافع وقال صلى الله عليه وسلم يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق وقال صلى الله عليه وسلم لاتتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس اليكم فمن فعل ذلك فهو في النار وقال صلى الله عليه وسلم من كتم علما عنده ألجمه الله بلجام من نار وقال صلى الله عليه وسلم لانا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال فقيل وما ذلك فقال من الائمة المضلين وقال صلى الله عليه وسلم من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال عيسى عليه السلام الى متى تصفون الطريق للمدلجين وأنتم مقيمون مع المتحيرين فهذا وغيره من الاخبار يدل على عظيم خطر العلم فان العالم اما متعرض لهلاك الابد أو لسعادة الابد وانه بالخوض في العلم قد حرم السلامة ان لم يدرك السعادة وقال عمر رضي الله عنه ان أخوف ماأخاف على هذه الامة المنافق العليم قالوا وكيف

يكون منافقا عليما قال عليم اللسان جاهل القلب والعمل وقال الحسن رحمه الله لاتكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجرى في العمل مجرى السفهاء وقال رجل لابي هريرة رضي الله عنه أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه فقال كفى بترك العلم اضاعة له وقيل لابراهيم ابن عيينة أى الناس أطول ندما قال أما في عاجل الدنيا فصانع المعروف الى من لايشكره وأما عند الموت فعالم مفرط وقال الخليل بن أحمد الرجال أربعة رجل يدري ويدرى أنه يدرى فذلك عالم فاتبعوه ورجل يدري ولا يدرى أنه يدرى فذلك نائم فأيقظوه ورجل لايدرى ويدري أنه لايدري فذلك مسترشد فأرشدوه ورجل لايدري ولا يدرى أنه لايدرى فذلك جاهل فارفضوه وقال سفيان الثوري رحمه الله يهتف العلم بالعمل فان أجابه والاارتحل وقال ابن المبارك لايزال المرء عالما ماطلب العلم فاذا ظن أنه قد علم فقد جهل وقال الفضيل بن عياض رحمه الله انى لارحم ثلاثة عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر وعالما تلعب به الدنيا وقال الحسن عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة وأنشدوا

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى * ومن يشترى دنياه بالدين أعجب
وأعجب من هذين من باع دينه * بدنيا سواه فهو من ذين أعجب

وقال صلى الله عليه وسلم ان العالم ليعذب عذابا يطيف به أهل النار استعظاما لشدة عذابه أراد به العالم الفاجر وقال أسامة بن زيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالعالم يوم القيامة

فيلقى في النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به أهل النار فيقولون مالك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهى عن الشر وآتيه وانما يضاعف عذاب العالم فى معصيته لانه عصى عن علم ولذلك قال الله عز وجل ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار لانهم جحدوا بعد العلم وجعل اليهود شرا من النصارى مع انهم ماجعلوا لله سبحانه ولدا ولا قالوا انه ثالث ثلاثة الا انهم أنكروا بعد المعرفة اذ قال الله تعالى يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وقال تعالى فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين وقال تعالى في قصة بلعام بن باعوراء واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين حتى قال فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث فكذلك العالم الفاجر فان بلعام أوتي كتاب الله تعالى فأخلد الى الشهوات فشبه بالكلب أي سواء أوتي الحكمة أولم يؤت فهو يلهث الى الشهوات وقال عيسى عليه السلام مثل علماء السوء كمثل صخرة وقعت على فم النهر لاهي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص الى الزرع

﴿ الباب الخامس والثمانون فى فضل حسن الخلق ﴾

قال الله تعالى لنبيه وحبيبه مثنيا عليه ومظهرا نعمته لديه وانك لعلى خلق عظيم وقالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حسن الخلق فتلا قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين

ثم قال صلى الله عليه وسلم هو أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال صلى الله عليه وسلم انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال صلى الله عليه وسلم أثقل مايوضع في الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال يارسول الله ماالدين قال حسن الخلق فأتاه من قبل يمينه فقال يارسول الله ماالدين قال حسن الخلق ثم أتاه من قبل شماله فقال ماالدين فقال حسن الخلق ثم أتاه من ورائه فقال يارسول الله ماالدين فالتفت اليه وقال أما تفقه هو أن لاتغضب وقيل يارسول الله ماالشؤم قال سوء الخلق وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني فقال اتق الله حيث كنت قال زدني قال أتبع السيئة الحسنة تمحها قال زدني قال خالق الناس بخلق حسن وسئل عليه الصلاة والسلام أي الاعمال أفضل قال خلق حسن وقال صلى الله عليه وسلم ماحسن الله خلق عبد وخلقه فيطعمه النار وقال الفضيل قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها قال لاخير فيها هي من أهل النار وقال أبو الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أول مايوضع في الميزان حسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الايمان قال اللهم قوني فقواه بحسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الكفر قال اللهم قوني فقواه بالبخل وسوء الخلق وقال صلى الله عليه وسلم ان الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم الا السخاء وحسن الخلق ألا فزينوا

دينكم بهما وقال عليه السلام حسن الخلق خلق الله الاعظم * وقيل يارسول الله أي المؤمنين أفضل ايمانا قال أحسنهم خلقا * وقال صلى الله عليه وسلم انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق وقال أيضا صلى الله عليه وسلم سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل * وعن جرير بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك امرؤ قد حسن الله خلقك فحسن خلقك * وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا وعن أبي سعيد البدري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي * وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الدعاء فيقول اللهم اني أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق * وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كرم المؤمن دينه وحسبه حسن خلقه ومروءته عقله * وعن أسامة بن شريك قال شهدت الاعاريب يسألون النبي صلى الله عليه وسلم يقولون ما خير ما أعطي العبد قال خلق حسن * وقال صلى الله عليه وسلم ان أحبكم الي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا * وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من لم يكن فيه أو واحدة منهن فلا تعتدوا بشيء من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله وحلم يكف به السفيه أو خلق يعيش به بين الناس وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم في افتتاح الصلاة اللهم اهدني لاحسن الاخلاق

لا يهدي لاحسنها الا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا أنت وقيل فيم التجمل قال في لطف الكلام واظهار البشر والابتسام فمن لقي الناس بالاحسان وعاملهم بالاخلاق الحسان فهو الذي يخف عليهم جانبه ويحمد اخاؤه كما قال

اذا حويت خصال الخير أجمعها * فضلا وعاملت كل الناس بالحسن
لم تعدم الخير من ذي العرش تحرزه * والشكر من خلقه في السر والعلن

﴿ الباب السادس والثمانون في الضحك والبكاء والباس ﴾

قال بعض المفسرين في قوله تعالى أفمن هذا الحديث أي القرآن تعجبون منه تكذيبا وتضحكون منه استهزاء مع كونه من عند الله تعالى ولا تبكون خوفا وانزجارا لما فيه من الوعيد وأنتم سامدون لاهون غافلون عما يطلب منكم قال لما نزلت هذه الآية فاضحك النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك الا أن يتبسم وفي لفظ فاروئي النبي صلى الله عليه وسلم ضاحكا ولا متبسما حتى ذهب من الدنيا * وعن ابن عمر رضي الله عنه قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم من المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فوقف وسلم عليهم ثم قال أكثروا ذكر هاذم اللذات ثم خرج بعد ذلك مرة أخرى فاذا قوم يضحكون فقال أما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما أراد الخضر أن يفارق موسى عليهما السلام قال له عظني قال ياموسى اياك واللجاجة ولا تمش بغير حاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير الخطائين بخطاياهم وابك على خطيئتك وقال صلى الله عليه وسلم

كثرة الضحك تميت القلب وقال صلى الله عليه وسلم من ضحك لشبابه
بكي لهرمه ومن ضحك لغناه بكي لفقره ومن ضحك لحياته بكى لموته
وقال صلى الله عليه وسلم اقرؤا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا
* وعن الحسن في قوله تعالى فليضحكوا قليلا أى في الدنيا وليبكوا
كثيرا في الآخرة جزاء بما كانوا يكسبون وقال أيضا ياعجبا من
ضاحك ومن ورائه النار ومن مسرور ومن ورائه الموت ومر رضى
الله عنه بشاب يضحك فقال له يافتى هل جزت على الصراط قال لا
قال هل تبين لك انك تصير الى الجنة قال لا قال ففيم الضحك فما رؤي
الشاب ضاحكا بعد ذلك * وعن ابن عباس رضى الله عنهما من أذنب
ذنبا وهو يضحك دخل النار وهو يبكى ومدح الله أقواما بالبكاء فقال
تعالى ويخرون للاذقان يبكون * وعن الاوزاعى في قوله تعالى مالهذا
الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها قال الصغيرة التبسم
والكبيرة القهقهة * وقال صلى الله عليه وسلم كل عين باكية يوم القيامة
الا ثلاثا عين بكت من خشية الله وعين غضت عن محارم الله وعين
سهرت في سبيل الله تعالى و يقال ثلاثة أشياء تقسي القلب الضحك من
غير عجب والاكل من غير جوع والكلام في غير حاجة وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يلبس من الثياب ماوجد من ازار أو رداء أو قميص
أو جبة أو غير ذلك وكان يعجبه الثياب الخضر وكان أكثر لباسه البياض
ويقول ألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم وكان له صلى الله
عليه وسلم قباء سندس فيلبسه فتحسن خضرته على بياض لونه وكانت
ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الازار فوق ذلك الى نصف

الساق ولقد كان له كساء أسود فوهبه فقالت له أم سلمة بأبي أنت وأمي مافعل ذلك الكساء الاسود فقال كسوته فقالت مارأيت شيأ قط كان أحسن من بياضك على سواده وكان صلى الله عليه وسلم اذا لبس ثوبا لبسه من قبل ميامنه ويقول الحمد لله الذي كساني ماأواري به عورتي وأتجمل به في الناس واذا نزع ثوبه أخرجه من مياسره وكان اذا لبس جديدا أعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول مامن مسلم يكسو مسلما من سمل ثيابه لايكسوه الا لله الا كان في ضمان الله وحرزه وخيره ماواراه حيا وميتا وكانت له صلى الله عليه وسلم عباءة تفرش له حيثما تنقل تثني طاقين تحته وكان ينام على الحصير ليس تحته شيء غيره

﴿ الباب السابع والثمانون في فضل القرآن وفضل العلم والعلماء ﴾

قال صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوتي أفضل مما أوتي فقد استصغر من عظمة الله تعالى * وقال صلى الله عليه وسلم مامن شفيع أفضل منزلة عند الله تعالى من القرآن * وقال صلى الله عليه وسلم أفضل عبادة أمتي تلاوة القرآن * وقال صلى الله عليه وسلم خيركم من تعلم العلم وعلمه * وقال صلى الله عليه وسلم ان القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد فقيل يارسول الله وما جلاؤها فقال تلاوة القرآن وذكر الموت وقال الفضيل بن عياض حامل القرآن حامل راية الاسلام فلا ينبغي أن يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيما لحق القرآن وقال أيضا من قرأ خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع الشهداء ومن قرأها حين يمسي ثم مات من

ليلته ختم له بطابع الشهداء (وأما فضل العلم والعلماء) فالأحاديث الواردة في ذلك كثيرة * قال صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ويلهمه رشده * وقال صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء ومعلوم أنه لا رتبة فوق رتبة النبوة ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الناس المؤمن العالم الذى اذا احتيج اليه نفع وان استغني عنه أغنى نفسه * وقال صلى الله عليه وسلم أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسل * وقال صلى الله عليه وسلم لموت قبيلة أيسر من موت عالم * وقال صلى الله عليه وسلم يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء * وقال صلى الله عليه وسلم لا يشبع عالم من علم حتى يكون منتهاه الجنة * وقال صلى الله عليه وسلم هلاك أمتي في شيئين ترك العلم وجمع المال * وقال صلى الله عليه وسلم كن عالما أو متعلما أو مستمعا أو محبا ولا تكن الخامسة أي مبغضا فتهلك * وقال صلى الله عليه وسلم آفة العلم الخيلاء ومن أمثال الحكماء من طلب العلم للرياسة فقد عدم التوفيق والسياسة قال تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق * وقال الشافعى رضي الله عنه من تعلم القرآن عظمت قيمته ومن تعلم الفقه جل مقداره ومن تعلم الحديث قويت حجته ومن تعلم الحساب جزل رأيه ومن تعلم الغريب رق طبعه ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه * وقال الحسن بن على رضى الله عنهما من أكثر

مجالسة العلماء أطلق عقال لسانه وفتق مراتق ذهنه وسره ماوجد من الزيادة فى نفسه وكانت له ولاية لما يعلم وافادة لما تعلم * وقال صلى الله عليه وسلم اذا رد الله عبدا حظر عليه العلم * وقال صلى الله عليه وسلم لا فقر أشد من الجهل

﴿ الباب الثامن والثمانون فى فضل الصلاة والزكاة ﴾

اعلم ان الله تعالى جعل الزكاة احدى مبانى الاسلام وأردفها بذكرها الصلاة التى هى أعلى الاعلام فقال تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة * وقال صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله واقام الصلاة وايتاء الزكاة الحديث وشدد الوعيد على المقصرين فيهما فقال تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون وتقدم الكلام على ذلك مستوفى وقال تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ومعنى الانفاق فى سبيل الله اخراج الزكاة ﴿ فائدة ﴾ يستحب أن يطلب لصدقته أتقياء الفقراء المعرضين عن الدنيا المتجردين لتجارة الآخرة فان ذلك يربو به المال * قال صلى الله عليه وسلم لا تأكل الا طعام تقى ولا يأكل طعامك الا تقى وذلك لان التقى يستعين به على التقوى فتكون شريكه فى طاعته باعانتك اياه وكان بعض العلماء يؤثر بالصدقة فقراء الصوفية دون غيرهم فقيل له لو عممت بمعروفك جميع الفقراء لكان أفضل فقال لا هؤلاء قوم همهم لله سبحانه فاذا طرقتهم فاقة تشتت همة أحدهم فلأن أرد همة واحد الى الله عز وجل أحب الى من أن أعطى ألفا ممن همه الدنيا فذكر هذا الكلام للجنيد فاستحسنه

وقال هذا ولى من أولياء الله تعالى وقال ماسمعت منذ زمان كلاما أحسن من هذا ثم حكى ان هذا الرجل اختل حاله وهم بترك الحانوت فبعث اليه الجنيد مالا وقال اجعله بضاعتك ولاتترك الحانوت فان التجارة لاتضر مثلك وكان هذا الرجل بقالا لايأخذ من الفقراء ثمن مايبتاعونه وكان ابن المبارك يخصص بمعروفه أهل العلم فقيل له لو عممت فقال انى لاأعرف بعد مقام النبوة أفضل من مقام العلماء فاذا اشتغل قلب أحدهم بحاجته لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعلم فتفريغهم للعلم أفضل وان يخص ذوي الحاجات لاسيما ذوي الارحام والاقارب فتكون صدقة وصلة رحم وفي صلة الرحم مالايحصى من الاجر كما مر في بابه وأن يخرج الصدقة سرا ليسلم من شؤم الرياء ومن اذلال المعطي في الملا قال صلى الله عليه وسلم صدقة السر تطفئ غضب الرب * وذكر في حديث السبعة الذين يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لاظل الاظله رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتي لاتعلم شماله ماأعطت يمينه نعم ان كان في اظهار الصدقة خير كأن كان يقتدي به غيره فلا بأس ان سلم من الرياء وتجنب الامتنان كما قال تعالى لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والاذي فآفة المعروف المن بل يؤثر كتمانه ويستعمل نسيانه كما يجب على من صنع له معروف نشره ويتعين عليه شكره كما في الحديث لايشكر الله من لايشكر الناس وما أحسن قول القائل

يد المعروف غنم حيث كانت * تحملها كفور أو شكور
ففي شكر الشكور لها جزاء * وعند الله ما كفر الكفور

﴿ الباب التاسع والثمانون في بر الوالدين وحقوق الاولاد ﴾

لايخفى انه اذا تأكد حق القرابة والرحم فأخص الارحام وأمسها الولادة فيتضاعف تأكد الحق فيها وقد قال صلى الله عليه وسلم لن يجزي ولد والده حتى يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه وقد قال صلى الله عليه وسلم بر الوالدين أفضل من الصلاة والصدقة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله وقد قال صلى الله عليه وسلم من أصبح مرضيا لابويه أصبح له بابان مفتوحان الى الجنة ومن أمسى فمثل ذلك وان كان واحدا فواحد وان ظلما وان ظلما وان ظلما ومن أصبح مسخطا لابويه أصبح له بابان مفتوحان الى النار ومن أمسى فمثل ذلك وان كان واحدا فواحد وان ظلما وان ظلما وان ظلما * وقال صلى الله عليه وسلم ان الجنة يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام ولايجد ريحها عاق ولاقاطع رحم * وقال صلى الله عليه وسلم بر أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك فأدناك (ويروى) ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام ياموسى انه من بر والديه وعقني كتبته بارا ومن برني وعق والديه كتبته عاقا (وقيل) لما دخل يعقوب على يوسف عليهما السلام لم يقم له فأوحى الله اليه أتتعاظم أن تقوم لابيك وعزتي وجلالي لاأخرجت من صلبك نبيا * وقال صلى الله عليه وسلم ماعلى أحد اذا أراد أن يتصدق بصدقة أن يجعلها لوالديه اذا كانا مسلمين فيكون لوالديه أجرها ويكون له مثل أجورها من غير أن ينقص من أجورها شيء * وقال مالك بن ربيعة بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل من بني سلمة فقال

يارسول الله هل بقي علي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد وفاتهما قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما واكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما * وقال صلى الله عليه وسلم ان من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي الاب * وقال صلى الله عليه وسلم بر الوالدة على الولد ضعفان وقال صلى الله عليه وسلم دعوة الوالدة أسرع اجابة قيل يارسول الله ولم ذاك قال هي أرحم من الاب ودعوة الرحم لا تسقط وسأله رجل فقال يارسول الله من أبر فقال بر والديك فقال ليس لي والدان فقال بر ولدك كما أن لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق * وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله والدا أعان ولده على بره أي لم يحمله على العقوق بسوء عمله * وقال صلى الله عليه وسلم ساووا بين أولادكم في العطية وقد قيل ولدك ريحانتك تشمها سبعا وخادمك سبعا ثم هو عدوك أو شريكك * وقال أنس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم الغلام يعق عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الاذى فاذا بلغ ست سنين أدب فاذا بلغ تسع سنين عزل فراشه فاذا بلغ ثلاث عشرة سنة ضرب على الصلاة فاذا بلغ ست عشرة سنة زوجه أبوه ثم أخذ بيده وقال قد أدبتك وعلمتك وأنكحتك أعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة * وقال صلى الله عليه وسلم من حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه ويحسن اسمه * وقال عليه السلام كل غلام رهين أو رهينة بعقيقة تذبح عنه يوم السابع ويحلق رأسه * وقال قتادة اذا ذبحت العقيقة أخذت صوفة منها فاستقبلت بها أوداجها ثم توضع

على يافوخ الصبي حتى يسيل منه مثل الخيط ثم يغسل رأسه ويحلق بعد وجاء رجل الى عبد الله بن المبارك فشكا اليه بعض ولده فقال هل دعوت عليه قال نعم قال أنت أفسدته ويستحب الرفق بالولد رأى الاقرع بن حابس النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقبل ولده الحسن فقال ان لي عشرة من الولد ماقبلت واحدا منهم فقال عليه الصلاة والسلام ان من لايرحم لايرحم وقالت عائشة رضي الله عنها قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اغسلي وجه أسامة فجعلت أغسله وأنا أنفة فضرب يدي ثم أخذه فغسل وجهه ثم قبله ثم قال قد أحسن بنا اذ لم تكن له جارية وتعثر الحسن والنبي صلى الله عليه وسلم على منبره فنزل فحمله وقرأ قوله تعالى انما أموالكم وأولادكم فتنة وقال عبد الله بن شداد بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس اذ جاءه الحسين فركب عنقه وهو ساجد فأطال السجود بالناس حتى ظنوا أنه قد حدث أمر فلما قضى صلاته قالوا قد أطلت السجود يارسول الله حتى ظننا أنه قد حدث أمر فقال ان ابني قد ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته وفي ذلك فوائد احداها القرب من الله تعالى فان العبد أقرب مايكون من الله تعالى اذا كان ساجدا وفيه الرفق بالولد والبر وتعليم لامته وقال صلى الله عليه وسلم ريح الولد من ريح الجنة وقال يزيد بن معاوية أرسل أبي الى الاحنف بن قيس فلما وصل اليه قال له ياأبا بحر ماتقول في الولد قال ياأمير المؤمنين ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم أرض ذليلة وسماء ظليلة وبهم نصول على كل جليلة فان طلبوا فأعطهم وان

غضبوا فارضهم يمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم ولا تكن عليهم ثقلا ثقيلا فيملوا حياتك ويودوا وفاتك ويكرهوا قربك فقال له معاوية لله أنت ياأحنف لقد دخلت على وأنا مملوء غضبا وغيظا على يزيد فلما خرج الاحنف من عنده رضي عن يزيد و بعث اليه بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب فارسل يزيد الى الاحنف بمائة الف درهم ومائة ثوب فقاسمه اياها على الشطر

﴿ الباب التسعون في حقوق الجوار والاحسان للمساكين ﴾

اعلم أن الجوار يقتضي حقا وراء ماتقتضيه أخوة الاسلام فيستحق الجار المسلم مايستحقه كل مسلم وزيادة اذ قال النبي صلى الله عليه وسلم الجيران ثلاثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق فالجار الذي له ثلاثة حقوق الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم وأما الذي له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الاسلام وأما الذي له حق واحد فالجار المشرك فانظر كيف أثبت للمشرك حقا بمجرد الجوار وقد قال صلى الله عليه وسلم أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وقال النبي صلى الله عليه وسلم مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه وقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره وقال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه وقال صلى الله عليه وسلم أول خصمين يوم القيامة جاران وقال عليه الصلاة والسلام اذا أنت رميت كلب جارك فقد آذيته (ويروى) أن رجلا جاء الى ابن مسعود

رضي الله عنه فقال له ان لي جارا يؤذيني ويشتمني ويضيق علي فقال اذهب فان هو عصى الله فيك فأطع الله فيه وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها فقال صلى الله عليه وسلم هي في النار وجاء رجل اليه عليه الصلاة والسلام يشكو جاره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اصبر ثم قال له في الثالثة والرابعة اطرح متاعك في الطريق قال فجعل الناس يمرون به ويقولون مالك فيقال آذاه جاره قال فجعلوا يقولون لعنه الله فجاءه جاره فقال له رد متاعك فوالله لا أعود (وروى الزهري) أن رجلا أتى النبي عليه الصلاة والسلام فجعل يشكو جاره فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن ينادى على باب المسجد ألا ان أربعين دارا جار قال الزهري أربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا وأومأ الى أربع جهات وقال عليه الصلاة والسلام اليمن والشؤم في المرأة والمسكن والفرس فيمن المرأة خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها وشؤمها غلاء مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها ويمن المسكن سعته وحسن جوار أهله وشؤمه ضيقه وسوء جوار أهله ويمن الفرس ذله وحسن خلقه وشؤمه صعوبته وسوء خلقه (واعلم) أنه ليس حق الجوار كف الاذى فقط بل احتمال الاذى أيضا فان الجار اذا كف أذاه فليس في ذلك قضاء حق ولا يكفي احتمال الاذى بل لابد من الرفق واسداء الخير والمعروف اذ يقال ان الجار الفقير يتعلق بجاره الغني يوم القيامة فيقول يارب سل هذا لم منعني معروفه وسد بابه دوني (وبلغ ابن المقفع) أن جارا له يبيع داره في

دين ركبه وكان يجلس فى ظل داره فقال ماقمت اذا بحرمة ظل داره ان باعها معدما فدفع اليه ثمن الدار وقال لاتبعها * وشكا بعضهم كثرة الفار في داره فقيل له لو اقتنيت هرا فقال أخشى أن يسمع الفأر صوت الهر فيهرب الى دور الجيران فأكون قد أحببت لهم مالا أحب لنفسي (وجملة حق الجار) أن يبدأه بالسلام ولا يطيل معه الكلام ولا يكثر عليه السؤال ويعوده فى المرض ويعزيه في المصيبة ويقوم معه في العزاء ويهنئه في الفرح ويظهر الشركة في السرور معه ويصفح عن زلاته ولا يتطلع من السطح الى عوراته ولا يضايقه في وضع الجذع على جداره ولا يصب الماء في ميزابة ولا يطرح التراب في فنائه ولا يضيق طريقه الي الدار ولا يتبعه النظر فيما يحمله الى داره ويستر ماينكشف له من عوراته وينعشه من صرعته اذا نابته نائبة ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ولا يسمع عليه كلاما ويغض بصره عن حرمته ولا يديم النظر الي خادمته ويتلطف بولده فى كلمته ويرشده الي مايجهله من أمر دينه ودنياه هذا الي جملة الحقوق التي لعامة المسلمين وقد قال صلى الله عليه وسلم أتدرون ماحق الجار ان استعان بك أعنته وان استنصرك نصرته وان استقرضك أقرضته وان افتقر عدت عليه وان مرض عدته وان مات تبعت جنازته وان أصابه خير هنأته وان أصابته مصيبة عزيته ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح الا باذنه ولا تؤذه واذا اشتريت فاكهة فأهد له فان لم تفعل فأدخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذه بقتار قدرك الا أن تغرف

له منها ثم قال أتدرون ما حق الجار والذي نفسي بيده لايبلغ حق الجار الا من رحمه الله هكذا رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مجاهد كنت عند عبد الله بن عمرو وغلام له يسلخ شاة فقال ياغلام اذا سلخت الشاة فابدأ بجارنا اليهودي حتى قال ذلك مرارا فقال له كم تقول في هذا فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أنه سيورثه وقال هشام كان الحسن لا يرى بأسا أن تطعم الجار اليهودي والنصراني من أضحيتك وقال أبو ذر رضي الله عنه أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم وقال اذا طبخت قدرا فأكثر ماءها ثم انظر بعض أهل بيت في جيرانك فاغرف لهم منها

﴿ الباب الحادي والتسعون في عقوبة شارب الخمر ﴾

قد أنزل الله في الخمر ثلاث آيات الاولى قوله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس الآية فكان من المسلمين شارب وتارك الى أن شرب رجل فدخل في الصلاة فهجر فنزل قوله تعالى ياأيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى الآية فشربها من شربها من المسلمين وتركها من تركها حتى شربها عمر رضي الله عنه فأخذ بلحى بعير وشج بها رأس عبد الرحمن ابن عوف ثم قعد ينوح على قتلى بدر فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج مغضبا يجر رداءه فرفع شيأ كان في يده فضربه به فقال أعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فأنزل الله تعالى انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة

والبغضاء في الخمر والميسر الآية فقال عمر رضى الله عنه انتهينا انتهينا
ومن الاخبار المتفقة على تحريمها قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم لايدخل الجنة مدمن خمر وقوله صلى الله عليه وسلم أول مانهاني
ربي بعد عبادة الاوثان عن شرب الخمر وملاحاة الرجال وقوله صلي
الله عليه وسلم مامن قوم اجتمعوا على مسكر في الدنيا الا جمعهم الله
في النار فيقبل بعضهم على بعض يتلاومون يقول أحدهم للآخر
يافلان لاجزاك الله عني خيرا فأنت الذي أوردني هذا المورد
فيقول له الآخر مثل ذلك وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من شرب
الخمر في الدنيا سقاه الله من سم الاساود شربة يتساقط منها لحم وجهه في
الاناء قبل أن يشربها فاذا شربها يتساقط لحمه وجلده يتأذي به أهل
النار ألا ان شاربها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه وآكل
ثمنها شركاء في اثمها لايقبل الله منهم صلاة ولا صوما ولا حجا حتى يتوبوا
فان ماتوا قبل التوبة كان حقا على الله أن يسقيهم بكل جرعة شربوها
في الدنيا من صديد جهنم ألا وان كل مسكر حرام وكل خمر حرام
(ذكر ابن أبي الدنيا) انه مر بسكران وهو يبول في يده ويغسل به
يده كهيئة المتوضئ ويقول الحمد لله الذي جعل الاسلام نورا والماء
طهورا وعن العباس بن مرداس انه قيل له فى الجاهلية لم لاتشرب الخمر
فانها تزيد في حرارتك فقال ماأنا بآخذ جهلي بيدي فأدخله في جوفي
ولا أرضى أن أصبح سيد قومي وأمسى سفيههم وروي البيهقى عن ابن
عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال اجتنبوا أم

الخبائث فانه كان رجل ممن كان قبلكم يتعبد ويعتزل الناس فعلقته امرأة فأرسلت اليه خادما انا ندعوك لشهادة فدخل فطفقت كلما دخل بابا أغلقته دونه حتى اذا أفضى الى امرأة وضيئة جالسة وعندها غلام وباطية فيها خمر فقالت انا لم ندعك لشهادة ولكن دعوتك لتقتل هذا الغلام وتقع علي أو تشرب كاسا من الخمر فان أبيت صحت بك وفضحتك فلما رأى انه لابد له من ذلك قال اسقيني كاسا من الخمر فسقته فقال زيديني فلم يزل حتى وقع عليها وقتل النفس فاجتنبوا الخمر فانه والله لايجتمع ايمان وادمان الخمر في صدر رجل أبدا ليوشكن أحدهما يخرج صاحبه وروي أحمد وابن حبان في صحيحه عن ابن عمر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان آدم لما أهبط الى الارض قالت الملائكة أي رب أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم مالا تعلمون قالوا ربنا نحن أطوع لك من بني آدم قال الله تعالى للملائكة هلموا ملكين من الملائكة فننظر كيف يعملان قالوا ربنا هاروت وماروت قال فاهبطا الى الارض فتمثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر فجاآها فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تتكلما بهذه الكلمة من الاشراك قالا والله لانشرك بالله أبدا فذهبت عنهما ثم رجعت اليهما ومعها صبي تحمله فسألاها نفسها فقالت والله حتى تقتلا هذا الصبي فقالا لا والله لا نقتله أبدا فذهبت ثم رجعت بقدح خمر تحمله فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تشربا هذه الخمرة فشربا فسكرا فوقعا عليها وقتلا الصبي فلما أفاقا قالت المرأة والله ما تركتما

من شيء أبيتما على الا فعلتما حين سكرتما فخيرا عند ذلك بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا وروي عن أم سلمة رضي الله عنها قالت اشتكت بنت لي فنبذت لها في كوز فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يغلي قال ما هذا يا أم سلمة فذكرت له أني أداوي بها ابنتي فقال صلى الله عليه وسلم ان الله لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها * وروي ان الله تعالى لما حرم الخمر سلب منها المنافع

﴿ الباب الثاني والتسعون في معراج النبي صلى الله عليه وسلم ﴾

* روى البخاري عن قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة ان نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسري به قال بينما أنا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجعا اذ أتاني آت فقد قال وسمعته يقول فشق ما بين هذه الى هذه فقلت للجارود وهو الى جنبي ما يعني به قال من ثغرة نحره الى شعرته فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة ايمانا فغسل قلبي ثم حشي ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض فقال له الجارود هو البراق يا أبا حمزة قال أنس نعم يضع خطوه عند أقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فاذا فيها آدم فقال هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الثانية فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد

قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح لنا
فلما خلصت اذا بيحيي وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيي وعيسى
فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح
ثم صعد بي الى السماء الثالثة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل
ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم
المجيء جاء ففتح فلما خلصت اذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه
فسلمت عليه فردا علي ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم
صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل
ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم
المجيء جاء ففتح فلما خلصت اذا ادريس قال هذا ادريس فسلم عليه
فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي
حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن
معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجيء
جاء فلما خلصت فاذا هرون قال هذا هرون فسلم عليه فسلمت عليه فرد
ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتي السماء
السادسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل
وقد أرسل اليه قال نعم قال مرحبا به نعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا
موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ
الصالح والنبي الصالح فلما تجاوزت بكي قيل له ما يبكيك قال أبكي لان
غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي ثم

صعد بي الى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا ابراهيم قال هذا أبوك ابراهيم فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد علي السلام فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل آذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى واذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ماهذا ياجبريل قال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع لي البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم أتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فاخترت اللبن فقال هي الفطرة التي أنت عليها وأمتك ثم فرضت على الصلوات خمسين صلاة كل يوم قال فرجعت فمررت على موسى فقال بم أمرت قال فقلت أمرت بخمسين صلاة كل يوم قال ان أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم واني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فامرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فامرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال بم أمرت قلت أمرت بخمس صلوات كل يوم قال ان أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم واني قد جربت

الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك قال سألت ربي حتى استحييت منه ولكن أرضى وأسلم قال فلما جاوزت ناداني مناد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي

﴿ الباب الثالث والتسعون في فضائل الجمعة ﴾

اعلم أن هذا يوم عظيم عظم الله به الاسلام وخصص به المسلمين قال الله تعالى اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع فحرم الاشتغال بامور الدنيا وبكل صارف عن السعي الى الجمعة وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل فرض عليكم الجمعة في يومي هذا في مقامي هذا وقال صلى الله عليه وسلم من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه وفي لفظ آخر فقد نبذ الاسلام وراء ظهره واختلف رجل الى ابن عباس يسأله عن رجل مات لم يكن يشهد جمعة ولا جماعة فقال في النار فلم يزل يتردد اليه شهرا يسأله عن ذلك وهو يقول في النار وفي الخبر ان أهل الكتابين أعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه فصرفوا عنه وهدانا الله تعالى له وأخره لهذه الامة وجعله عيدا لهم فهم أولى الناس به سبقا وأهل الكتابين لهم تبع وفي حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أتاني جبرائيل عليه السلام في كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة يفرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولامتك من بعدك قلت فما لنا فيها قال لكم فيها خير ساعة من دعا فيها بخير هو له قسم أعطاه الله سبحانه اياه أو ليس له قسم ذخر له ما هو أعظم منه أو تعوذ من شر هو مكتوب عليه الا أعاذه

الله عز وجل من أعظم منه وهو سيد الايام عندنا ونحن ندعوه في الآخرة يوم المزيد قلت ولم قال ان ربك عز وجل اتخذ في الجنة واديا أفيح من المسك أبيض فاذا كان يوم الجمعة نزل تعالى من عليين على كرسيه فيتجلى لهم حتى ينظروا الى وجهه الكريم وقال صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط الى الارض وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد كذلك تسميه الملائكة في السماء وهو يوم النظر الى الله تعالى في الجنة وفي الخبر ان لله عز وجل في كل جمعة ستمائة الف عتيق من النار وفي حديث أنس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا سلمت الجمعة سلمت الايام وقال صلى الله عليه وسلم ان الجحيم تسعر في كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس في كبد السماء فلا تصلوا في هذه الساعة الا يوم الجمعة فانه صلاة كله وان جهنم لا تسعر فيه وقال كعب ان الله عز وجل فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الايام الجمعة ومن الليالي ليلة القدر ويقال ان الطير والهوام يلقى بعضها بعضا في يوم الجمعة فتقول سلام سلام يوم صالح وقال صلى الله عليه وسلم من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقي فتنة القبر

﴿ الباب الرابع والتسعون في حق الزوجة على الزوج ﴾

حقوق الزوجات على الازواج كثيرة منها حسن الخلق معهن واحتمال الاذى منهن ترحما عليهن لقصور عقلهن قال الله تعالى

وعاشروهن بالمعروف وقال في تعظيم حقهن وأخذن منكم ميثاقا غليظا
وقال والصاحب بالجنب قيل هي المرأة و آخر ماوصى به رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه وخفي كلامه
جعل يقول الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم لا تكلفوهم مالا يطيقون
الله الله في النساء فانهن عوان في أيديكم يعني أسراء أخذتموهن بأمانة
الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وقال عليه الصلاة والسلام من صبر
على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الاجر مثل ماأعطي أيوب على
بلائه ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله مثل ثواب آسية
امرأة فرعون (واعلم) أنه ليس حسن الخلق معها كف الاذي عنها
بل احتمال الأذى منها والحلم عند طيشها وغضبها اقتداء برسول الله
صلى الله عليه وسلم فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام وتهجره
الواحدة منهن يوما الى الليل وراجعت امرأة عمر رضي الله عنه عمر في
الكلام فقال أتراجعيني يالكعاء فقالت ان أزواج رسول الله صلى الله
عليه وسلم يراجعنه وهو خير منك فقال عمر خابت حفصة وخسرت
ان راجعته ثم قال لحفصة لاتغتري بابنة ابن أبي قحافة فانها حب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وخوفها من المراجعة وروي أنه دفعت
احداهن في صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزبرتها أمها فقال
عليه الصلاة والسلام دعيها فانهن يصنعن أكثر من ذلك وجرى بينه
وبين عائشة كلام حتى أدخلا بينهما أبا بكر رضي الله عنه حكما واستشهده
فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلمين أو أتكلم فقالت

بل تتكلم أنت ولا تقل الا حقا فلطمها أبو بكر حتى دمي فوها وقال يا عدوة نفسها أو يقول غير الحق فاستجارت برسول الله صلى الله عليه وسلم وقعدت خلف ظهره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم ندعك لهذا ولا أردنا منك هذا وقالت له مرة في كلام غضبت عنده أنت الذي تزعم أنك نبي الله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتمل ذلك حلما وكرما وكان يقول لها اني لاعرف غضبك من رضاك قالت وكيف تعرفه قال اذا رضيت قلت لا واله محمد واذا غضبت قلت لا واله ابراهيم قالت صدقت انما أهجر اسمك ويقال ان أول حب وقع في الاسلام حب النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها وكان يقول لها كنت لك كأبي زرع لام زرع غير أني لا أطلقك وكان يقول لنسائه لا تؤذيني في عائشة فانه والله ما نزل على الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها ٭ وقال أنس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالنساء والصبيان ومنها أن يزيد على احتمال الاذى بالمداعبة والمزاح والملاعبة فهي التي تطيب قلوب النساء وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح معهن وينزل الى درجات عقولهن في الاعمال والاخلاق حتى روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يسابق عائشة في العدو فسبقته يوما وسبقها في بعض الايام فقال عليه السلام هذه بتلك ٭ وفي الخبر أنه كان صلى الله عليه وسلم من أفكه الناس مع نسائه وقالت عائشة رضي الله عنها سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون في يوم عاشوراء فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أتحبين أن ترى لعبهم قالت قلت نعم فأرسل اليهم فجاؤا

وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين البابين فوضع كفه على الباب ومد يده ووضعت ذقني على يده وجعلوا يلعبون وأنظر وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حسبك وأقول اسكت مرتين أو ثلاثا ثم قال ياعائشة حسبك فقلت نعم فأشار اليهم فانصرفوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله * وقال عليه السلام خيركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائي * وقال عمر رضي الله عنه مع خشونته ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي فاذا التمسوا ما عنده وجد رجلا * وقال لقمان رحمه الله ينبغي للعاقل أن يكون في أهله كالصبي واذا كان في القوم وجد رجلا وفي تفسير الخبر المروي ان الله يبغض الجعظري الجواظ قيل هو الشديد على أهله المتكبر في نفسه وهو أحد ما قيل في معنى قوله تعالى عتل قيل العتل هو الفظ اللسان الغليظ القلب على أهله * وقال عليه السلام لجابر هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك (ووصفت) اعرابية زوجها وقدمات فقالت والله لقد كان ضحوكا اذا ولج سكيتا اذا خرج آكلا ما وجد غير مسائل عما فقد ومنها أن لا ينبسط في الدعابة وحسن الخلق والموافقة باتباع هواها الى حد يفسد خلقها ويسقط بالكلية هيبته عندها بل يراعي الاعتدال فيه فلا يدع الهيبة والانقباض مهما رأى منكرا ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات البتة بل مهما رأى ما يخالف الشرع والمروءة تنمر وامتعض قال الحسن والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى الا كبه الله في النار * وقال عمر رضي الله عنه خالفوا النساء فان في خلافهن البركة وقد

قيل شاوروهن وخالفوهن وقد قال عليه السلام تعس عبد الزوجة وانما قال ذلك لانه اذا أطاعها في هواها فهو عبدها وقد تعس فان الله ملكه المرأة فملكها نفسه فقد عكس الامر وقلب القضية وأطاع الشيطان لما قال ولآمرنهم فليغيرن خلق الله اذ حق الرجل أن يكون متبوعا لا تابعا وقد سمي الله الرجال قوامين على النساء وسمي الزوج سيدا فقال تعالى وألفيا سيدها لدى الباب فاذا انقلب السيد مسخرا فقد بدل نعمة الله كفرا ونفس المرأة على مثال نفسك ان أرسلت عنانها قليلا جمحت بك طويلا وان أرخيت عذارها فترا جذبتك ذراعا وان كبحتها وشددت يدك عليها في محل الشدة ملكتها * قال الشافعي رضي الله عنه ثلاثة ان أكرمتهم أهانوك وان أهنتهم أكرموك المرأة والخادم والنبطي أراد به ان محضت الاكرام ولم تمزج غلظك بلينك وفظاظتك برفقك

﴿ الباب الخامس والتسعون في حق الزوج على الزوجة ﴾

والقول الشافي فيه أن النكاح نوع رق فهي رقيقة له فعليها طاعة الزوج مطلقا في كل ما طلب منها في نفسها مما لا معصية فيه * وقد ورد في تعظيم حق الزوج عليها أخبار كثيرة * قال صلى الله عليه وسلم أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة وكان رجل قد خرج الى سفر وعهد الى امرأته أن لا تنزل من العلو الى السفل وكان أبوها في الاسفل فمرض فأرسلت المرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذن في النزول الى أبيها فقال صلى الله عليه وسلم أطيعي زوجك فمات

فاستأمرته فقال أطيعي زوجك فدفن أبوها فأرسل رسول الله صلى الله
عليه وسلم اليها يخبرها أن الله قد غفر لابيها بطاعتها لزوجها * وقال صلى
الله عليه وسلم اذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها
وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها فأضاف طاعة الزوج الى مبانى الاسلام
*وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء فقال حاملات والدات
مرضعات رحيمات بأولادهن لولا ما يأتين الى أزواجهن دخل مصلياتهن
الجنة * وقال صلى الله عليه وسلم اطلعت في النار فاذا أكثر أهلها النساء
فقلن لم يارسول الله قال يكثرن اللعن ويكفرن العشير يعني الزوج المعاشر
* وفي خبر آخر اطلعت في الجنة فاذا أقل أهلها النساء فقلت أين النساء
قال شغلهن الاحمران الذهب والزعفران يعني الحلي ومصبغات الثياب
وقالت عائشة رضي الله عنها أتت فتاة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت
يارسول الله اني فتاة أخطب فأكره التزويج فما حق الزوج على المرأة
قال لو كان من فرقه الى قدمه صديد فلحسته ما أدت شكره قالت أفلا
أتزوج قال بلى تزوجي فانه خير * وقال ابن عباس أتت امرأة من خثعم الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اني امرأة أيم وأريد أن أتزوج فما حق
الزوج قال ان من حق الزوج على الزوجة اذا أرادها فراودها عن نفسها وهي
على ظهر بعير لا تمنعه ومن حقه أن لا تعطي شيأ من بيته الا باذنه فان فعلت ذلك
كان الوزر عليها والاجر له ومن حقه أن لا تصوم تطوعا الا باذنه فان
فعلت جاعت وعطشت ولم يتقبل منها وان خرجت من بيتها بغير اذنه
لعنتها الملائكة حتى ترجع الى بيته أو تتوب * وقال صلى الله عليه وسلم

لوأمرت أحدا أن يسجد لاحد لامرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها * وقال صلى الله عليه وسلم أقرب ماتكون المرأة من وجه ربها اذا كانت في قعر بيتها وان صلاتها في صحن دارها أفضل من صلاتها في المسجد وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في صحن دارها وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها والمخدع بيت في بيت وذلك للتستر ولذلك قال عليه السلام المرأة عورة فاذا خرجت استشرفها الشيطان وقال أيضا للمرأة عشر عورات فاذا تزوجت ستر الزوج عورة واحدة فاذا ماتت ستر القبر العشر عورات فحقوق الزوج على الزوجة كثيرة وأهمها أمران أحدهما الصيانة والستر والآخر ترك المطالبة بما وراء الحاجة والتعفف عن كسبه اذا كان حراما وهكذا كانت عادة النساء في السلف كان الرجل اذا خرج من منزله تقول له امرأته أو ابنته اياك وكسب الحرام فانا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار وهم رجل من السلف بالسفر فكره جيرانه سفره فقالوا لزوجته لم ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة فقالت زوجي منذ عرفته عرفته أكالا وما عرفته رزاقا ولي رب رزاق يذهب الاكال ويبقى الرزاق وخطبت رابعة بنت اسمعيل أحمد بن أبي الحواري فكره ذلك لما كان فيه من العبادة وقال لها والله مالي همة في النساء لشغلي بحالي فقالت اني لاشغل بحالي منك ومالي شهوة ولكن ورثت مالا جزيلا من زوجي فأردت أن تنفقه على اخوانك وأعرف بك الصالحين فيكون لي طريقا الى الله عز وجل فقال حتى أستأذن أستاذي فرجع الى أبي سليمان الداراني قال وكان ينهاني عن التزويج

ويقول ماتزوج أحد من أصحابنا الا تغير فلما سمع كلامها قال تزوج بها فانها ولية لله هذا كلام الصديقين قال فتزوجتها فكان في منزلنا كن من جص ففني من غسل أيدى المستعجلين للخروج بعد الاكل فضلا عمن غسل بالاشنان قال وتزوجت عليها ثلاث نسوة فكانت تطعمني الطيبات وتطيبني وتقول اذهب بنشاطك وقوتك الى أزواجك وكانت رابعة هذه تشبه في أهل الشأم برابعة العدوية بالبصرة * ومن الواجبات عليها أن لاتفرط في ماله بل تحفظه عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايحل لها أن تطعم من بيته الا باذنه الا الرطب من الطعام الذى يخاف فساده فان أطعمت عن رضاه كان لها مثل أجره وان أطعمت بغير اذنه كان له الاجر وعليها الوزر (ومن حقها) على الوالدين تعليمها حسن المعاشرة وآداب العشرة مع الزوج كما روى ان أسماء بنت خارجة الفزارى قالت لابنتها عند التزوج انك خرجت من العش الذي فيه درجت فصرت الى فراش لاتعرفينه وقرين ان تألفيه فكونى له أرضا يكن لك سماء وكونى له مهادا يكن لك عمادا وكونى له أمة يكن لك عبدا لاتلحفي به فيقلاك ولا تباعدى عنه فينساك ان دنا منك فاقربي منه وان نأى فابعدى عنه واحفظي أنفه وسمعه وعينه فلايشمن منك الا طيبا ولا يسمع الا حسنا ولا ينظر الا جميلا وقال رجل لزوجته

خذى العفو منى تستديمى مودتى * ولا تنطقى فى سورتى حين أغضب
ولا تنقرينى نقرك الدف مرة * فانك لاتدرين كيف المغيب

ولا تكثري الشكوى فتذهب بالهوى * وإياك قلبي والقلوب تقلب
فاني رأيت الحب في القلب والاذى * اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

﴿ الباب السادس والتسعون في فضل الجهاد ﴾

قال تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل ماأبالي أن لاأعمل عملا بعد الاسلام الا أن أسقي الحاج وقال آخر لاأبالي أن لاأعمل عملا بعد الاسلام الا أن أعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد أفضل مما قلتم فزجرهم عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وقال لاترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه فأنزل الله عز وجل أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لايستوون عند الله والله لايهدي القوم الظالمين وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال قعدنا نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا لو نعلم أي الاعمال أفضل وأحب الى الله عز وجل عملناه فأنزل الله تعالى سبح لله مافي السموات ومافي الارض وهو العزيز الحكيم ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص الى آخرها فقرأ علينا رسول الله صلى الله عليه

وسلم وروى أن رجلا قال يارسول الله دلني على عمل يعدل الجهاد قال لا أجده ثم قال هل تستطيع اذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر فقال ومن يستطيع ذلك وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال مر رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بشعب فيه عيينة من ماء عذبة فقال لو اعتزلت الناس فأقمت في هذا الشعب ولن أفعل حتى أستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل فان مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاما ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة اغزوا في سبيل الله تعالى من قاتل في سبيل الله تعالى فواق ناقة وجبت له الجنة فاذا كان الصحابي الجليل لم يأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم في العزلة مع اجتهاده في الطاعات وتعاطيه من الطيبات بل أرشده صلى الله عليه وسلم الى الجهاد فكيف يليق بنا تركه مع قلة طاعاتنا وكثرة سيآتنا وتعاطينا ما جهل حله من الاقوات وفساد العزائم والنيات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل المجاهد في سبيل الله والله أعلم بمن يجاهد في سبيله كمثل الصائم القائم الخاشع الراكع الساجد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا وجبت له الجنة فعجب لها أبو سعيد الخدري فقال أعدها علي يارسول الله فاعادها عليه ثم قال وأخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض قال وما هي يارسول الله قال الجهاد في

سبيل الله

﴿ الباب السابع والتسعون في مكر الشيطان ﴾

قال رجل للحسن يا أبا سعيد أينام الشيطان فتبسم وقال لو نام لاسترحنا فاذا لا خلاص للمؤمن منه نعم له سبيل الى دفعه وتضعيف قوته قال صلى الله عليه وسلم ان المؤمن ينضى شيطانه كما ينضى أحدكم بعيره في سفره وقال ابن مسعود شيطان المؤمن مهزول وقال قيس بن الحجاج قال لي شيطاني دخلت فيك وأنا مثل الجزور وأنا الآن مثل العصفور قلت ولم ذاك قال تذيبني بذكر الله تعالى فأهل التقوى لايتعذر عليهم سد أبواب الشيطان وحفظها بالحراسة أعني الابواب الظاهرة والطرق الجلية التي تفضي الى المعاصي الظاهرة وانما يتعثرون في طرقه الغامضة فانهم لايهتدون اليها فيحرسونها لان الابواب المفتوحة الى القلب للشيطان كثيرة وباب الملائكة باب واحد وقد التبس ذلك الباب الواحد بهذه الابواب الكثيرة فالعبد فيها كالمسافر الذي يبقى في بادية كثيرة الطرق غامضة المسالك في ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الطريق الا بعين بصيرة وطلوع الشمس مشرقة والعين البصيرة ههنا هي القلب المصفى بالتقوى والشمس المشرقة هو العلم الغزير المستفاد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فيما يهتدى به الى غوامض طرقه والا فطرقه كثيرة وغامضة * قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا وقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله ثم قال هذه سبل على

كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وقد ذكرنا مثالا للطريق الغامض من طرقه وهو الذي يخدع به العلماء والعباد المالكين لشهواتهم الكافين عن المعاصي الظاهرة فلنذكر مثالا لطريقه الواضح الذي لا يخفى الا أن يضطر الآدمي الى سلوكه وذلك كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان راهب في بني اسرائيل فعمد الشيطان الى جارية فخنقها وألقى في قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب فأتوا بها اليه فأبى أن يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فلما كانت عنده ليعالجها أتاه الشيطان فزين له مقاربتها ولم يزل به حتى واقعها فحملت منه فوسوس اليه وقال الآن تفتضح يأتيك أهلها فاقتلها فان سألوك فقل ماتت فقتلها ودفنها فأتى الشيطان أهلها فوسوس اليهم وألقى في قلوبهم انه أحبلها ثم قتلها ودفنها فأتاه أهلها فسألوه عنها فقال ماتت فأخذوه ليقتلوه بها فأتاه الشيطان فقال أنا الذي خنقتها وأنا الذي ألقيت في قلوب أهلها فأطعني تنج وأخلصك منهم قال بماذا قال اسجد لي سجدتين فسجد له سجدتين فقال له الشيطان اني بريء منك فهو الذي قال الله تعالى فيه كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك وروي ان ابليس سأل الامام الشافعي رضي الله عنه ماقولك فيمن خلقني كما اختار واستعملني فيما اختار وبعد ذلك ان شاء أدخلني الجنة وان شاء أدخلني النار أعدل في ذلك أم جار فنظر في كلامه ثم قال ياهذا ان كان خلقك لما تريد أنت فقد ظلمك وان كان خلقك لما يريد هو

فلا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فاضمحل الى أن صار لاشئ ثم قال والله ياشافعي لقد أخرجت بسناق هـذه سبعين الف عابد من ديوان العبودية الى ديوان الزندقة وروى أيضا أن ابليس لعنـه الله تمثـل لعيسى بن مريم عليهما السلام فقال له قل لااله الا الله فقال كلمة حق ولا أقولها بقولك أي لان له تلبيسات في الخـير كما أن له تلبيسات في الشر تتناهى وبها يهلك العباد والزهاد والاغنياء وأصناف الخلق الامن حفظه الله اللهم احفظنا من مكايده حتى نلقاك مهتدين

﴿ الباب الثامن والتسعون في بيان السماع ﴾

حكى القاضى أبو الطيب الطبري عن الشافعى ومالك وأبى حنيفة وسفيان وجماعة من العلماء الفاظا يستدل بها على انهم رأوا تحريمه وقال الشافعى رحمه الله في كتاب آداب القضاء ان الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته وقال القاضي أبو الطيب استماعه من المرأة التى ليست بمحرم له لايجوز عند أصحاب الشافعى رحمه الله بحاله سواء كانت مكشوفة أو من وراء حجاب وسواء كانت حرة أو مملوكة وقال قال الشافعي رضى الله عنه صاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته وقال وحكي عن الشافعي انه كان يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة ليشتغلوا به عن القرآن وقال الشافعي رحمه الله ويكره من جهة الخبر اللعب بالنرد أكثر مما يكره اللعب بشيء من الملاهى ولا أحب اللعب بالشطرنج وأكره كل مايلعب به الناس لان اللعب ليس من صنعة أهل الدين ولا المروءة وأما مالك رحمه الله فقد

نهي عن الغناء وقال اذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها وهو مذهب سائر أهل المدينة الا ابرٰهيم بن سعد وحده وأما أبو حنيفة رضى الله عنه فانه كان يكره ذلك ويجعل سماع الغناء من الذنوب وكذلك سائر أهل الكوفة سفيان الثوري وحماد وابراهيم والشعبي وغيرهم فهذا كله نقله القاضى أبو الطيب الطبرى ونقل أبو طالب المكي اباحة السماع من جماعة فقال سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبير والمغيرة بن شعبة ومعاوية وغيرهم وقال قد فعل ذلك كثير من السلف الصالح صحابي وتابعي باحسان وقال لم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع في أفضل أيام السنة وهي الايام المعدودات التى أمر الله عباده فيها بذكره كايام التشريق ولم يزل أهل المدينة مواظبين كاهل مكة على السماع الى زماننا هذا فأدركنا أبا مروان القاضى وله جوار يسمعن الناس التلحين قد أعدهن للصوفية قال وكان لعطاء جاريتان يلحنان فكان اخوانه يستمعون اليهما قال وقيل لابي الحسن ابن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد وسرى السقطي وذو النون يستمعون فقال وكيف أنكر السماع وقد أجازه وسمعه من هو خير مني فقد كان عبد الله بن جعفر الطيار يسمع وانما أنكر اللهو واللعب في السماع وروي عن يحيي بن معاذ أنه قال فقدنا ثلاثة أشياء فما نراها ولا أراها تزداد الا قلة حسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الديانة وحسن الاخاء مع الوفاء ورأيت في بعض الكتب هذا محكيا بعينه عن الحرث المحاسبي وفيه ما يدل على تجويزه السماع مع زهده وتصاونه

وجده في الدين وتشميره قال وكان ابن مجاهد لايجيب دعوة الا أن يكون فيها سماع وحكي غير واحد أنه قال اجتمعنا في دعوة ومعنا أبو القاسم ابن بنت منيع وأبو بكر بن داود وابن مجاهد في نظرائهم فحضر سماع فجعل ابن مجاهد يحرض ابن بنت منيع على ابن داود في أن يسمع فقال ابن داود حدثني أبي عن أحمد بن حنبل أنه كره السماع وكان أبي يكرهه وأنا على مذهب أبي فقال أبو القاسم ابن بنت منيع أما جدي أحمد ابن بنت منيع فحدثني عن صالح بن أحمد أن أباه كان يسمع قول ابن الخبازة فقال مجاهد لابن داود دعني أنت من أبيك وقال لابن بنت منيع دعني أنت من جدك أى شيء تقول ياأبا بكر فيمن أنشد بيت شعر أهو حرام فقال ابن داود لا قال فان كان حسن الصوت حرم عليه انشاده قال لا قال فان أنشده وطوله وقصر منه الممدود ومد منه المقصور أيحرم عليه قال أنا لم أقو لشيطان واحد فكيف أقوى لشيطانين قال وكان أبو الحسن العسقلاني الاسود من الاولياء يسمع ويوله عند السماع وصنف فيه كتابا ورد فيه على منكريه وكذلك جماعة منهم صنفوا في الرد على منكريه وحكي عن بعض الشيوخ أنه قال رأيت أبا العباس الخضر عليه السلام فقلت له ماتقول في هذا السماع الذى اختلف فيه أصحابنا فقال هو الصفو الزلال الذى لايثبت عليه الاأقدام العلماء وحكي عن ممشاد الدينوري أنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يارسول الله هل تنكر من هذا السماع شيأ فقال ماأنكر منه شيأ ولكن قل لهم يفتتحون قبله بالقرآن ويختمون بعده بالقرآن * وحكي عن طاهر

ابن بلال الهمداني الوراق وكان من أهل العلم أنه قال كنت معتكفا في جامع جدة على البحر فرأيت يوما طائفة يقولون في جانب منه قولا و يستمعون فأنكرت ذلك بقلبي وقلت في بيت من بيوت الله يقولون الشعر قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة وهو جالس في تلك الناحية والى جنبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه واذا أبو بكر يقول شيأ من القول والنبي صلى الله عليه وسلم يستمع اليه ويضع يده على صدره كالواجد بذلك فقلت في نفسي ما كان ينبغي لي أن أنكر على أولئك الذين كانوا يستمعون وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع وأبو بكر يقول فالتفت الي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا حق بحق أوقال حق من حق أنا أشك فيه وقال الجنيد تنزل الرحمة على هذه الطائفة في ثلاثة مواضع عند الاكل لانهم لا يأكلون الا عن فاقة وعند المذاكرة لانهم لا يتحاورون الا في مقامات الصديقين وعند السماع لانهم يسمعون بوجد ويشهدون حقا وعن ابن جريج أنه كان يرخص في السماع فقيل له أيؤتى به يوم القيامة في جملة حسناتك أو سيئاتك فقال لا في الحسنات ولا في السيئات لانه شبيه باللغو وقال الله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم هذا ما نقل من الاقاويل ومن طلب الحق في التقليد فمهما استقصى تعارضت عنده هذه الاقاويل فيبقى متحيرا أو مائلا الى بعض الاقاويل بالتشهي وكل ذلك قصور بل ينبغي أن يطلب الحق بطريقه وذلك بالبحث عن مدارك الحظر والاباحة

﴿ الباب التاسع والتسعون في النهي عن البدعة واتباع الهوى ﴾

قال صلى الله عليه وسلم اياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار * وقال صلى الله عليه وسلم من أحدث في أمر ديننا هذا ماليس منه فهو رد * وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي فعلم من هذه الاحاديث ان كل ماخالف الكتاب والسنة واجماع الائمة فهو بدعة مردودة * وقال صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة * وقال قتادة رضي الله عنه في قوله تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه الآية اعلموا ان السبيل سبيل واحد جماعة الهدى ومصيره الجنة وان ابليس استبدع سبلا متفرقة جماعها الضلالة ومصيرها الى النار * وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا بيده ثم قال هذا سبيل الله مستقيما ثم خط خطوطا عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال هذه سبل ليس منها سبيل الا عليه شيطان يدعو اليه ثم قرأ هذه الآية * وعن ابن عباس هذه السبل الضلالات وقال ابن عطية هذه السبل تعم اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر أهل الملل وأهل البدع والضلالات من أهل الاهواء والشذوذ في الفروع وغير ذلك من أهل التعمق في الجدل والخوض في الكلام وهذه كلها عرضة للزلل ومظنة لسوء المعتقد * وقال صلى الله عليه وسلم من رغب عن سنتي فليس مني * وقال صلى الله عليه وسلم مامن أمة ابتدعت بعد نبيها في دينها بدعة

الأضاعت مثلها من السنة * وقال صلى الله عليه وسلم ما تحت ظل السماء من إله يعبد أعظم عند الله من هوى يتبع * وقال صلى الله عليه وسلم أما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة انما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى اياكم والمحدثات فان كل محدثة ضلالة * وقال صلى الله عليه وسلم ان الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته * وقال صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله لصاحب بدعة صوما ولا صلاة ولا حجا ولا عمرة ولا جهادا ولا صرفا ولا عدلا يخرج من الاسلام كما تخرج الشعرة من العجين لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك لكل عمل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت فترته الى سنتي فقد اهتدى ومن كانت فترته الى غير ذلك فقد هلك اني أخاف على أمتي من ثلاث من زلة عالم وهوى متبع وحكم جائر * رواه الترمذي وحسنه في مواضع وصححه في أخرى والشرة بكسر الشين وفتح الراء مشددة النشاط والهمة

﴿ فصل في النهي عن آلة اللهو ﴾ روى البخاري أنه صلى الله عليه وسلم قال من قال لصاحبه تعال أقامرك فليتصدق * وروى مسلم وأبو داود وابن ماجه من لعب بنرد أو نردشير فكأنما غمس يده في لحم خنزير ودمه * وروى أحمد وغيره انه صلى الله عليه وسلم قال مثل الذي يلعب بالنرد ثم يقوم يصلي مثل الذي يتوضأ بالقيح ودم الخنزير ثم يقوم فيصلي أي فلا تقبل له صلاة كما في حديث رواية أخرى * وأخرج البيهقي عن

يحي بن كثير قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم يلعبون بالنرد فقال قلوب لاهية وأيد عاملة وألسنة لاغية * وأخرج الديلمي انه صلى الله عليه وسلم قال اذا مررتم بهؤلاء الذين يلعبون بهذه الازلام والشطرنج والنرد وما كان من هذه أي وماشابه ذلك من كل لهو محرم فلا تسلموا عليهم وان سلموا عليكم فلا تردوا عليهم * وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث من الميسر القمار والضرب بالكعاب والصفير بالحمام ومر علي رضى الله عنه بقوم يلعبون الشطرنج فقال ماهذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون لان يمس أحدكم جمرا حتى يطفأ خيرله من أن يمسها ثم قال والله لغير هذا خلقتم * وقال أيضا رضى الله عنه صاحب الشطرنج أكثر الناس كذبا يقول أحدهم قتلت وماقتل ومات وما مات * وقال أبو موسى الاشعري رضى الله عنه لايلعب بالشطرنج الاخاطئ واعلم ان الملاهي اما حرام كعود وطنبور ومعزفة وطبل ومزمار ومالهى بصوت مطرب اذا انفرد أومكروه وهو مايزيد به الغناء طربا ولم يطرب منفردا كالصنج والقصب فيكره مع الغناء لاوحده أومباح وهو ماخرج عن آلة الطرب الي انذار كالبوق وطبل الحرب أولجمعة واعلان كالدف في النكاح

﴿ الباب المتمم للمائة في فضائل رجب ﴾

رجب مشتق من الترجيب وهو التعظيم ويقال له الاصب لان الرحمة تصب فيه على التائبين وتفيض أنوار القبول على العاملين ويقال له الاصم لانه لم يسمع فيه حس قتال * وقيل رجب اسم نهر في الجنة ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج لايشرب منه الا

من صام شهر رجب * قال صلى الله عليه وسلم رجب شهر الله وشعبان شهري ورمضان شهر أمتي وقال أهل الاشارة رجب ثلاثة أحرف راء وجيم وباء فالراء رحمة الله والجيم جرم العبد وجنايته والباء بر الله كان الله تعالى يقول أجعل جرم عبدي بين رحمتي وبري * وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام السابع والعشرين من رجب كتب له صيام ستين شهرا وهو أول يوم نزل فيه جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة وفيه أسري به صلى الله عليه وسلم * وقال صلى الله عليه وسلم الا ان رجبا شهر الله الاصم فمن صام من رجب يوما ايمانا واحتسابا استوجب رضوان الله الاكبر قيل زين الله الشهور بأربعة ذي القعدة وذي الحجة والمحرم ورجب فذلك قوله تعالى منها أربعة حرم فالاشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد وهو شهر رجب * وحكي ان امرأة في بيت المقدس كانت تقرأ كل يوم من رجب قل هو الله أحد اثني عشرة ألف مرة وكانت تلبس الصوف في شهر رجب فمرضت وأوصت ابنها أن يدفن معها صوفها فلما ماتت كفنها في ثياب مرتفعة فرآها في منامه تقول له أنا عنك غير راضية لانك لم تعمل بوصيتي فانتبه فزعا وأخذ صوفها ليدفنه معها فنبش قبرها فلم يجدها فيه فتحير فسمع نداء أما علمت أن من أطاعنا في رجب لا نتركه فردا وحيدا وروي اذا كان ثلث الليل من أول جمعة من رجب لا يبقى ملك الا ويستغفر لصوام رجب وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام ثلاثة أيام من شهر حرام كتب له ثواب عبادة تسعمائة سنة قال

أنس رضي الله عنه صمت اذناي ان لم أكن سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم (اللطيفة) الاشهر الحرم أربعة وخيار الملائكة أربعة وأفضل الكتب المنزلة أربعة وأعضاء الوضوء أربعة وأفضل التسبيح كلمات أربعة سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وعقود الحساب أربعة آحاد وعشرات ومئات وألوف والاوقات أربعة الساعة واليوم والشهر والسنة وفصول السنة أربعة ربيع وصيف وخريف وشتاء والطبائع أربعة حرارة وبرودة ويبوسة ورطوبة وسلطان البدن أربعة صفراء وسوداء ودم وبلغم والخلفاء الراشدون أربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم أجمعين (روى الديلمي) عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يسح الله الخير في أربع ليال سحا ليلة الاضحى وليلة الفطر وليلة النصف من شعبان وأول ليلة من رجب وروى الديلمي أيضا بسنده عن أبي امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس ليال لا ترد فيها دعوة أول ليلة من رجب وليلة النصف من شعبان وليلة الجمعة وليلتا العيدين

﴿ الباب الحادي بعد المائة في فضل شعبان المبارك ﴾

سمي شعبان لانه يتشعب منه خير كثير مشتق من الشعب بكسر الشين وهو طريق الجبل فهو طريق الخير روي عن أبي امامة الباهلي رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا دخل شعبان فطهروا أنفسكم وأحسنوا نيتكم فيه وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وكان

أكثر صيامه في شعبان وفي النسائي من حديث أسامة رضي الله عنه قلت يارسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهور ماتصوم من شعبان قال ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الاعمال لرب العالمين فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم * وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط الا رمضان ومارأيته في شهر أكثر منه صياما من شعبان وفي رواية كان يصوم شعبان كله ولمسلم كان يصوم شعبان الا قليلا فهذه الرواية مفسرة للاولى فالمراد بكله أغلبه وقيل ان للملائكة في السماء ليلتي عيد كما أن للمسلمين في الارض يومي عيد فعيد الملائكة ليلة البراءة وهي ليلة النصف من شعبان وليلة القدر وعيد المؤمنين يوم الفطر ويوم الاضحى فلهذا سميت ليلة نصف شعبان ليلة عيد الملائكة وذكر السبكي في تفسيره أنها تكفر ذنوب السنة وليلة الجمعة تكفر ذنوب الاسبوع وليلة القدر تكفر ذنوب العمر أي احياء هذه الليالي سبب لتكفير الذنوب وتسمى ليلة التكفير أيضا لذلك وليلة الحياة لما روي المنذري مرفوعا من أحيا ليلتي العيد وليلة نصف شعبان لم يمت قلبه يوم تموت القلوب وتسمى ليلة الشفاعة لما روى أنه صلى الله عليه وسلم سأل الله تعالى ليلة الثالث عشر الشفاعة في أمته فأعطاه الثلث وسأله ليلة الثالث عشر فأعطاه الثلثين وسأله ليلة الخامس عشر فأعطاه الجميع الا من شرد على الله شراد البعير يعني من فر من الله وتباعد عنه بالاصرار على المعصية وتسمى ليلة المغفرة أيضا لما روى الامام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله ليطلع ليلة النصف من شعبان الى عباده فيغفر لاهل

الارض الا رجلين مشرك أو مشاحن وتسمى ليلة العتق لما روى ابن اسحق عن أنس بن مالك قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى منزل عائشة رضى الله عنها في حاجة فقلت لها أسرعي فاني تركت النبي صلى الله عليه وسلم يحدثهم عن ليلة النصف من شعبان فقالت يا أنيس اجلس حتى أحدثك بحديث ليلة النصف من شعبان تلك الليلة كانت ليلتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء ودخل معي في لحافي فانتبهت من الليل فلم أجده فقلت لعله ذهب الى جاريته القبطية فخرجت فمررت في المسجد فوقعت رجلي عليه وهو يقول سجد لك سوادي وخيالي وآمن بك فؤادي وهذه يدي وما جنيت بها على نفسي يا عظيما يرجى لكل عظيم اغفر الذنب العظيم سجد وجهي للذى خلقه وصوره وشق سمعه وبصره ثم رفع رأسه فقال اللهم ارزقني قلبا تقيا نقيا من الشرك بريا لا كافرا ولا شقيا ثم عاد ساجدا فسمعته يقول أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك وبك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك أقول كما قال أخي داود أعفر وجهي في التراب لسيدي وحق لوجه سيدي أن يعفر ثم رفع رأسه فقلت بأبي أنت وأمي أنت في واد وأنا في واد فقال يا حميراء أما تعلمين ان هذه الليلة ليلة النصف من شعبان ان لله عز وجل في هذه الليلة عتقاء من النار بعدد شعر غنم كلب الاستة نفر لا مدمن خمر ولا عاق والديه ولا مصر على زنا ولا مصارم ولا مضرب ولا قتات وفي رواية مصور بدل مضرب وتسمى ليلة القسمة والتقدير لما روى عطاء بن يسار اذا كانت ليلة النصف من شعبان نسخ لملك الموت كل من يموت من شعبان الى شعبان وان العبد ليغرس الغرس وينكح الازواج ويبني البنيان وان اسمه قد نسخ

في الموتي وما ينتظر به ملك الموت الا أن يؤمر به فيقبضه

﴿ الباب الثاني بعد المائة في فضل رمضان المعظم ﴾

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم عن سعيد بن جبير رضي الله عنه كان صوم من قبلنا من العتمة الى الليلة القابلة كما كان في ابتداء الاسلام وقال جماعة من أهل العلم كان واجبا على النصاري ان يصوموا رمضان وربما كان يقع في الحر الشديد والبرد الشديد وكان يشق عليهم في أسفارهم و يضر معايشهم فاجتمع رأي كبرائهم على أن يجعلوا صيامهم في فصل من السنة بين الشتاء والصيف فجعلوه في الربيع وزادوا فيه عشرة أيام كفارة لما صنعوا ثم ان ملكا لهم اشتكى فجعل لله عليه ان برئ من وجعه أن يزيد في صومهم أسبوعا فبرئ فزاد فيه أسبوعا فلما مات ذلك و وليهم ملك آخر فقال أتموه خمسين يوما ثم أصابهم موتان وهو موت البهائم فقال زيدوا صيامكم فزادوا عشرا قبل وعشرا بعد وقيل ما من أمة الا وفرض عليهم صيام رمضان الا أنهم ضلوا عنه قال البغوي والصحيح أن رمضان اسم للشهر من الرمضاء وهي الحجارة المحماة لانهم كانوا يصومون في الحر الشديد لان العرب لما أرادت أن تضع أسماء الشهور وافق أن الشهر المذكور كان في شدة الحر وقيل سمى بذلك لانه يرمض الذنوب أى يحرقها وفرض في السنة الثانية من الهجرة وهو معلوم من الدين بالضرورة يكفر جاحد وجوبه وورد في فضله أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان أول ليلة من رمضان فتحت أبواب الجنان كلها فلم يغلق منها باب في الشهر كله

وأمر الله تعالى مناديا ينادي ياطالب الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر ثم يقول هل من مستغفر فيغفر له هل من سائل فيعطي سؤله هل من تائب فيتاب عليه فلم يزل كذلك الى انفجار الصبح ولله كل ليلة عند الفطر ألف ألف عتيق من النار قد استوجبوا العذاب وعن سلمان الفارسى رضي الله عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم من شعبان فقال أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم فيه ليلة القدر خير من ألف شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعا من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدي فريضة فيما سواه ومن أدى فريضة كان كمن أدي سبعين فريضة فيما سواه وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة وهو شهر المواساة وهو شهر يزاد فيه في رزق المؤمن من فطر فيه صائما كان له عتق رقبة ومغفرة لذنوبه قلنا يارسول الله ليس كلنا نجد مايفطر به الصائم قال يعطى الله هذا الثواب من يفطر صائما على مذقة لبن أو شربة ماء أو تمرة ومن أشبع صائما كان له مغفرة لذنوبه وسقاه ربه من حوضى شربة لايظمأ بعدها أبدا وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار ومن خفف عن مملوكه فيه أعتقه الله من النار فاستكثروا فيه من أربع خصال خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتين لاغنى لكم عنهما أما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا اله الا الله وتستغفرونه وأما الخصلتان اللتان لاغنى لكم عنهما تسألون ربكم الجنة وتعوذون به من النار ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان ايمانا واحتسابا

غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر وقوله صلى الله عليه وسلم كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لي وأنا أجزي به وناهيك بعبادة أضافها البارئ تبارك وتعالى لنفسه ومنها قوله صلى الله عليه وسلم أعطيت أمتي خمس خصال في شهر رمضان لم تعطهن أمة قبلها خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا وتصفد فيه مردة الشياطين ويزين الله تعالى كل يوم الجنة ويقول يوشك عبادي الصالحون أن يكشف عنهم السوء والاذى ويغفر لهم في آخر ليلة منه قيل يارسول الله أهي ليلة القدر قال لا ولكن العامل يوفي أجره اذا قضى عمله

﴿ الباب الثالث بعد المائة في فضل ليلة القدر ﴾

روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني اسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر فعجب رسول الله صلي الله عليه وسلم لذلك وتمني ذلك لامته فقال يارب جعلت أمتي أقصر الامم أعمارا وأقلها أعمالا فأعطاه الله تعالي ليلة القدر خيرا من الف شهر مدة حمل الاسرائيلي السلاح في سبيل الله له ولامته الي يوم القيامة فهي من خصائص هذه الامة ويقال اسم ذلك الرجل شمعون غزا العدو الف شهر لم يجف لبد فرسه وقهر الكفار لما أعطي من القوة والجسارة فضاقت قلوبهم منه فبعثوا رسولا الي امرأته وضمنوا لها طستا من ذهب مملوأ ذهبا ان هي قيدته حتى يحبسوه في بيت لهم ويستريحوا منه فلما نام بالليل أوثقته بحبل من ليف فلما انتبه حرك أعضاءه فقطع الحبل قطعا وسألها لم صنعت ذلك

فقالت أجرب قوتك فلما أخبر الكفار بذلك بعثوا لها سلسلة ففعلت مثل
مافعلت فقطعها فجاء ابليس الى الكفار وأرشدهم الى أن تسأل المرأة
زوجها أي شيء لا تقوى على فكه وقطعه فأرسلوا اليها فسألته فقال
ذوائبي وكان له ثمانية ذوائب طويلة تجر على الارض فلما نام قيدت
رجليه بأربعة ويديه بأربعة فجاء الكفار وأخذوه وذهبوا به الى بيت
مذبحهم مقدار أربعمائة ذراع علوه وبه اتساعه له عمود واحد فقطعوا
أذنيه وشفتيه وكانوا كلهم مجتمعين لديه فسأل الله تعالى أن يقويه على
فك وثاقه وعلى أن يحرك العمود ويهدمه عليهم مع نجاته منهم فقواه الله
فتحرك فانفك وثاقه وحرك العمود فوقع عليهم السقف فأهلكهم الله
جميعا ونجا منهم فلما سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك
الخبر وقالوا يارسول الله هل ندرك نحن ثوابه فقال لا أدري ثم سأل
ربه فأعطاه كما تقدم ليلة القدر وعن أنس رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان ليلة القدر نزل جبريل عليه السلام
في كبكبة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم أو قاعد
يذكر الله تعالي قال أبو هريرة رضي الله عنه الملائكة تنزل ليلة
القدر في الارض أكثر من عدد الحصى فتفتح أبواب السماء للتنزل
كما ورد فتسطع الانوار ويحصل تجل عظيم وينكشف فيها الملكوت
والناس في ذلك متفاوتون فمنهم من يكشف له عن ملكوت السموات
والارض فتكشف له الحجب عن السموات فيشاهد فيها الملائكة
على صورها مابين قائم وقاعد وراكع وساجد وذاكر وشاكر ومسبح

ومهال ومنهم من يكشف له عن الجنة بما فيها من دورها وقصورها وحورها وأنهارها وأشجارها وأثمارها ويشاهد عرش الرحمن وهو سقفها ويشاهد منازل الانبياء والاولياء والشهداء والصديقين ويهيم في هذا الملكوت ويتنزه في ذلك الرحموت ويشاهد جهنم ويشاهد دركاتها ومنازل الكفار الى غير ذلك ومنهم من تنكشف حجبه عن جمال الله فلا يشهد الا اياه وعن عمر عنه عليه الصلاة والسلام من أحيا ليلة سبع وعشرين من شهر رمضان الى الصبح فهو أحب الي من قيام ليالي شهر رمضان كلها فقالت فاطمة يا أبت ماتصنع الضعفاء من الرجال والنساء ممن لايقدرون على القيام قال لايضعون الوسائد فيتكؤن عليها ويقعدون ساعة من ساعات تلك الليلة ويدعون الله عز وجل الا كان ذلك أحب الي من قيام أمتي جميعا شهر رمضان وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحيا ليلة القدر وصلى فيها ركعتين واستغفر فيها غفر الله له وخاض في رحمة الله ومسحه جبريل بجناحه ومن مسحه جبريل بجناحه دخل الجنة

﴿ الباب الرابع بعد المائة في فضل العيد ﴾

سمي هذا اليوم الذي هو أول شوال واليوم الذي هو العاشر من ذي الحجة عيدا لان المؤمنين عادوا فيهما من طاعة الله تعالى التي هي أداء فريضتي صيام رمضان والحج الى طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم التي هي صيام ست من شوال والتأهب لزيارته صلى الله عليه وسلم ولتكرر ذلك كل عام ولكثرة عوائد الله تعالى فيه بالاحسان ولعود السرور بعوده وأول

عيد صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم عيد الفطر في السنة الثانية من الهجرة ولم يتركها فهي سنة مؤكدة * وعن أبي هريرة رضى الله عنه زينوا أعيادكم بالتكبير * وقال صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله وبحمده يوم العيد ثلثمائة مرة وأهداها لاموات المسلمين دخل في كل قبر ألف نور ويجعل الله تعالى في قبره اذا مات ألف نور * وعن وهب بن منبه رضى الله عنه أن ابليس يرن في كل عيد فتجتمع اليه الابالسة فيقولون ياسيدنا م غضبك فيقول ان الله تعالى قد غفر لامة محمد صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم فعليكم أن تشغلوهم باللذات والشهوات * وعن وهب أيضا ان الله تعالى خلق الجنة يوم عيد الفطر وغرس شجرة طوبى يوم عيد الفطر واصطفى جبريل للوحى يوم عيد الفطر وتاب على سحرة فرعون يوم عيد الفطر * وقال النبي صلى الله عليه وسلم من قام ليلة العيد محتسبا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب ﴿ حكى ﴾ أن عمر رأى ولدا له يوم عيد وعليه قميص خلق فبكى فقال مايبكيك فقال له يابني أخشى أن ينكسر قلبك في يوم العيد اذا رآك الصبيان بهذا القميص الخلق فقال انما ينكسر قلب من أعدمه الله رضاه أو عق أمه وأباه واني لارجو أن يكون الله راضيا عني برضاك فبكى عمر وضمه اليه ودعا له رضى الله عنهما وما أحسن قول القائل

قالوا غدا العيد ماذا أنت لابسه * قلت خلعة ساق عبده الجرعا
فقر وصبر ثوبان بينهما * قلب يرى ربه الاعياد والجمعا
العيد لى مأتم ان غبت ياأملى * والعيد ان كنت لي مرأى ومستمعا

وورد اذا كان غداة عيد الفطر بعث الله الملائكة فيهبطون الى الارض ويقومون على أفواه السكك فينادون بصوت يسمعه جميع خلق الله الا الجن والانس يقولون ياأمة محمد اخرجوا الى رب كريم يعطي العطاء الجزيل ويغفر الذنب العظيم فاذا برزوا الى مصلاهم قال الله للملائكة ماجزاء الاجير اذا عمل فيقولون جزاؤه أن يوفي أجره فيقول سبحانه أشهدكم أني قد جعلت ثوابهم رضائي ومغفرتي

﴿ الباب الخامس بعد المائة في فضل عشر ذي الحجة ﴾

روى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مامن أيام العمل فيها أحب الى الله من هذه الايام يعني أيام العشر قالوا ولا الجهاد في سبيل الله تعالى قال ولا الجهاد في سبيل الله الا رجل خرج بنفسه وماله لم يرجع من ذلك بشيء * وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن أيام أحب الى الله وأفضل من أيام العشر قيل ولا مثلهن في سبيل الله قال ولا مثلهن في سبيل الله الا رجل عقر جواده وعفر وجهه في سبيل الله * وعن عائشة رضي الله عنها أن شابا كان صاحب سماع وكان اذا أهل هلال ذي الحجة أصبح صائما فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه فقال مايحملك على صيام هذه الايام قال بأبي أنت وأمي يارسول الله انها أيام المشاعر وأيام الحج عسى الله أن يشركني في دعائهم قال فان لك بكل يوم تصومه عدل مائة رقبة ومائة بدنة ومائة فرس يحمل عليها في سبيل الله فاذا كان يوم التروية فلك فيها عدل ألف رقبة وألف بدنة وألف فرس تحمل عليها في سبيل الله فاذا كان يوم عرفة فلك فيها

عدل ألفي رقبة وألفي بدنة وألفي فرس تحمل عليها في سبيل الله تعالى
وقال صلى الله عليه وسلم يعدل صوم يوم عرفة بصوم سنتين و يعدل صوم
عاشوراء بصوم سنة وقال أهل التفسير في قوله تعالى وواعدنا موسى
ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر الآية انها العشر الاول من ذي الحجة * وعن
ابن مسعود رضي الله عنه ان الله اختار من الايام أربعة ومن الشهور أربعة
ومن النساء أربعة وأربعة يسبقون الى الجنة وأربعة اشتاقت اليهم الجنة
أما الايام فأولها يوم الجمعة فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى
شيأ من أمر الدنيا والآخرة الا أعطاه الله اياه وثانيها يوم عرفة فاذا كان
يوم عرفة يباهي الله تعالى ملائكته فيقول يا ملائكتي انظروا الى عبادي
جاؤا شعثا غبرا قد أنفقوا الاموال وأتعبوا الابدان اشهدوا انى غفرت
لهم وثالثها يوم النحر فاذا كان يوم النحر وقرب العبد قربانه فأول
قطرة قطرت من القربان تكون كفارة لكل ذنب عمله العبد ورابعها
يوم الفطر فاذا صاموا شهر رمضان وخرجوا الى عيدهم يقول الله
تبارك وتعالى للملائكته ان كل عامل يطلب أجره وعبادي صاموا شهرهم
وخرجوا من عيدهم يطلبون أجرهم أشهدكم اني قد غفرت لهم
وينادي المنادى يا أمة محمد ارجعوا فقد بدلت سيآتكم حسنات وأما
الشهور فرجب الفرد وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وأما النساء فمريم
بنت عمران وخديجة بنت خويلد سابقة نساء العالمين الى الايمان بالله
ورسوله وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وفاطمة بنت محمد سيدة
نساء أهل الجنة وأما السابقون فلكل قوم سابق فسيدنا محمد صلى الله

عليه وسلم سابق العرب وسلمان سابق الفرس وصهيب سابق الروم وبلال سابق الحبشة وأما الاربعة الذين اشتاقت لهم الجنة فعلي بن أبي طالب وسلمان الفارسي وعمار بن ياسر والمقداد بن الاسود وعنه صلى الله عليه وسلم من صام يوم التروية أعطاه الله ثواب صبر أيوب عليه السلام على بلائه ومن صام يوم عرفة أعطاه الله ثوابا مثل ثواب عيسى عليه السلام وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم عرفة انشر الله رحمته فليس من يوم أكثر عتقا منه ومن سأل الله تعالى في يوم عرفة حاجة من حوائج الدنيا والآخرة قضاها له وصوم يوم عرفة يكفر سنة ماضية وسنة مستقبلة والحكمة في ذلك والله أعلم أنه بين عيدين وهما يوما سرور للمؤمنين ولا سرور أعظم من غفران ذنوبهم ويوم عاشوراء بعد العيدين فهو كفارة سنة واحدة ولانه لموسى عليه السلام ويوم عرفة لنبينا صلى الله عليه وسلم وكرامته تتضاعف على غيره صلى الله عليه وسلم

﴿ الباب السادس بعد المائة في فضل عاشوراء ﴾

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم عن ذلك فقالوا إن هذا اليوم أظهر الله فيه موسى وبني اسرائيل على قوم فرعون فنحن نصومه تعظيما له فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحن أولى بموسى منكم فأمر بصومه وقد ورد في فضل يوم عاشوراء آثار كثيرة منها أنه تيب على آدم فيه وكان خلقه فيه وفيه أدخل الجنة وفيه خلق العرش

والكرسي والسموات والارض والشمس والقمر والنجوم والجنة وولد
ابراهيم الخليل فيه وكانت نجاته من النار فيه وكذلك نجاة موسى ومن
معه وأغرق فرعون ومن معه فيه وفيه ولد عيسى وفيه رفع الى السماء
وفيه رفع ادريس مكانا عليا وفيه استوت سفينة نوح على الجودي وأعطي
فيه سليمان الملك العظيم وأخرج يونس من بطن الحوت ورد بصر
يعقوب عليه وأخرج يوسف من الجب وكشف ضر أيوب وأول مطر
نزل من السماء الى الارض كان يوم عاشوراء وكان صومه معروفا بين
الامم حتى قيل بأنه فرض قبل رمضان ثم نسخ به وصامه صلى الله عليه
وسلم قبل الهجرة ولما دخل المدينة أكد طلبه حتى قال صلى الله عليه
وسلم في آخر عمره الشريف لئن عشت الى قابل لاصومن التاسع
والعاشر فانتقل الى الرفيق الاعلى من عامه ولم يصم غير العاشر لكنه
رغب فيه وفي صوم التاسع والحادي عشر بقوله صلى الله عليه وسلم
صوموا قبله يوما و بعده يوما وخالفوا سنة اليهود أي حيث أفردوه
بالصوم وروى البيهقي في شعب الايمان من وسع على عياله وأهله في
يوم عاشوراء وسع الله عليه في سائر سنته وفي رواية منكرة للطبراني
الصدقة فيه بدرهم بسبعمائة ألف درهم وأما حديث من اكتحل
يومه لم يرمد ذلك العام ومن اغتسل فيه لم يمرض فموضوع وقد صرح
الحاكم بأن الاكتحال يومه بدعة وقال ابن القيم حديث الاكتحال
والطبخ الحبوب والادهان والتطييب يوم عاشوراء من وضع الكذابين
(واعلم) ان ما أصيب به الحسين رضي الله تعالى عنه يوم عاشوراء انما

هو الشهادة الدالة على مزيد رفعته ودرجته عند الله والحاقه بدرجات أهل بيته الطاهرين فمن ذكر ذلك اليوم مصابه فلا ينبغي أن يشتغل الا بالاسترجاع امتثالا للامر واحرازا لما رتبه تعالى عليه بقوله أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون واياه ثم اياه ان يشتغل ببدع الرافضة ونحوهم من الندب والنياحة والحزن اذ ليس ذلك من أخلاق المؤمنين والا لكان يوم وفاة جده صلى الله عليه وسلم أولى بذلك وأحري وحسبنا الله تعالي وحده ونعم الوكيل

﴿ الباب السابع بعد المائة في فضل ضيافة الفقراء ﴾

قال صلي الله عليه وسلم لا تكلفوا للضيف فتبغضوه فانه من أبغض الضيف فقد أبغض الله ومن أبغض الله أبغضه الله وقال صلى الله عليه وسلم لاخير فيمن لايضيف ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل له ابل وبقر كثيرة فلم يضيفه ومر بامرأة لها شويهات فذبحت له فقال صلي الله عليه وسلم انظروا اليهما انما هذه الاخلاق بيد الله فمن شاء أن يمنحه خلقا حسنا فعل وقال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نزل به صلى الله عليه وسلم ضيف فقال قل لفلان اليهودي نزل بي ضيف فأسلفني شيأ من الدقيق الي رجب فقال اليهودى والله لاأسلفه الا برهن فأخبرته فقال والله انى لامين في السماء أمين في الارض ولوأسلفني لاديته فاذهب بدرعي وارهنه عنده وكان ابراهيم الخليل صلوات الله عليه وسلامه اذا أراد أن يأكل خرج ميلا أو ميلين يلتمس من يتغدى معه وكان يكنى أبا الضيفان ولصدق نيته فيه دامت ضيافته في

مشهده الى يومنا هذا فلا تنقضي ليلة الا و يأكل عنده جماعة من بين ثلاثة الى عشرة الى مائة وقال قوام الموضع انه لم يخل ليلة عن ضيف وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الايمان فقال اطعام الطعام وبذل السلام وقال صلى الله عليه وسلم في الكفارات والدرجات اطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام وسئل عن الحج المبرور فقال اطعام الطعام وطيب الكلام وقال أنس رضي الله عنه كل بيت لايدخله ضيف لاتدخله الملائكة والاخبار الواردة في فضل الضيافة والاطعام لاتحصى وما أحسن قول القائل

لم لاأحب الضيف أو * أرتاح من طرب اليه
والضيف يأكل رزقه * عندي ويشكرني عليه

ومن كلام الحكماء لاتتم الصنيعة الا بطلاقة الوجه وحسن الحديث ولطف اللقاء وقال آخر

أضاحك ضيفي قبل انزال رحله * ويخصب عندي والمحل جديب
وما الخصب للاضياف في كثرة القرى * ولكنما وجه الكريم خصيب

فينبغي للداعي أن يعمد بدعوته الاتقياء دون الفساق قال صلى الله عليه وسلم أكل طعامك الابرار في دعائه لبعض من دعا له وقال صلى الله عليه وسلم لاتأكل الا طعام تقي ولا يأكل طعامك الا تقي ويقصد الفقراء دون الاغنياء على الخصوص قال صلى الله عليه وسلم شر الطعام طعام الوليمة يدعى اليها الاغنياء دون الفقراء وينبغي أن لايهمل أقاربه في ضيافته فان اهمالهم ايحاش وقطع رحم وكذلك يراعي الترتيب في

أصدقائه ومعارفه فان في تخصيص البعض ايحاشا لقلوب الباقين وينبغي أن لا يقصد بدعوته المباهاة والتفاخر بل استمالة قلوب الاخوان والتسنن بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في اطعام الطعام وادخال السرور على قلوب المؤمنين وينبغي أن لا يدعو من يعلم أنه يشق عليه الاجابة واذا حضر تأذى بالحاضرين بسبب من الاسباب وينبغي أن لا يدعوا الا من يحب اجابته قال سفيان من دعا أحدا الى طعام وهو يكره الاجابة فعليه خطيئة فان أجاب المدعو فعليه خطيئتان لانه حمله على الاكل مع كراهة ولو علم ذلك لما كان يأكله واطعام التقي اعانة على الطاعة واطعام الفاسق تقوية على الفسق وقال رجل خياط لابن المبارك أنا أخيط ثياب السلاطين فهل تخاف أن أكون من أعوان الظلمة قال لا انما أعوان الظلمة من يبيع منك الخيط والابرة أما أنت فمن الظلمة نفسهم وأما الاجابة فهي سنة مؤكدة وقد قيل بوجوبها في بعض المواضع قال صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى كراع لاجبت ولو أهدي الي ذراع لقبلت وللاجابة خمسة آداب مذكورة في احياء علوم الدين وغيره

﴿ الباب الثامن بعد المائة في الكلام على الجنازة والقبر ﴾

اعلم أن الجنائز عبرة للبصير وفيها تنبيه له وتذكير لا لأهل الغفلة فانها لا تزيدهم مشاهدتها الا قساوة لانهم يظنون انهم أبدا الى جنازة غيرهم ينظرون ولا يحسبون أنهم لا محالة على الجنائز يحملون أو يحسبون ذلك ولكنهم على القرب لا يقدرون ولا يتفكرون ان المحمولين على

الجنائز هكذا كانوا يحسبون فبطل حسبانهم والفرض على القرب زمانهم
فلا ينظر عبد الى جنازة الا ويقدر نفسه محمولا عليها فانه محمول
عليها على القرب وكأن قد ولعله في غد أو بعد غد ويروى عن أبي
هريرة رضى الله عنه كان اذا رأى جنازة قال امضوا فانا على الاثر
وكان مكحول الدمشقي اذا رأى جنازة قال اغدوا فانا رائحون موعظة
بليغة وغفلة سريعة يذهب الاول والآخر لاعقل له وقال أسيد بن
حضير ماشهدت جنازة فحدثتني نفسي بشئ سوى ماهو مفعول به وما
هو صائر اليه ولما مات أخو مالك بن دينار خرج مالك في جنازته يبكي
ويقول والله لاتقر عيني حتى أعلم الى ماذا صرت اليه ولاأعلم مادمت حيا
*وقال الاعمش كنا نشهد الجنائز فلاندرى من نعزى لحزن الجميع
*وقال ثابت البناني كنا نشهد الجنائز فلانرى الامتقنعا باكيا فهكذا
كان خوفهم من الموت والآن لاننظر الى جماعة يحضرون جنازة الا
وأكثرهم يضحكون ويلهون ولايتكلمون الافي ميراثه وماخلفه لورثته
ولايتفكر أقرانه وأقاربه الافي الحيلة التي بها يتناول بعض ماخلفه ولا
يتفكر واحد منهم الا ماشاء الله في جنازة نفسه وفي حاله اذا حمل عليها
ولاسبب لهذه الغفلة الا قسوة القلوب بكثرة المعاصي والذنوب حتى
نسينا الله تعالى واليوم الآخر والاهوال التي بين أيدينا فصرنا نلهو
ونغفل ونشتغل بما لايعنينا فنسأل الله تعالى اليقظة من هذه الغفلة فان
أحسن أحوال الحاضرين على الجنائز بكاؤهم على الميت ولو عقلوا
لبكوا على أنفسهم لاعلى الميت * نظر ابراهيم الزيات الى أناس يترحمون

على الميت فقال لو ترحمون على أنفسكم لكان خيرا لكم انه نجا من أهوال ثلاثة وجه ملك الموت وقد رأي ومرارة الموت وقد ذاق وخوف الخاتمة وقد أمن * وقال أبو عمرو بن العلاء جلست الي جرير وهو يملي على كاتبه شعرا فاطلعت جنازة فأمسك وقال شيبتني والله هذه الجنائز وأنشأ يقول

تروعنا الجنائز مقبلات * ونلهو حين تذهب مدبرات
كروعة ثلة لمغار ذئب * فلما غاب عادت راتعات

فمن آداب حضور الجنائز التفكر والتنبه والاستعداد والمشي أمامها على هيئة التواضع كما ذكرت آدابه وسننه في فن الفقه ومن آدابه حسن الظن بالميت وان كان فاسقا واساءة الظن بالنفس وان كان ظاهرها الصلاح فان الخاتمة خطرة لا تدري حقيقتها ولذلك روي عن عمر بن ذر أنه مات واحد من جيرانه وكان مسرفا على نفسه فتجافي كثير من الناس عن جنازته فحضرها هو وصلى عليها فلما دلي في قبره وقف على قبره وقال يرحمك الله يا أبا فلان فلقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود وان قالوا مذنب وذو خطايا فمن منا غير مذنب وغير ذي خطايا * ويحكي أن رجلا من المنهمكين في الفساد مات في بعض نواحي البصرة فلم تجد امرأته من يعينها على حمل جنازته اذ لم يدر بها أحد من جيرانه لكثرة فسقه فاستأجرت حمالين وحملتها الى المصلى فما صلى عليه أحد فحملتها الي الصحراء للدفن فكان على جبل قريب من الموضع زاهد من الزهاد الكبار فرأته كالمنتظر للجنازة ثم قصد أن يصلي عليها

فانتشر الخبر في البلد بأن الزاهد نزل ليصلى على فلان فخرج أهل البلد فصلى الزاهد وصلوا عليه وتعجب الناس من صلاة الزاهد عليه فقال قيل لي في المنام انزل الى موضع كذا ترى فيه جنازة ليس معها أحد الا امرأة فصل عليه فانه مغفور له فزاد تعجب الناس فاستدعي الزاهد امرأته وسألها عن حاله وانه كيف كانت سيرته قالت كما عرف كان طول نهاره في الماخور مشغولا بشرب الخمر فقال الناوى هل تعرفين منه شيأ من أعمال الخير قالت نعم ثلاثة أشياء كان اذا أفاق من سكره وقت الصبح يبدل ثيابه ويتوضأ ويصلى الصبح في جماعة ثم يعود الى الماخور ويشتغل بالفسق والثانى انه كان أبدا لايخلو بيته من يتيم أو يتيمين وكان احسانه اليهم أكثر من احسانه الى أولاده وكان شديد التفقد لهم والثالث انه كان يفيق في أثناء سكره في ظلام الليل فيبكى ويقول يارب أي زاوية من زوايا جهنم تريد أن تملاها بهذا الخبيث يعني نفسه فانصرف الزاهد وقد ارتفع اشكاله من أمره قال الضحاك قال رجل يارسول الله من أزهد الناس قال من لم ينس القبر والبلى وترك فضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على مايفنى ولم يعد غدا من أيامه وعد نفسه من أهل القبور *وقيل لعلي كرم الله وجهه ماشأنك جاورت المقبرة قال اني أجدهم خير جيران انى أجدهم جيران صدق يكفون الالسنة ويذكرون الآخرة * وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه اذا وقف على قبر بكي حتى يبل لحيته فسئل عن ذلك وقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكى وتبكى اذا وقفت على قبر فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان القبر أول منازل

الآخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه وان لم ينج منه فما بعده أشد وقيل ان عمرو بن العاص نظر الى المقبرة فنزل وصلى ركعتين فقيل له هذا شئ لم تكن تصنعه فقال ذكرت أهل القبور وما حيل بينهم وبينه فأحببت أن أتقرب الى الله بهما * وقال مجاهد أول ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول أنا بيت الدود و بيت الوحدة و بيت الغربة و بيت الظلمة هذا ما أعددت لك فما أعددت لي * وقال أبو ذر ألا أخبركم بيوم فقري يوم أوضع في قبري

﴿ الباب التاسع بعد المائة في التخويف من عذاب جهنم ﴾

أخرج البخاري كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وأبو يعلى أنه صلى الله عليه وسلم خطب فقال لا تنسوا العظيمتين الجنة والنار ثم بكي حتى جري أو بل دموعه جانبي لحيته ثم قال والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم من أمر الآخرة لمشيتم على الصعيد ولحثيتم على رؤسكم التراب * والطبراني في الاوسط جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم في حين غير حينه الذي كان يأتيه فيه فقام اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياجبريل مالي أراك متغير اللون فقال ما جئتك حتى أمر الله عز وجل بمنافخ النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياجبريل صف لي النار أو انعت لي جهنم فقال جبريل ان الله تبارك وتعالى أمر بجهنم فأوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يضيء

شربها ولا يطفأ لهبها والذي بعثك بالحق نبيا لوأن قدر ثقب ابرة
فتح من جهنم لمات من في الارض كلهم جميعا من حره والذي بعثك بالحق
لوأن خازنا من خزنة جهنم برز الى أهل الدنيا لمات من في الارض كلهم
جميعا من قبح وجهه ومن نتن ريحه والذي بعثك بالحق لوأن حلقة من
حلق سلسلة أهل النار التي نعت الله في كتابه وضعت على جبال الدنيا
لارفضت وماتقارت حتى تنتهي الى الارض السفلى فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم حسبي ياجبريل لايتصدع قلبي فأموت قال فنظر رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى جبريل وهو يبكي فقال تبكي ياجبريل وأنت
من الله بالمكان الذي أنت به فقال ومالي لاأبكي وأنا أحق بالبكاء لعلى
أكون في علم الله على غير الحال التي أنا عليها وماأدري لعلي أبتلى بما ابتلي به
ابليس فقد كان من الملائكة وماأدري لعلي أبتلى بما ابتلي به هاروت وماروت
قال فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل فما زالا يبكيان
حتى نوديا أن ياجبريل ويامحمد ان الله تعالى قد أمنكما أن تعصياه فارتفع
جبريل وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر بقوم من الانصار
يضحكون ويلعبون فقال أتضحكون ووراءكم جهنم فلو تعلمون ماأعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما أسغتم الطعام والشراب ولخرجتم الى
الصعدات تجاورن الى الله عز وجل فنودي يامحمد لاتقنط عبادي انما
بعثتك مبشرا ولم أبعثك معسرا فقال صلى الله عليه وسلم سددوا وقاربوا
وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل مالى لاأرى ميكائيل ضاحكا
قط قال ماضحك ميكائيل منذ خلقت النار وابن ماجه والحاكم وصححه

ان ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم ولولا أنها أطفئت بالماء مرتين لما انتفعتم بها وانها لتدعو الله عز وجل أن لا يعيدها فيها والبيهقي ان عمر رضي الله عنه قرأ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب قال يا كعب أخبرني بتفسيرها فان صدقت صدقتك وان كذبت رددت عليك فقال ان جلد ابن آدم يحرق ويجدد في ساعة أو في يوم ستة آلاف مرة قال صدقت *والبيهقي ان الحسن البصري قال في الآية تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا ومسلم يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار فيصبغ في النار صبغة ثم يقال له يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط هل مر بك نعيم قط فيقول لا والله يارب ويؤتى بأشد الناس بؤسا في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط هل مر بك شدة قط فيقول لا والله يارب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط وروي ابن ماجه يرسل البكاء على أهل النار فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يصير في وجوههم كهيئة الاخدود لو أرسلت فيها السفن لجرت *وأبو يعلى يا أيها الناس ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فان أهل النار يبكون في النار حتى تسيل دموعهم في خدودهم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فيسيل يعني الدم فتقرح العيون

الباب العاشر بعد المائة في الميزان والصراط

أخرج أبو داود عن الحسن عن عائشة انها بكت فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم ما يبكيك قالت ذكرت النار فبكيت فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة فقال صلى الله عليه وسلم أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدا عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه في يمينه أم في شماله أم وراء ظهره وعند الصراط اذا وضع بين ظهراني جهنم حتى يعلم أيجوز أم لا والترمذي عن أنس رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشفع لي يوم القيامة قال أنا فاعل ان شاء الله تعالى قلت فاين أطلبك قال أول ما تطلبني على الصراط قلت فان لم ألقك على الصراط قال فاطلبني عند الميزان قلت فان لم ألقك عند الميزان قال فاطلبني عند الحوض فاني لا أخطيء هذه الثلاثة مواطن * وروى الحاكم يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزنت أو وضعت فيه السموات والارض لوضعت فتقول الملائكة يارب لمن يزن هذا فيقول الله تعالى لمن شئت من خلقي فتقول الملائكة سبحانك ماعبدناك حق عبادتك ويوضع الصراط مثل حد الموسى فتقول الملائكة من يجوز على هذا فيقول من شئت من خلقي فيقولون سبحانك ماعبدناك حق عبادتك وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال يوضع الصراط على سواء جهنم مثل حد السيف المرهف مدحضة مزلة عليه كلاليب من نار يختطف بها فمسك يهوي فيها ومصروع ومنهم من يمر كالبرق فلا ينشب ذلك أن ينجو ثم كالريح فلا ينشب ذلك أن ينجو ثم كجري الفرس ثم كسعي الرجل ثم كرمل الرجل ثم كمشي الرجل ثم يكون آخرهم انسانا رجل قد لوحته النار ولقي

فيها شهرا ثم يدخله الله الجنة بفضله وكرمه ورحمته فيقال له تمن وسل فيقول أي رب أتهزأ مني وأنت رب العزة فيقال له تمن وسل حتى اذا انقطعت به الاماني قال لك ماسألت ومثله معه وروى مسلم عن أم مبشر الانصارية رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة رضي الله عنها لايدخل النار ان شاء الله تعالى أحد من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها قالت بلى يارسول الله فانتهرها فقالت حفصة رضي الله عنها وان منكم الا واردها فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد قال الله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وروي أحمد أن جماعة اختلفوا في الورود فقال بعضهم لايدخلها مؤمن وقال بعضهم يدخلونها جميعا ثم ينجي الله الذين اتقوا فسأل بعضهم جابر بن عبد الله رضي الله عنه فقال تردونها جميعا ثم أهوي باصبعيه الى أذنيه وقال صمتا ان لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول لايبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى أن للنار أو قال لجهنم ضجيجا من بردهم ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا * وروي الحاكم يرد الناس النار ثم يصدرون عنها باعمالهم أولهم كلمح البرق ثم كلمح الريح ثم كحضر الفرس ثم كالراكب في رحله ثم كشد الرحال ثم كمشيه

﴿ الباب الحادي عشر بعد المائة في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ﴾

قال ابن مسعود رضي الله عنه دخلنا على رسول الله صلى الله عليه

وسلم في بيت أمنا عائشة رضى الله عنها حين دنا الفراق فنظر الينا فدمعت عيناه صلى الله عليه وسلم ثم قال مرحبا بكم حيا كم الله آوا كم الله نصركم الله وأوصيكم بتقوى الله وأوصى بكم الله اني لكم منه نذير مبين أن لاتعلوا على الله في بلاده وعباده وقد دنا الاجل والمنقلب الي الله والى سدرة المنتهي والى جنة المأوى والى الكاس الاوفى فاقرؤا على أنفسكم وعلى من دخل في دينكم بعدي مني السلام ورحمة الله وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام عند موته من لامتي بعدي فاوحى الله تعالى الى جبريل أن بشر حبيبي أني لاأخذله فى أمته وبشره بأنه أسرع الناس خروجا من الارض اذا بعثوا وسيدهم اذا جمعوا وأن الجنة محرمة على الامم حتى يدخلها أمته فقال الآن قرت عيني وقالت عائشة رضى الله عنها أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نغسله بسبع قرب من سبعة آبار ففعلنا ذلك فوجد راحة فخرج فصلى بالناس واستغفر لاهل أحد ودعا لهم وأوصى بالانصار فقال أما بعد يامعشر المهاجرين فانكم تزيدون وأصبحت الانصار لاتزيد على هيئتها التى هي عليها اليوم وان الانصار عيبتي التى أويت اليها فأكرموا كريمهم يعني محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم قال ان عبدا خير بين الدنيا وبين ماعند الله فاختار ماعند الله فبكي أبو بكر رضى الله عنه وظن أنه يريد نفسه فقال النبى صلى الله عليه وسلم على رسلك ياأبابكر سدوا هذه الابواب لشوارع فى المسجد الا باب أبي بكر فاني لاأعلم امرأ أفضل عندي في الصحبة من أبي بكر قالت عائشة رضى الله عنها

فقبض صلى الله عليه وسلم في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري وجمع الله بين ريقي وريقه عند الموت فدخل على أخي عبد الرحمن وبيده سواك فجعل ينظر اليه فعرفت أنه يعجبه ذلك فقلت له آخذه لك فأومأ برأسه أي نعم فناولته اياه فأدخله في فيه فاشتد عليه فقلت ألينه لك فأومأ برأسه أي نعم فلينته وكان بين يديه ركوة ماء فجعل يدخل فيها يده ويقول لا اله الا الله ان للموت لسكرات ثم نصب يده يقول الرفيق الأعلى الرفيق الأعلى فقلت اذا والله لا يختارنا وروي سعيد ابن عبد الله عن أبيه قال لما رأت الانصار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يزداد ثقلا أطافوا بالمسجد فدخل العباس رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم فأعلمه بمكانهم واشفاقهم ثم دخل عليه الفضل فأعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه علي رضي الله عنه فأعلمه بمثله فمد يده وقال ها فتناولوه فقال ما تقولون قالوا نقول نخشى أن تموت وتصايح نساؤهم لاجتماع رجالهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فثار رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج متوكئا على علي والفضل والعباس أمامه ورسول الله صلى الله عليه وسلم معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر وثاب الناس اليه فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس انه بلغني أنكم تخافون على الموت كأنه استنكار منكم للموت وما تنكرون من موت نبيكم ألم أنع اليكم وتنعى اليكم أنفسكم هل خلد نبي قبلي فيمن بعث فأخلد فيكم ألا اني لاحق بربي وانكم لاحقون به واني أوصيكم بالمهاجرين الاولين خيرا وأوصى المهاجرين

فيما بينهم فان الله عز وجل قال والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين
آمنوا الى آخرها وان الامور تجري باذن الله فلا يحملنكم استبطاء أمر
على استعجاله فان الله عز وجل لا يعجل لعجلة أحد ومن غالب الله غلبه
ومن خادع الله خدعه فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا
أرحامكم وأوصيكم بالانصار خيرا فانهم الذين تبوؤا الدار والايمان من
قبلكم أن تحسنوا اليهم ألم يشاطروكم الثمار ألم يوسعوا عليكم في الديار
ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة ألا فمن ولي أن يحكم بين رجلين
فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم ألا ولا تستأثروا عليهم ألا واني
فرط لكم وأنتم لاحقون بي ألا وان موعدكم الحوض حوضي أعرض
مما بين بصري الشأم وصنعاء اليمن يصب فيه ميزاب الكوثر ماء أشد
بياضا من اللبن وألين من الزبد وأحلى من الشهد من شرب منه لم يظمأ
أبدا حصباؤه اللؤلؤ وبطحاؤه المسك من حرمه في الموقف غدا حرم الخير
كله ألا فمن أحب أن يرده على غدا فليكفف لسانه ويده الا مما ينبغي
فقال العباس يا نبي الله أوص بقريش فقال انما أوصي بهذا الامر قريشا
والناس تبع لقريش برهم لبرهم وفاجرهم لفاجرهم فاستوصوا آل
قريش بالناس خيرا يا أيها الناس ان الذنوب تغير النعم وتبدل القسم فاذا
بر الناس برهم أئمتهم واذا فجر الناس عقوهم قال الله تعالى وكذلك
نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وروي ابن مسعود رضي الله
عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر رضي الله عنه سل يا أبا بكر
فقال يا رسول الله دنا الاجل فقال قد دنا الاجل وتدلى فقال ليهنك يا نبي

الله ما عند الله فليت شعري عن منقلبنا فقال الى الله والى سدرة المنتهى ثم الى جنة المأوى والفردوس الاعلى والكاس الاوفى والرفيق الاعلى والحظ والعيش المهنا فقال يانبي الله من يلي غسلك قال رجال من أهل بيتي الادنى فالادنى قال ففيم نكفنك قال في ثيابي هذه وفي حلة يمانية وفي بياض مصر فقال كيف الصلاة عليك منا وبكينا وبكى ثم قال مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا اذا غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري ثم اخرجوا عني ساعة فان أول من يصلي على الله عز وجل هو الذي يصلي عليكم وملائكته ثم يأذن للملائكة في الصلاة على فأول من يدخل على من خلق الله ويصلي على جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة ثم الملائكة بأجمعها صلى الله عليهم أجمعين ثم أنتم فادخلوا على أفواجا فصلوا على أفواجا زمرة زمرة وسلموا تسليما ولا تؤذوني بتزكية ولا صيحة ولا رنة وليبدأ منكم الامام وأهل بيتي الادنى فالادنى ثم زمر النساء ثم زمر الصبيان قال فمن يدخلك القبر قال زمر من أهل بيتي الادنى فالادنى مع ملائكة كثيرة لا ترونهم وهم يرونكم قوموا فادوا عني الى من بعدي وقالت عائشة رضى الله عنها فلما كان اليوم الذي مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا منه خفة في أول النهار فتفرق عنه الرجال الى منازلهم وحوائجهم مستبشرين وأخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنساء فبينا نحن على ذلك لم نكن على مثل حالنا في الرجاء والفرح قبل ذلك اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجن عني هذا الملك يستأذن علي فخرج من في البيت غيري ورأسه في حجرى

فجلس وتنحيت في جانب البيت فناجي الملك طويلا ثم انه دعاني فأعاد رأسه
في حجري وقال للنسوة ادخلن فقلت ماهذا الحس جبريل عليه السلام فقال
رسول الله صلي الله عليه وسلم أجل ياعائشة هذا ملك الموت جاءني فقال
ان الله عز وجل أرسلني وأمرني أن لا أدخل عليك الا باذن فان لم تأذن لي
أرجع وان اذنت لي دخلت وامرني ان لا أقبضك حتي تأمرني فما ذا
امرك فقلت اكفف عني حتي يأتيني جبريل عليه السلام فهذه ساعة جبريل
قالت عائشة رضي الله عنها فاستقبلنا بأمر لم يكن له عندنا جواب ولا رأي
فوجمنا وكأنما ضربنا بصاخة مانحير اليه شيأ ومايتكلم احد من اهل البيت
اعظاما لذلك الامر وهيبة ملأت اجوافنا قالت وجاء جبريل في ساعته
فسلم فعرفت حسه وخرج أهل البيت فدخل فقال ان الله عز وجل يقرأ
عليك السلام ويقول كيف تجدك وهو أعلم بالذي تجد منك ولكن اراد أن
يزيدك كرامة وشرفا وأن يتم كرامتك وشرفك علي الخلق وأن تكون
سنة في أمتك فقال أجدني وجعا فقال أبشر فان الله تعالي أراد أن يبلغك
ما أعد لك فقال ياجبريل ان ملك الموت استأذن علي وأخبره الخبر
فقال جبريل يا محمد ان ربك اليك مشتاق ألم يعلمك الذي يريد بك
لا والله ما استأذن ملك الموت علي أحد قط ولا يستأذن عليه أبدا ألا
ان ربك متم شرفك وهو اليك مشتاق قال فلا تبرح اذا حتي يجيء
وأذن للنساء فقال يافاطمة ادني فأكبت عليه فناجاها فرفعت رأسها
وعيناها تدمع وما تطيق الكلام ثم قال أدني مني رأسك فأكبت عليه
فناجاها فرفعت رأسها وهي تضحك وما تطيق الكلام فكان الذي رأينا

منها عجبا فسألتها بعد ذلك فقالت أخبرني وقال اني ميت اليوم فبكيت
ثم قال اني دعوت الله أن يلحقك بي في أول أهلي وأن يجعلك معي
فضحكت وأدنت ابنيها منه فشمهما قالت وجاء ملك الموت فسلم واستأذن
فأذن له فقال الملك ماتأمرنا يا محمد قال ألحقني بربي الآن فقال بلى من
يومك هذا أما ان ربك اليك مشتاق ولم يتردد عن أحد تردده عنك
ولم ينهني عن الدخول على أحد الا باذن غيرك ولكن ساعتك
أمامك وخرج قالت وجاء جبريل فقال السلام عليك يا رسول
الله هذا آخر ماأنزل فيه الي الارض أبدا طوى الوحي وطويت
الدنيا وما كان لي في الارض حاجة غيرك ومالي فيها حاجة الا
حضور ك ثم لزوم موقفي لا والذي بعث محمدا بالحق مافي البيت أحد
يستطيع أن يحير اليه في ذلك كلمة ولايبعث الي أحد من رجاله
لعظم مايسمع من حديثه ووجدنا واشفاقنا قالت فقمت الى النبي صلى
الله عليه وسلم حتى أضع رأسه بين ثديي وأمسكت بصدره وجعل يغمى
عليه حتى يغلب وجبهته ترشح رشحا ما رأيته من انسان قط فجعلت
أسلت ذلك العرق وما وجدت رائحة شيء أطيب منه فكنت أقول له
اذا أفاق بأبي أنت وأمي ونفسي وأهلي مانلقى جبهتك من الرشح فقال
ياعائشة ان نفس المؤمن تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من شدقيه
كنفس الحمار فعند ذلك ارتعنا وبعثنا الي أهلنا فكان أول رجل جاءنا
ولم يشهده أخي بعثه الي أبي فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن
يجيء أحد وانما صدهم الله عنه لانه ولاه جبريل وميكائيل وجعل اذا

أغمي عليه قال بل الرفيق الاعلى كان الخيرة تعاد عليه فاذا أطاق الكلام قال الصلاة الصلاة انكم لاتزالون متماسكين ماصليتم جميعا الصلاة الصلاة كان يوصى بها حتى مات وهو يقول الصلاة الصلاة قالت عائشة رضى الله عنها مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار يوم الاثنين قالت فاطمة رضى الله عنها مالقيت من يوم الاثنين والله لاتزال الامة تصاب فيه بعظيمة وقالت أم كلثوم يوم أصيب على كرم الله وجهه بالكوفة مثلها مالقيت من يوم الاثنين مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه قتل على وفيه قتل أبي فالقيت من يوم الاثنين وقالت عائشة رضى الله عنها لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتحم الناس حتى ارتفعت الرنة وسجى رسول الله صلى الله عليه وسلم الملائكة بثوبي فاختلفوا فكذب بعضهم بموته وأخرس بعضهم فماتكلم الابعد البعد وخلط آخرون فلاثوا الكلام بغير بيان وبقى آخرون معهم عقولهم وأقعد آخرون فكان عمر بن الخطاب فيمن كذب بموته وعلي فيمن أقعد وعثمان فيمن أخرس ولم يكن أحد من المسلمين في مثل حال أبي بكر والعباس فان الله عز وجل أيدهما بالتوفيق والسداد وان كان الناس لم يرعووا الابقول أبي بكر حتى جاء العباس فقال والله الذي لااله الاهو لقد ذاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت ولقد قال وهو بين أظهركم انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون وبلغ أبابكر الخبر وهو في بني الحرث بن الخزرج فجاء ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر اليه ثم أكب عليه

فقبله ثم قال بأبي أنت وأمي يارسول الله ما كان الله ليذيقك الموت مرتين فقد والله توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج الي الناس فقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد رب محمد فانه حي لا يموت قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم علي أعقابكم الآية فكأن الناس لم يسمعوا هذه الآية الا يومئذ * وفي رواية ان أبا بكر رضي الله عنه لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعيناه تهملان وغصصه ترتفع كقصع الجرة وهو في ذلك جلد الفعل والمقال فأكب عليه فكشف عن وجهه وقبل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعل يبكي و يقول بأبي أنت وأمي ونفسي وأهلي طبت حيا وميتا انقطع لموتك مالم ينقطع لموت أحد من الانبياء فعظمت عن الصفة وجلت عن البكاء وخصصت حتى صرت مسلاة وعممت حتى صرنا فيك سواء ولولا أن موتك كان اختيارا منك لجدنا لحزنك بالنفوس ولولا أنك نهيت عن البكاء لانفدنا عليك ماء العيون فأما ما لا نستطيع نفيه عنا فكمد وادكار محالفان لا يبرحان اللهم فأبلغه عنا اذكرنا يا محمد صلى الله عليك عند ربك ولنكن من بالك فلولا ما خلفت من السكينة لم يقم أحد لما خلفت من الوحشة اللهم أبلغ نبيك عنا واحفظه فينا * وليكن هذا آخر ما قدرنا الله عليه وبجذب قلوبنا اليه ليكون لنا برسول الله أسوة حسنة ونرجو من الله أن يبدل السيئة بالحسنة وأن يلحقنا بنبينا صلى الله عليه وسلم على الايمان انه أكرم مسؤل وأعز مأمول والحمد لله رب العالمين

﴿يقول مصححه راجي عفو ربه الكريم * ابن الشيخ حسن الفيومي ابراهيم﴾

نحمدك أن منحت قلوب خاص عبادك مكاشفة أسرار الغيب * فوردوا مناهل الانس متلذذين برق شراب رضوانك فخطوا منه بأوفر سيب * ونصلي ونسلم على سيد الاصفياء * سيدنا محمد وآله وصحبه البررة الثقات الانقياء ﴿وبعد﴾ فقد تم طبع هذا الكتاب الذي هو كاسمه ﴿مكاشفة القلوب المقرب الى علام الغيوب﴾ وناهيك به من سفر عديم النظاير في بابه * كثير النفع كبير الفوائد لطلابه * كيف لا وهو زبدة جمع الامام الكبير * صفوة العلماء الغزالي الشهير * قدس الله روحه ونور ضريحه آمين وذلك بالمطبعة العامرة الشهيرة الشرفيه الثابت محل ادارتها بشارع الخرنفش من مصر المعزيه ولاح بدر تمامه وفاح مسك ختامه أول شهر شعبان المعظم * من عام ١٣٢٢ من هجرة النبي الاكرم الاعظم * صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم آمين

﴿ فهرست مكاشفة القلوب ﴾

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صفحة

صحيفة

